يوم الأديب الكويتي

تكريم

الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح

تحت شعار

الإبداع في مواكب الثقافة العربية

إهداء إليها من أساتذة قسم اللغة وآدابها

كلية الآداب - جامعة الكويت

يوم الأديب الكويتي

تكريم

الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح

تحت شعار

«الإبداع في مواكب الثقافة العربية»

إهداء إليها من أساتذة
قسم اللغة العربية وأدابها - كلية الآداب
جامعة الكويت

الفهرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة
- الأهداء	٥
- أعضاء اللجنة الثقافية	٧
- الجهات المشاركة في التكريم	٩
- كلمة اللجنة الثقافية	١١
- الأبحاث والدراسات والمقالات	
- التقاطع والتوازي في شعر سعاد الصباح:	
أ.د. نورية الرومي	١٣
- صورة الآخر في شعر سعاد الصباح:	
أ.د. تركي المغيض	١٣١
- الشاعرة سعاد الصباح وخروجها من سطوة القبيلة:	
أ. د. سهام الفريح	٢١٧
- بين الأمنية - والحلم قراءة في ديوان أمنية للدكتورة	
سعاد الصباح: د.مختار محمود محمد	٢٣٧
- من رثاء الزوجات إلى قصيدة آخر السيوف للشاعرة	
سعاد الصباح: د.أشرف أحمد حافظ	
(توظيف الظواهر الأسلوبي)	٢٧٥
- قراءة في ديوان إمرأة بلا سواحل للشاعرة سعاد	
الصباح: د. أيمن العشماوي	٣٢١
- تحية من سعدي إلى سعاد:	
د. سمير أرشدي	٣٢٣

الفهرس

الموضـــــوع **رقم الصفحة**

- القصائد
- قصيدة الأديب العربي:

د. عبدالمحسن الطبطبائي ٣٤١

- قصيدة ما أصعب الشعر:

د. جاسم الفهيد ٣٤٧

الإهـداء

تحية أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الأداب - جامعة الكويت

إلى

«الشاعرة المبدعة **سعاد الصباح** في يوم تكريمها»

تقديراً لإبداعها الشعري الذي مثلت به دوراً تنويرياً

وإجـلالا لمساهمتها الثقافية العديدة التي حملت من خلالها

مشاعل تواصلت في فضاءات واسعة شكلت مواكب نور في سماء

الثقافة العربية.

أعضاء اللجنة الثقافية

- الأستاذة الدكتورة	نورية الرومي	مقرراً
- الأستاذ الدكتـــور	تركي المغيض	عضواً
- الدكتورة	هيفاء السنعوسي	عضواً
- الدكتورة	ليلي السبعان	عضواً
- الدكتور	جاسم الفهيد	عضواً
- الدكتور	صباح السويفان	عضواً
- الدكتور	عبدالمحسن الطبطبائي	عضواً

الجهات المشاركة

في تكريم الشاعرة الدكتورة «سعاد الصباح» في احتفالية يوم الأديب الكويتي

أولاً: من داخل الكويت

- كلية الآداب.
- قسم اللغة العربية وآدابها.
- رئيس مجلس الأمة - السيد جاسم محمد الخرافي.
- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري.
- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- جمعية الخريجين.
- جمعية الرعاية الإسلامية.
- جمعية بيادر السلام النسائية.
- الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.
- الجمعية الاقتصادية.
- الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان.
- جمعية الصحافيين الكويتية.
- الجمعية الثقافية النسائية.
- رابطة الاجتماعيين.
- رابطة الأدباء.
- رابطة طلبة كلية الآداب.
- الاتحاد الوطني لطلبة الكويت - فرع جامعة الكويت.
- مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- لجنة مسلمي أفريقيا.

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.
- النادي البحري الرياضي الكويتي.
- الأستاذة شيخة أحمد السنان - المعهد العالي للفنون المسرحية.
- نادي الفتاة.
- بيت الزكاة.
- مجلة العربي.
- جريدة القبس.
- وزارة الاعلام.
- مركز المخطوطات والتراث والوثائق الكويتي.
- لجنة ساعد أخاك المسلم.
- لجنة مسلمي آسيا.

ثانياً: من خارج الكويت:
- د. علي أحمد عتيقة ممثلاً الأمير الحسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربي - عمان - الأردن.
- الدكتور عبدالعزيز محمد حجازي/ رئيس المنتدي الثقافي المصري/ القاهرة.
- الأستاذ محمد فائق / الأمين العام/ المنظمة العربية لحقوق الإنسان - القاهرة.
- الأستاذ فواز المرعبي/ رئيس جمعية متخرجي الجامعة الأمريكية في بيروت.
- صندوق تعليم الطلبة الفلسطينيين/ بيروت.
- المركز الثقافي / صنعاء/ اليمن.
- جمعية الجاحظية الأدبية/ الجزائر.
- رابطة الإبداع والتواصل العالمي/ المغرب.

كلمة اللجنة الثقافية - قسم اللغة العربية وآدابها في تكريم الشاعرة الدكتورة «سعاد الصباح» في احتفالية يوم الأديب الكويتي

يحتفل قسم اللغة العربية سنوياً عبر لجنته الثقافية «بيوم الأديب الكويتي» تحت شعار يدل على دور المكرم ومساهماته في إثراد الحركة الأدبية والثقافية في الكويت.

وقد خصصت احتفالية هذا العام لتكريم الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح تحت شعار:

"سعاد الصباح الإبداع في مواكب الثقافة العربية"

ذلك لأن الشاعرة سعاد الصباح امرأة استثنائية على أصعدة مختلفة. فهي متنوعة المجالات كثيرة الأنشطة على المستوى المحلي، والعربي، والعالمي، مما جعل لها حضوراً عربياً وعالمياً لافتاً في مشاركاتها الفاعلة في الدفاع عن مبادئها الوطنية والقومية، فقد حملت عن مبدأ ثابت الدفاع عن حق الإنسان العربي والإنسان في شتى بقاع العالم في المحافل والمنتديات الأدبية والفكرية العربية ذات الطابع الدولي. وهي بذلك لبنة من لبنات بناء صرح التنمية الثقافية، والإنسانية، وهي أيضاً علامة بارزة من علامات الحركة الشعرية في الكويت عبر دواوينها الشعرية العديدة التي مثلت بها مراحل تطور شعرها الفني التي عبرت من خلاله عن قضايا إنسانية ووطنية وقومية، فشعرها

يمكن أن يكون قصيدة واحدة مجالاتها متآزرة، وموضوعها الإنسان في مجمله كان ذكراً أو أنثى، ولهذا فقد احتلت الشاعرة مواقع كبيرة في المجالس، والمراكز، والمؤسسات العلمية والثقافية على مستويات عديدة، وامتدادات تاريخية طويلة، متفاوتة في أزمانها، ومختلفة في مواقعها، فحملت ولا تزال تحمل هم الإنسان ومعاناته في الداخل والخارج في عضوياتها في المجالس والهيئات فكان الإنسان وحقوقه المختلفة محور مؤلفاتها ونتاجها الشعري، فهي على المستوى المحلي هي:

- عضو جمعية الصحافيين الكويتية - الكويت.
- عضو جمعية الخريجين الكويتية - الكويت.
- عضو جمعية الاقتصاديين الكويتية - الكويت.
- عضو اللجنة العليا للتعليم في الكويت.
- عضو مجلس إدارة اللجنة الوطنية لدعم التعليم في الكويت.
- عضو اللجنة التنفيذية لرابطة الصداقة الكويتية الأمريكية بالكويت.
- الرئيسة الفخرية لجمعية الصداقة البريطانية بالكويت.
- رئيسة فخرية للنادي العربي الرياضي في الكويت.

أما على المستوى العربي فهي:

- عضو مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية لمنتدى الفكر العربي في عمان - الأردن.

- عضو مجلس الأمناء بمركز الدراسات العبرية/ جامعة اليرموك عمان.

- عضو مساند بمركز الدراسات العربية - بيروت.

- نائبة رئيس مجلس إدارة الموسوعة العربية/ الجامعة العربية- بيروت.

-عضو مؤسس للمجلس العربي للطفولة والتنمية بالقاهرة.

- عضو الجمعية الاقتصادية العربية بالقاهرة.

- أول امرأة على مستوى الكويت والوطن العربي تشغل عضو مجلس أمناء اللجنة الدائمة للداع عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية في الوطن العربي، القاهرة.

- عضو مؤسس للمنظمة العربية لحقوق الإنسان وعضو مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية ، القاهرة، ١٩٨٢.

- عضو في جمعية علم الاجتماع العربية بتونس.

- عضو جمعية العربية للبحوث الاقتصادية - القاهرة

- عضو المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية - لندن.

وعلى المستوى العالمي فهي:

- عضو الاتحاد العالمي لاقتصاديات الطاقة، بالولايات المتحدة الأمريكية.

- عضو مركز الطاقة بجامعة ساري جلفورد - المملكة المتحدة البريطانية.

- عضو اللجنة التنفيذية لجمعية "أوليف بادن" الدولية للمرشدات بلندن.

- عضو المجلس الاستشاري الدولي لتنظيم الأسرة بلندن.

- عضو مجلس إدارة مشروع بحوث الشرق الأوسط والمعلومات بواشنطن.

- عضو مجلس الأمناء في المجلس الدولي والتعليم لأغراض التدريس بأرلينتجون - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية.

- عضو بمنظمة المرأة العربية الأمريكية - نيويورك.

- عضو مجلس الأمناء لمؤسسة التعاون بجينيف.

- عضو اللجنة التنفيذية للنساء المسلمات - جمهورية ماليزيا.

وقد صدر للشاعرة سعاد الصباح مجموعة من المؤلفات تنوعت على النحو التالي:

١ - التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة، الناشر: دار ايستلوردز للنشر - لندن ١٩٨٣.

٢ - الكويت/ أضواء على الاقتصاد الكويتي الناشر: دار ايستلوردز للنشر - لندن ١٩٨٥.

٣ - المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة الناشر: دار ايستلودرز للنشر - لندن ١٩٨٦.

٤ - أوبك/ بين تجارب الماضي.. وملامح المستقبل الناشر: دار ايستلودرز للنشر - لندن ١٩٨٦.

٥ - السوق النفطي الجديد/ السعودية - الناشر: دار ايستلودرز للنشر - لندن ١٩٨٦.

٦ - أزمة الموارد في الوطن العربي - الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٨٩.

٧ - هل تسمحون لي أن أحب وطني - الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠.

٨ - صقر الخليج/ عبدالله مبارك الصباح - الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٥.

٩ - حقوق الإنسان في العالم المعاصر - الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٥.

١٠ - حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق - الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٧.

١١ - ماذا تعرف عن حقوق الإنسان - الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٧.

أما إصداراتها فقد صدر لها أربعة عشر ديواناً جعلت الإنسان محور ارتكاز هذه الدواوين جميعها:

١ - ومضات باكرة، الكويت عام ١٩٦١.

٢ - لحظات من عمري، الكويت عام ١٩٦١.

٣ - من عمري، دار اليوم/ بيروت، عام ١٩٦٣.

٤ - أمنية، دار المعارف/ القاهرة، عام ١٩٧١.

٥- إليك يا ولدي، دار المعارف/ القاهرة، عام ١٩٨٢.

٦ - فتافيت امرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، عام١٩٨٦.

٧ - في البدء كانت الأنثى، منشورات رياض الريس/ لندن،١٩٨٨.

٨ - حوار الورد والبنادق، منشورات رياض الريس/ لندن، ١٩٨٩.

٩ - برقيات عاجلة إلى وطني، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٩٠.

١٠ - آخر السيوف، دار سعاد الصباح للنشر/ الكويت، ١٩٩٢.

١١ - قصائد حب، دار سعاد الصباح للنشر/ الكويت ١٩٩٢.

١٢ - امرأة بلا سواحل، دار سعاد الصباح للنشر/ الكويت ١٩٩٤.

١٣ - خذني إلى حدود الشمس، دار سعاد الصباح للنشر/ الكويت ١٩٩٧.

١٤ - القصيدة أنثى والأنثى قصيدة، دار سعاد الصباح للنشر/ الكويت ١٩٩٩.

وقد حظيت هذه الدواوين باهتمام النقاد والدارسين ومن يعنيهم البحث في سبر أغوار بحار الشعر والقصائد، فمن هذه الكتب التي تناولت دواوينها بالبحث والدراسة:

١ - سعاد الصباح: الشعر والشاعرة، فاضل خلف، نشر في بيروت ١٩٩٢.

٢ - سعاد الصباح في فتافيت امرأة، الازدواجية الوجدانية، وتعددية الأبعاد (بالفرنسية)، عزة ملك، نشر في باريس ١٩٩٢.

٣ - في البدء كانت الأنثى: غريزة الحياة وتجربة الاتصال عند سعاد الصباح "بالفرنسية" د. أسمهان بدير الصيداوي، باريس ١٩٩٢.

٤ -قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح "بالفرنسية" ، د. محمد التونجي، الكويت ١٩٩٣.

٥ - التجربة الشعرية لسعاد الصباح "بالفرنسية" بيار ريشا، باريس ١٩٩٣.

٦ - سعاد الصباح: شاعرة الألم "بالفرنسية، د. عزة ملك، باريس ١٩٩٣.

٧ - العزف على أوتار مشدودة، د. نبيل راغب، القاهرة ١٩٩٣.

٨ - قراءات نقدية في شعر سعاد الصباح، سعيد فرحات/ بلال خير بك، الكويت ١٩٩٤.

٩ - سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم، فضل الأمين، بيروت ١٩٩٤.

١٠ - لغة التماس، محمود حيدر، بيروت ١٩٩٤.

١١ - سعاد الصباح: رحلة في أعمالها غير الكاملة، عبداللطيف الأرناؤوط، بيروت ١٩٩٥.

١٢ - سعاد الصباح: دراسة جديدة، برهان بخاري، بيروت ١٩٩٩.

١٣ - في ظلال الإبداع، نجوى حسن، دمشق ١٩٩٩.

١٤ - النص والنص الغائب، د. عبدالملك مرتاض، الجزائر ٣٠٠٠.

١٥ - سعاد الصباح: شاعرة شتائية، إسماعيل إسماعيل مروة، بيروت ٢٠٠٠.

١٦ - البناء اللغوي والفني في شعر سعاد الصباح، تيسير رجب نسور، بيروت ٢٠٠٢.

١٧ - هدم وبناء، د. مها خير بك ناصر، بيروت ٢٠٠٢.

١٨ - القصيدة أنثى والأنثى قصيدة، د. فوزي عيسى، القاهرة ٢٠٠٣.

١٩ - القضايا والأدوات: دراسة في شعر سعاد الصباح، د. مختار أبو غالي، القاهرة ٢٠٠٣.

٢٠ - وردة البحر وحرية الخيال الأنثوي، د. صلاح فضل، القاهرة ٢٠٠٣.

ولها العديد من الإسهامات الثقافية:

فهي تمنح ثمانية جوائز أدبية سنوياً لتشجيع الشباب في الوطن العربي:

وتخصص أربع جوائز لإبداع متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت كل عامين، وجائزة للمسرح بالتعاون مع مسرح المدينة في بيروت.

فضلاً عن إسهام غير محدود في دعم المؤسسات والمشروعات الثقافية في الكويت والوطن العربي، كما تقدم المنح الدراسية لمجموعة من أساتذة كلية الإقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، للحصول على شهادات الدكتوراه.

وتقدم كذلك جائزة سنوية لأفضل كتاب منشور عن الشرق الأوسط في لندن. وقد أقامت مكتبة الشيخ عبدالله المبارك الصباح في جامعة القاهرة، ومكتبة الشيخ عبدالله المبارك في ثانوية الفروانية في الكويت، وعشرات المراكز التعليمية والدينية والمساجد في الكويت والعديد من الدول العربية الإسلامية والإفريقية. ودفعت بالمئات من الطلبة إلى متابعة التعليم في مختلف مراحله وخاصة الجامعية.

وقد ساهمت بتقديم الدعم المطلق لتوفير مقر للمنظمة

العربية لحقوق الإنسان في القاهرة، ومنتدى الفكر العربي في العاصمة الأردنية. وأسهمت وتسهم في المشروعات الثقافية الهادفة إلى تنوير الطفل عبر الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية. وترعى مسابقات جائزة عبدالله المبارك لحفظ القرآن الكريم في جمهورية كازاخستان.

لهذا فقد حظيت الشاعرة المبدعة سعاد الصباح بتقدير كبير، وتكريم جليل وحصلت على عدة أوسمة عربية وعالمية فقد:

- كرمتها جامعة أوكسفورد البريطانية بمنحها درجة الزمالة لكلية "سانت كاترين" التابعة لها.
- زميلة زائرة/ جامعة اوكسفورد البريطانية.
- حصلت على وسام الثقافة التونسية.
- منحتها الكويت جائزة الدولة التقديرية للآداب والفنون.
- عضو شرف لمجلس أمناء المركز الثقافي العربي/ بيروت.
- عضو شرف لجمعية متخرجي الجامعة الأميركية/ بيروت.
- كرمها المنتدى الثقافي المصري بإصدار مجلدين حملا عشرات البحوث والشهادات عن إبداعها الشعري وجهدها في مجال الثقافة وحقوق الإنسان/ القاهرة/ ٢٠٠٣.
- منحتها كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (جامعة القاهرة) درع التفوف.

- كرمتها جامعة القاهرة بمنحها درع عيد العلم وكانت بذلك أول مبدعة عربية، غير مصرية تكرمها الجامعة.
- منحتها وزارة الثقافة التونسية درع الإبداع النسائي العربي.
- خصتها مؤسسة "التعاون" الفلسطينية بدرعها التكريمي.
- منحتها الهيئة المصرية العامة للكتاب درعها التكربمي.
- احتفى بها معهد العالم العربي في باريس وأهداها ميداليته الفضية.
- منحها رئيس الجمهورية اللبنانية وسام الاستحقاق المذهب.
- كرمت مع نخبة من السيدات العربيات في احتفالية الجامعة العربية في القاهرة.
- وقد اختيرت الدكتورة سعاد محمد الصباح بصفتها المرأة العربية المتميزة في حقل الثقافة والفنون لتنال هذا التكريم.

وقد عكست الشاعرة كل هذه المجالات التي مثلتها في جوانبها الثقافية، والإنسانية المحلية، والعربية، والعالمية بنتاجها الشعرية الذي جاد يمثل انعكاسات لمراحل تاريخية مرت بها الشاعرة في حياتها، رصدت من خلالها حقباً تاريخية عربية وعالمية. جسدتها الدواوين الشعرية بتطور فني لها من عام ١٩٦١ في ديوانها (**ومضات باكرة**) باكورة نتاجها الشعري الأول، إلى آخر دواوينها (**القصيدة أنثى والأنثى قصيدة**) عام ١٩٩٩.

وقد تنوعت قصائد الدواوين بين القصيدة العمودية الموحدة

الوزن والقافية، إلى قصيدة التفعيلة، والشعر المنثور، والشعر السردي، وبهذه القصائد استطاعت أن تعمق الإحساس بهم المثقف العربي بصور شتى، فاتجهت اتجاهاً واقعياً في مضمون الشعر في هذا الواقع.. وإن صاغته بأسلوب رومانسي بعواطفها المركزة، وخيالها الحاد الذي قد يبعدها في عالمها المثالي عن ملامسة هذا الواقع الذي قد يكون مريراً لديها، ففي حلمها الرومانسي للواقع العربي والإنساني تتخطى قصائدها الأمكنة المادية، وتتجاوز الأزمنة الواقعية في فضاء النص، الذي يتلقفه المتلقي بدلالات تبعاً لثقافته النقدية، ورؤيته الإبداعية ليسبح بعد ذلك في فضاء التحليل به، في إيقاع تتوحد فيه رؤى المتلقي. ليعزف الإيقاعان معاً سيمفونية (النص والتلقي) ليتحول الإبداع الشعري، مع الإبداع النقدي إلى نص على نص.

والمرأة قضية "سعاد الصباح" الأولى حملتها في دواوينها المختلفة حملاً تنويرياً، ويمكن أن نستخلص من قصائدها سجلاً حافلاً لتاريخ المرأة العربية، وآلامها الدفينة وصراعها مع التقاليد، ومع الآخر الرجل السيد، وكفاحها من أجل اثبات الذات أولاً، وحقوقها المسلوبة أولاً وأخيراً، فايقاعها الشعري كان إيقاعاً أنثوياً، وخطابها بهذا الشعر جاء بالتأنيث مراراً وتكراراً إلى أن وصل إلى الخطاب السردي في أسلوبه، والحكائي في حواراته المتواصلة، وثورته في حالة الحب وانفجاراته في براكين العشق.

" سعاد الصباح امرأة استثنائية وخطابها الشعري مستمد من

معجم عصري، وبنية تراكمية، وتراكيبية، في تكرار أحياناً يعمق إحساسها الحاد بالحيرة والصراع، وأحياناً أخرى بتساؤلات تتردد بصور كثيرة لافتة لتضاعف خطابها الشعري. وقد تصرخ الشاعرة بنداءات تستحضر الماضي لتقابله بالواقع الحالي، في تقابلات، ومفارقات مدهشة تجعل من الطبيعة الشعرية متلونة، لتلون التقابلات والمفارقات في شعرها، وقد عكس ذلك كله صورها الشعرية تارة. وفي تارات كثيرة تقابل سعاد الصباح بين الآنا الذات. والآخر في قصائدها، فمثلت بهما لوحات شعرية نستشف منها تقاطعات وتوازيات.

لهذه الأسباب كلها ولغيرها كرمت:

«الشاعرة سعاد الصباح»

تحت شعار

«الإبداع في مواكب الثقافة العربية»

الأستاذة الدكتورة
نورية صالح الرومي

- **التخصص الدقيق:** النقد العربي الحديث والمعاصر في منطقة الخليج والجزيرة العربية.

أولاً: الكتب المطبوعة:

١ - كتاب: شعر فهد العسكر دراسة نظرية تحليلية ونقدية - الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٩م والطبعة الثانية بيروت ١٩٩٩م.

٢ - كتاب الحركة الشعرية في منطقة الخليج العربي بين التقليد والتطور - الطبعة الأولى الكويت مارس ١٩٨٠ - الطبعة الثانية الكويت ١٩٩٤ - الطبعة الثالثة بيروت ١٩٩٩م.

٣ - كتاب: محمود شوقي الأيوبي - حياته وتراثه الشعري - عرض ونقد - الطبعة الأولى الكويت ١٩٨٢ - الطبعة الثانية بيروت ١٩٩٩م.

٤ - الخطاب المسرحي في النقد الأدبي بالخليج العربي - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٩.

ثانياً: بحوث منشورة:

١ - **شعر فهد العسكر بين الفن والواقع** مجلة الحصاد التي صدرت عن قسمي اللغة العربية واللغة الإنجليزية - كلية الآداب - جامعة الكويت - العدد الأول - يوليو ١٩٨١م.

٢ - **الحركة الشعرية في منطقة الخليج بين التقليد والتطور**، مجلة (كتابات)، أسرة الكتاب والأدباء، دولة البحرين، العدد السادس عشر، السنة الرابعة: ١٩٨٢.

٣ - **الغزل في شعر الخليج العربي الحديث معانيه ورموزه**. مجلة (ثمار الفكر) الموسم الثقافي السابع لجامعة قطر ١٩٨٢م. ونشر أيضاً في مجلة كتابات التي تصدر عن أسرة الأدباء والكتاب في البحرين في العدد التاسع عشر - السنة الثامنة ١٩٨٣م.

٤ - **شعر فهد العسكر والبحث عن خلاص** مجلة (ثمار الفكر) الموسم الثقافي السابع لجامعة قطر ١٩٨٢م ونشر فيما بعد في مجلة (كتابات) التي تصدر عن أسرة الأدباء الكتاب في البحرين في العدد الثامن عشر - ١٩٨٣.

٥ - **القصة القصيرة في الخليج والجزيرة العربية - نشأتها وقضاياها الاجتماعية**. مجلة (الفصول) مجلة النقد الأدبي - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - المجلد الثاني - العدد الرابع - يوليو - اغسطس - سبتمبر - ١٩٨٢م.

٦ - **ظواهر فنية في غزل الشاعر عبدالله الخليلي.** مجلة (البيان)- الكويت - العدد ٢١٦ - مارس ١٩٨٤م.

٧ - **قضية زواج المرأة في الخليج والجزيرة العربية من خلال الشعر العربي الحديث** مجلة (دراسات عربية وإسلامية) سلسلة أبحاث جامعية جامعة القاهرة - العدد الثالث ١٩٨٤م.

٨ - **"بيلوجرافيا" - أدب الخليج والجزيرة العربية.** مجلة كتابات أسرة الأدباء والكتاب في البحرين، العدد السابع ١٩٨٥.

٩ - **مقال منشور في الكتاب التذكاري عن الشاعر أحمد العدواني،** صادر عن رابطة الأدباء، الكويت: ١٩٩٣.

١٠ - **المساهمة في موسوعة الكويت العلمية للأطفال،** التي تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بمدخل عن (الجاحظ) عام ١٩٩٤م.

١١ - **بحث: (مشكلات أعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت)** قدم في ندوة الجامعة اليوم وآفاق المستقبل التي نظمتها كلية الآداب في الفترة من ٢٥-١٩٩٦/١١/٢٧م.

ضمن احتفالات الكلية بمرور ٣٠ عاماً على إنشائها.. ثم نشرته الجامعة في كتاب مطبوع مع بقطة الأبحاث.

١٢ - **بحث: (شخصية المثقف الإيجابي في نصوص المسرح في الخليج والجزيرة العربية)** نشر بمجلة كلية دار العلوم بجامعة القاهرة - ج.م.ع - ١٩٩٧م.

١٣ - **العالم الشعري لأحمد العدواني - دراسة نصية.** مجلة عالم الفكر - المجلد الحادي والعشرون - العدد الثاني، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٩١، الكويت.

١٤ - **الخطاب المسرحي في النقد الأدبي بالخليج العربي .** مجلة فصول - مجلة النقد الأدبي - الجزء الأول، المجلد السادس عشر، العدد الثالث، شتاء ١٩٩٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

١٥ - **صورة الآخر في القصة الكويتية القصيرة.** مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية - العدد الثالث عشر - ٢٠٠١. جامعة قطر.

١٦ - **بنية الخطاب في شعر الأنصاري .** مجلة فكر وإبداع - مركز الحضارة العربية- كلية البنات - جامعة عين شمس - الجزء ١٣ - ١٣/فبراير/٢٠٠٢.

١٧ - **تماس النص مع المعاني والمباني في مجموعة: واطرفاه.** مجلة البصائر - جامعة البتراء - عمان - الأدن - المجلد (٦) العدد (٢) ذو الحجة ١٤٢٢هـ - آذار ٢٠٠٢.

١٨ - **تجليات العنوان في قصص وليد الرجيب .** كلية الآداب - الحوليات، جامعة عين شمس - المجلد ٣٠ لعام ٢٠٠٢.

١٩- **الشعر وبعض المتغيرات السياسية المعاصرة في منطقة الخليج العربي** مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية - جامعة قطر.

٢٠ - **دلالة المكان في شعر أحمد السقاف - دراسة تحليلية.** كلية الآداب - الحوليات - جامعة عين شمس - المجلد ٣٠ لعام ٢٠٠٢.

٢١ - **من الرؤية إلى التعبير، قراءة في شعر محمد الفايز** - مجلة البصائر - جامعة البتراء - عمان الأردن، المجلد (٧) العدد(٣) ٢٠٠٢.

٢٢ - **الخطاب القومي في شعر عبدالله حسين** - دراسة نصية. الجمهورية اليمنية مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والحبوث اليمني - صنعاء (جامعة صنعاء)، العدد (٦٥) ابريل - يونيو ٢٠٠٢.

٢٣ -**القضايا الإجتماعية في القصة القصيرة (القصة النسائية السعودية نموذجاً)**، مجلة كلية الآداب - جامعة صنعاء، رقم العدد ٢٥ للسنة ٢٠٠٢.

٢٤ - **الشاعر فهد العسكر والمرأة** مجلة فكر وإبداع - القاهرة، الجزء الثاني والعشرون، ديسمبر، ٢٠٠٣.

٢٥ - **بحث بعنوان: روح في عالم النحو - تحية إلى روح العالم الجيل أ. د. أحمد مختار عمر**، شهادات ودراسات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٤.

التقاطع والتوازي
في شعر
سعاد الصباح

أ.د. نورية الرومي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الكويت

نافذة البدء

الشعر نبع فياض من تجارب الإنسان ، تعرض حياته ، ومنجزاته ، نجاحا وفشلا . فهو هنا - أي شعر - مرآة تعكس لنا الظروف الاجتماعية ، والتطورات التي مَّر بها الإنسان والإنسان العربي بخاصة ؛ لأن الشعر ديوان العرب ، صور الأحوال جميعا ، بداوة وحضارة ، قوة وضعفا ، وبقيت في ديوانهم العام ، بمثل ما بقيت في عقلهم العام ، بقيت أشعارهم تعرض علينا سجلات ومشاهد ولوحات من حقب مختلفة . فالشعر إذن نفحة سحرية، ينفسها الشاعر الموهوب في الحوادث وفي الإشياء ، فتنتعش ، ويجرى فيها ماء الحياة ونفسها. وينشئ لها من أفكاره خيوطا وأنسجة توسع مجالاتها ، وتربطها بحياة الإنسان ورغباته ومشاعره ، وآماله وطموحاته ، لأن الشعر نشيد الحياة ، بل فاكهتها وعصيرها.

وشاعرتنا " سعاد الصباح " لها - منذ نشأتها - ذاتيتها ، ومبدؤها ، بل وزهوها الذي هو محور حياتها ثائرة أو عاشقة، ولهذا كانت تعيش صراعا يداهمها ، فيلهب عنفوان طموحها فتبرز شاعريتها :- [1]

أنا لا أطمعُ فيما يبتغيه الناس طُـرا

أنا أحيا في صراع من دمى تبّهـا وكبرا

---

(١) ديوان " أمنية " ، سعاد الصباح ، قصيدة " هواجس الوداع " ص ٦٤، دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٧١ .

والشاعرة " سعاد الصباح " باقة من الشعر مختلفة الطعوم والألوان ، حتى في بداياتها التي تضمنتها الدواوين : ومضات باكرة ١٩٦١ ، لحظات من عمري ١٩٦١ ، من عمري ١٩٦٤ . وهذه المجموعات الشعرية البادئة وإن لم تحظ بالدراسات ، لكونها محاولات شعرية باكرة ، إلا أنها كانت تشي بأن هناك شاعرة تتشكل ، لتحتل مكانها ومكانتها فيما كان في ديوانها " القصيدة أنثى والأنثى قصيدة " [٢] الذي تضمن مختارات شعرية، سبق نشرها ، ولذا جاء محتواه واردا فيما سبق لها من دواوين .

ولما كان الحب غريزة ذات سلطان على النفوس ، لذا كان شغل الشاعرة الشاغل على مساحة تجاربها الممتدة ، فقد استوعب أكثر من ثلثي إنتاجها [٣] ، خصوصا إنتاج مرحلة الشباب التي يمثلها ديوانها الأول " أمينة " ، ومن قصائد هذا الديوان قصيدة " قدر " [٤] والتي تقول منها :

أخت روحى .. كنت بالأمس بقربى تشهدين

وقفتى الحيرى بمحراب الهوى الباكى الحزين

ويد الموت تشل الأمن في دربي الأمين

---

(٢) دار سعاد الصباح للنشر ، ١٩٩٩ .

(٣) اسماعيل مروة ، سعاد الصباح شاعرة شتائية ص ١٦ ، ١٧ ، ط ١ ، منشورات النسور ، بيروت : ٢٠٠٠ .

(٤) مرجع سابق ص ١١ ، ديوان أمينة .

ونعيب البوم يعلو ، والأسى لا يستكين

ودموعى في ضحى المأساة شلال سخين

والواضح أن روح القصيدة رومانسية المنحى ، وإن جاءت عباراتها قاسية الوقع خصوصا في موقف الحب مثل : يد الموت / تشل / نعيب / البوم / المأساة ، والذي يدعم فكرة تأثرها بالشعراء الرومانسيين دون توغل في سماته ذلك الاستخدام الباكي الحزين . بل إننا يمكن أن تلمح تأثر الشاعرة بالموروث الثقافي الشرقي ، الذي يَكل كلَّ الأشياء إلى القدر ، فهي في سياق القصيدة تتمنى لو قتلت أشواقها ، ولكنها عجزت أمام ما وضعه القدر تقول :-

أخت روُحى، كنت من قبل بحبى تسخرين

كنت من فرحة قلبى بالهوى تستغربين

وتقولين بأنى طفلة لا تستبين

طفلة ضلت طريق النور بين العاشقين

وتضيفين ...

دعى العشق فذو العشق سجين

إنه نار ، وفي أتونها تحترقين

ثم ماذا تمنت الشاعرة القدرية بعد ذلك تقول :-

ليتني يا أخت صدقتك فيما تدعين

وقـتلـت الشـوق فـي روحي ، وأزهـقت الحنيـن

وطعنـت الشـك في قلبي بسكيـن اليـقـين

ورفـضت القدر المكتوب لـي عـبـر السنيـن

غـيـر أنا لا نـرى مـا خَطّـه فوق الجـبـيـن

إن رفض القدر أمنية ، ولكنها مستحيلة ، كما أننا لا نرى على جبيننا ما قُدِّر لنا .

بين الإقامة والترحال :

لقد وقفت شاعرتنا موقفا حائرا ، دفاق الشاعر ، أمام تكوينها النفسي الطامح بلا حدود ، ولكن تقف أمامه مجالات لا تستطيع الفكاك منها ولذا كانت تسأل :-

مـاقـيـمـة الصبـا الغريـر والشبـاب والحوَر

إذا قـضت بـلا هـوى ، ولا منـى ، ولا أثـر ؟!

إن فـقـدان الهـوى هو سـبب أحـزانهـا ، وهو سـمـة أصيلة من سمات الشعور الرومانسي المرتبطة بالمرحلة والتكوين تقول :-

أعـيـش في منفـى من الحـرمـان أسـأل القـدر

أليس لـى حق الحـيـاة مـثل سـائـر البـشـر؟

إن الحرمان الذي تتحدث عنه الشاعرة ، هو قضية جيلها، لأنها لم تكن تعيش حالة فردية كان من الممكن لها أن تتجاوزها نظرا لظروفها المادية والاجتماعية والثقافية ، إلا أنها كانت

مغموسة في قلب الوطن بمفرداته وقضاياه ، فهى رقم في منظومة التعداد الأنثوي الكويتي الذي يعيش مأساة الحرمان ، والتي تفسر دائما بأنها إرادة القدر .

إنها بذرة التمرد التي تمثل تقاطعا مع ما كان يمكن أن تسير عليه حياة فتاة، تمتلك إمكانيات غير عادية لتلبية طلباتها برفاهيتها ، إلا أن إمكاناتها العقلية لم تكن لتحقق لها الرفاهية بقدر ما كانت تجلب عليها القلق والبعد عن التوازي الذي تعيشه كل فتاة تملك جزءا من إمكانات "**سعاد الصباح**".

ولقد ركبت موجة الحب، وجعلت منها رفيقا تناغم مع مرحلة المراهقة عندها، ومع ما تلا ذلك من مراحل كانت تمثل النضج الفني الوئيد، الذي لا تحرص عليه إلا كل نفس تواقة للعلا والارتقاء، العلا الفني والارتقاء الإبداعي الذي لا يعد لهما علا وارتقاء. إنها تختار عنوانا لقصيدتها من مفردات الحياة الدينية والاجتماعية في بيئتها، ولكنها تتقاطع من المفهوم الاجتماعي حين تتوجه إلى حبيبها قائلة: (٥)

جئتُ أشكوك حيرتي .. والتياعي وحسرتي

ليت قلبي على يدى ، لتدري بحرقتي

وترى ما جنى هواك على طيب زهرتي

---

(٥) ديوان أمنية ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

إنه التصوير الرقيق الذي تميزت به الشاعرة في قصائدها الرومانسية ، والتي تلجأ فيها إلى المفردات الرقيقة لأنها تذوب محبة ، فليس بعيدا أن تذوب رقة من أجل هذه المحبة تقول :-

وترى خافقا يذوب شهيد المحبة

وعيونا همومها ، دمعة إثر دمعة

وتناسب إذن مع لفظة " شهيد " أن تكون هناك منية تقول:

وترى أن صبوتي فيك تدنى منيتى

ولكن يجمعها بحبيبها "التوهان" فكل في واديه يسبح هو:-

أيها التائه الذي ليس يدري بغصتي

وهى تائهة لأنها :-

أنا ظمآنة الفؤاد ولقياك واحتي

ولأنها " صلاة " تناسب أن تقول :-

أنا صوفية الحنين ، ومغناك كعبتي

أنا إن مت في هواك ، فذكراك جنتي

والأمر كذلك فعلا ، فالإفصاح هنا قضية الشاعرة الأساسية والكبرى ، على ما عرفه عن الشاعرة في المنتديات الأدبية .

إن الإقامة والترحال اللذيْن أعنيهما ليسا السفر ونقيضه، فهذان شيئان ماديان يصنعهما أي إنسان، أما الفنان، الذي يمتلك حسا شاعرا فإن الإقامة والترحال بالنسبة له شيئان مختلفان،

فهما صنوا التقاطع والتوازي على ما ورد في عنوان هذه الدراسة. إنها تتقاطع مع السلفيات التقليدية، وقلما تتوازي معها. نعم .. إنها تتوازى في باكورة أيامها، وفي أيام الحب الشفيف التي تحمل ذات المحب فيها نغما صافيا رائقا تشعر به كل أنثى تقول:[٦]

مولاي إن جاءك هذا الخطاب
أوراقه من شوق روحي لبابْ
حروفهُ من ذوب قلبي المُذابَ
مداده من أدمع وانتحاب

وتشعرين مثل كل الانثيات بالحب طائرا أخضر يحلق في سماوات عليا تقول :-

مقبلا عينيك بعد الغيابْ
مغردا بالأمنيات العذابْ
فلا تكن من لهفتي في ارتياب
ولا تظن القلب أغفى وتاب

إنها لا تسكت عند هذا ولكنها تتوازى مع المشاعر الأنثوية المعتادة فتقول :-

---

(٦) ديوان أمنية ، مرجع سابق ، قصيدة (خطاب) ص ٢٤ وما بعدها.

مـولاى قلبـي فـي انتظـار الجـوابْ

حـــتـى تفـى الأقـدار لـي بالمـآبْ

أواه .. لـو تـدرك هـذا العـذابْ

ومـا أعـانـي مـن أسـى واكـتـئـابْ

وأن روحـى فـي جـوى واغـتـرابْ

والتوجس سمة من سمات الحب التقليدي، المتوازي مع مسيرة الحياة العادية ولذا فإنها تقول:-

وكـل مـا أخـشـاهُ بعـد الإيـابْ

والشوق عاتٍ ، والهـوى فـي التـهـابْ

أن تفـجـع القلب بحلـم الشـبـابْ

ولا أرى حـبـك إلا سـرابْ

وأن آمـالـي الخـوالـي كـذابْ

أما في قصيدتها " حق الحياة " [٧]، فإنها تتوثب، وتتقاطع مع الدائر في المجتمع ، تصف التوازي في قولها :-

ويـل الـنـسـاء مـن الـرجـال

إذا اسـتـبـدوا بـالـنـسـاء

---

(٧) ديوان أمنية ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

يبـــــغـــــونهـن أداة تسلـيـــة

ومـــــسـألـة اســـــتـــــهـــاء

ومـــــراوحـا فـي صـــيـــفـــهـم،

ومـــــدافـــئـا عـــبـر الشـــتـــاء ...

مـــــا دام يمنـحـــــهـا المؤونـــة

والـــقـــــلادة والـــكـســـــــاء

إذن .. كيف تقاطعت مع هذه المعطيات تقول :-

لآ .. لـن نـذل ، ولـن نهـون ، ولـن نفـرط في الإبـاء

لقـد انتهى عـصر الحـريم ، وجـاء عـصر الكبريـاء

وجـلا لنـا حـق الحـيـاة ، فكـلنـا فـيـه سـواء

وبالرغم من هذا التـقـاطع الذي يعلن التـمـسك بالإباء ، والاحتفاظ بحق المرآة في الحياة والمساواة مع الرجل ، بالرغم من ذلك فإنها تتوازي مع الشعور البيولوجي العام وهو حنين المرآة إلى الرجل ، وشعورها بالوحشة ، وثقل مرور الوقت ، فالأيام مشلولة عن الحركة بدونه ، بل إن عقارب الساعة لا تسير تقول :- (٨)

سـبـــعـة أيـام أرتـنـى الـكـثـيـــر

وحطمـتـنـى يا إلهـى الصـغـيـرْ

---

(٨) أمنية ، مصدر سابق ص ، ٤٩ .

سـبـعـة أيـام مـضـت خلـتـهـا

مـشـلـولـة .. أقـدامـهـا لا تسـيـرْ

والرجل - في نظرها هنا - هو الرجل التقليدي الذي لا يبالي:-

وأنـت فـي تيـهـك مـسـتـغـرق

وتـدعـي أنـي هـواك الكبـيـر

أين لـيـالـي الشـوق ؟ أيـن المنى ؟

وأيـن نـار العـمـق ؟ أين السـعـيـر؟

وهى تعيش الحلم الرومانسي، مع قسيمها الرجل فتقول:-

وأيـن أحـلام غـرسـنـا بـهـا

أحلى السنا ، في كل نجم منيـر ؟

وتعيش حالة الأنثى المنكثرة أمام قضية الحب فتقول :-

أكـل هـذا حـلـم وانـقـضـى

ولم يـعـد فـي جـونا مـا يثـيـر ؟!

هـل ذبـل الـزهـر ، وجـف الـنـدى

وصَّـوح الروض ، وراح العـبـيـر ؟!

وتضع نفسها بين بين ، فهي تعيش أنثى مفكرة أمام فارسها ،

ولهذا تدفقت جملها الاستفهامية ، الدالة على التعجب والاستغراب إلى أن تقول ، محاولة الوقوف على قدمين .

إن كان هذا فهو لى رحمة

فقد هوى القيد ، وفُك الأسير

وتظل الشاعرة على هذا التوازي ، الذي كان نتاج مرحلة البدء، وقبل مرحلة التألق ، يترجم ذلك ما ورد في قصيدتها " لون عينيك " : – [٩]

أى نهر في رُبي عينيك يجرى؟ أي كوثر؟

أى نور فيهما يبدو لعينىّ .. فأبهر ؟

أى نار فيهما تجعل قلبى يتبخر ؟

أى كأس فيهما تنساب في روحى فأسكر؟

أى سهم فيهما يجعل كبرى يتكسر ؟

لقد نقلت السهم الذي شاع وصف جمال عيون المحبوبة به إلى المحبوب ، وهى مبادلة جديدة ، إلا أنها أضافت هذا الأثر الفياض للعينين والذي يجعل كبرها يتكسر .

وتصيح صيحة إعجاب دوار بين الناس بعبارة " الله أكبر "، دلالة على شدة الإعجاب، والإيمان بقدرة الله تعالى تقول :–

---

(٩) أمنية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

أى لون يتجلى فيهما ؟

.. الله أكبر !!

وتظل تلح على فكرة القدر ، من منطلق الموروث الديني ، تغلف ذلك بشيء من التعبير الرومانسي ، الذى يجعل الخيال دائرا حول المعنى ، تقول من نفس القصيدة :-

آه من ليلى ، ومن ويلى ، ومن هذا المقدر!

يطلع البدر على الأنجم في الليل ويسهر

ويواليها بنور الشوق حتى تتبلور

أى سحر يجذب البدر إليها حين تخطر ؟

أتراها كحلت بالليل جفنيها لتسحر ؟

وتتحدث عن محبوبها ، الذي لا تستطيع أن تتأبى عليه فتقول:-

أنا من كحلنى السهد ، وبدرى ليس يشعر

ليتنى في ليل بدرى نجمة في الأفق تظهر

علها تلقى شعاعا ، بسناه تتنور

وترى الحلم يقينا ، وترى العالم أخضر

إنها تطمح نحو الحلم ، الذي لا يحققه إلا التوفيق في الحب، الذي يلون العالم باللون الأخضر ، الدال على السلام والاطمئنان.

لقد وقفت أمام ديوان " أمنية " وقفة متأنية ، أو وقفة طويلة ، لأنه يمثل باكورة شعر "سعاد الصباح"، بل إنه يحمل كرنفالا أو توليفة من الأشعار التي تتأرجح بين الشكوى والفرح، بين الحزن والتفاؤل، بين الثباب على هوية شعرية، والانتقال إلى أشعار أخرى، فيها نفس الرنة، ونفس التبادل الأسلوبي تقول من قصيدة " فرحة العيد " : (١٠)

عيدى غدا ، وأميرى ليس ينساه

ما أسعد العيد باللقيا وأحلاه

هل تشرق الشمس إلا من مطالعه

أو يجمل العيد إلا عند مرآه

لقد فضَّلت أن تذكر أن حبيبها أميرها، وفيها إيحاء بإزعان الأنثى الجميل لآمرها وحبيبها الرجل، وإن كنت أرى أنه لو أوردت كلمة " حبيبي " لكانت أجمل وأكثر اتساقا مع السياق، خصوصا وأن دعوتها الاجتماعية بعيدة عن الانتماء الطبقي .

وتستعرض قدرتها الأسلوبية فالشمس لا تشرق إلا من مطالعه، ولا يجمل العيد إلا بمرآه، وهذه القدرة ثمرة من ثمار النهج الأسلوبي الذي كان سائدا في تلك الفترة. ولكنها سرعان ما تعود إلى مفردات أنوثتها نستنطقها الاحتفاء بمقدم حبيبها فتقول :-

---

(١٠) ديوان " أمنية " مرجع سابق ، ص ٥٦ .

وقـفت في وجـه مـرآتي أسـائلهـا

بأى ثـوب غـداة العـيـد ألقـاه ؟!

وتتجلى الحيرة اللذيذة في التردد في اختيار ما يعجب فارسها فتقول :-

وأى لـون مـن الألـوان يـسـعـده

فكل لون له في الوجد مـعـناه

لقد اندفعت الشاعرة بوجدانها في الشطر الأول ، ولكنها بحركة العقل نحو الحكمة ، التي كانت سائدة في سيرة الشعر العربي ، والتي سيطرت على بدايات كثير من الشعراء، ومنهم شاعرتنا التي أجادت في استثمار اللحن الراقص في وزن البحر البسيط : مستفعلين فاعلن مستفعلن فعلن ، والذي ترجم إشراقها من الداخل والخارج معا ، والذي جعلها تنطلق بحرية وتفتح في سياق القصيدة عندما تقول :-

وأى هيـئـة شـعـر أسـتـثـير بها

كـوامن الشـوق تطغى في حناياه ؟

وتكثر من الاستفهامات وكأنها تخاطب آخر ، وليس الآخر هنا إلا ظل المحبوب ، أو شخصيته الحاضرة الغائبة ، التي تتوازي مع الموقف الجميل الذي تمر به تقول :-

أأترك الشعر منثورا على كتفى

سنابلا في مهب الريح تغشاه ؟

أم هل أسوى شريطا في جدائله

يلون الليل في شعرى ويرعاه؟

وتصرح بالآخر في البيت الآتي :-

وأي قرط على أذني يؤثره ؟

وأى عطر على خدىّ يهواه ؟

وتأتي المشاكلة البلاغية التي تخالف السياق ، فالسهر يتعب الجفون ويثير تجعيدات الوجه ، ولكنها توظفه توظيفا مترفا جميلا ، تقول :-

وهل أكحل عينى ، أم ترى سهرى

قد أودع الكحل في عينى وخلاه؟

إنها تأتمن المرآة فهي صديقتها، ولا تكتفي بنظرتها هي، ولكنها تجرء من المرآة شاهدا على جمالها، وتستحلفها أن تصدقها القول، عندما تتحدث عن جمالها وعن لقاء حبيبها تقول:-

لا تكتمى الحق يا مرآة واعترفى

بأى شوق ستلقاني ذراعاه؟

وعن القبلة تتحدث حديثا رمزيا دافئا فتقول :-

وأى دفء يثير النار فى شفتى؟

وأى نار إذا ما قبَّلت فاه؟

بل إنها تجرد من المرآة شخصا محاورا ، قادرا على التعبير بالإيماء أو الالتفات ، أو النظرة الساخرة . تقول :-

لا ترمقينى بإنكار وسخرية

فثروة الحب أغلى ما ادخرناه

وشعلة الحب كنز في ضمائرنا

ولا يقاس بها مال ولا جاه

لا تسألى عن ثرائى في محبته

لا تسألى عن مداه يعلم الله

ولقد كانت سعاد الصباح سباقة في عصرها عندما تحدثت عن حبها لزوجها. مع أن ما شاع في تراثنا الشعري غزل بعض الشعراء في زوجاتهم، وأى خروج في ذلك وهو يحب زوجته ، ولم يكن متوازيا مع الشائع ، تماما كما فعلت "سعاد الصباح" فقد تقاطعت مع الشائع. ويجدر هنا أن نورد بعضا من أشعار الرجال في زوجاتهم ..

تغزل زهير بن أبي سلمى في زوجته أم أوفى، وبدأ معلقته بالغزل فيها يقول :- [11]

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم

بحومانة الدُّرَّاج فالمتثلم

وتغزل امرؤ القيس في زوجته أم جندب [12] يقول :-

خليلي مُرَّا بي على أم جُندب

لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظراني ساعة

من الدهر تنفعني لدى أم جُندب

ألم تريانى كلما جئت طارقا

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

عقيلة أتراب لها ، لا دميمة

ولا ذات خَلق- إن تأملت- جانب

---

(١١) السباعي بيومي ، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، مكتبة النهضة بمصر،١٩٤٨ ، ط ١ ، ص ١١٢ .

(١٢) ديوان امرئ القيس ، شرح السندوبى . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٩٢٧ ، ص ١٣٠ .

ومثل ذلك حدث في العصر الأموى ، عندما شبب الحارث بن خالد المخزومى بزوجته أم عمران [١٣].

ألست ترى معى أن شاعرتنا كانت سباقة في مجاملة فارسها، متقاطعة مع الشائع ، ومتناغمة مع ما كان من الشعراء الأقدمين . ويبدو أن ذلك حدث لأن شاعرتنا استطاعت أن تدعو المرآة في عصرها إلى أن تكشف عن مكنون وجدانها في شعر يتلاقى مع ما تشعر به المرآة ، ولم تكن تجرؤ على التعبير عنه . وهذا ما يحسب لصالح شاعرتنا ، التي هدفت إلى النهوض برفيقات جنسها بما يجعلها تحتل موقعها من المجتمع .

إن الإقامة والترحال فيما قدمت كانتا نقطتين مجازيتين، لا تعنيان السفر من مكان إلى آخر، ولكنهما تتفاوتان مع التقاطع والتوازي اللذين عنونت بهما لهذه الدراسة ، فالإقامة العقلية هي الاستقرار والتواؤم مع معطيات المجتمع ، أما الترحال فهو الرفض العقلي إما بالسكوت أو انطلاق التعبير فيما كان من شعر شاعرتنا الماجدة " سعاد الصباح " - ولو أردنا أن نتحدث عن الشواعر (الشاعرات) العربيات لوجدنا منهن الكثيرة لأن العرب أهل لغة، وكان الشعر ديوانهم، إلا أنهن لم يطرقن أبوابا غير تقليدية، وربما كان لهن أكثر من مجال ولكن العرب كانت تكره أن

---

(١٣) الإصابة في تمييز الصحابة . ابن حجر . مطبعة الشرقية بمصر ، ١٩٠٧ ، ط ١ ، ص ٢١٢ .

يكون للمرآة تجاوز في الكشف عن مخبوء حياتها، وهو ما استطاعت شاعرتنا أن تلج إليه، وتعبر عنه تعبيرا رائقا رائعا.. حتى في عناوين أشعارها ودواوينها، وعلى سبيل المثال: " **فتافيت امرآة** "، [١٤] فأية فتافيت تلك التي قصدتها "**سعاد الصباح**"، إنها - في رأي - تلك الدلالات الصغيرة، التي تميز المرآة بجمالها، سلوكا وتعبيرا. ويتجلى ترحالها الدلالى المعلن في قولها :-

يقولون ..

إن الكلام امتياز الرجال

فلا تنطقى !!

وإن التغزل فن الرجال..

فلا تعشقى !!

وإن الكتابة بحر عميق المياة

فلا تغرقى..

وتتقاطع مع هذه الأفكار عندما تقول ضد المسلمات السابقة:-

وها أنذا قد عشقت كثيرا

وها أنذا قد سبحت كثيرا

وقاومت كل البحار ولم أغرق

---

(١٤) ديوان فتافيت امرآة . منشورات أسفار ، ط ١ ، سبتمبر ١٩٨٦ ، ص ٢ ، وما بعدها.

إنها عشقت وسبحت ولم تغرق ، ولكنها لم تسلم من اللوم لدى خروجها على التوازي الذي يطلب من كل امرأة عربية الا تتجاوزه .. تقول :-

يقولون إنى كسرت بشعرى جدار الفضيلة

وإن الرجال هم الشعراء

فكيف ستولد شاعرة في القبيلة ؟

وتضحك ، وتهزأ ، وتخرج على التوازي وتقول :-

وأضحك من كل هذا الهراء

وأسخر ممن يريدون في عصرحرب الكواكب

وأد النساء ..

لقد سادت بين وأد النساء في القبيلة قديما ، وبين الموقف غير الإنساني في رفض نشاط المرآة المعاصرة وبوحها .

وتستخدم المنطق الذي يدخل في إطار الإبداع الموازي للبلاغة التقليدية ، بعيدا عن المجازات فتقول :-

لماذا يكون غناء الذكور حلالا

ويصبح صوت النساء رذيله؟

وتدخل في رموز مجازية صادقة الدلالة فتقول :-

لماذا يقيمون هذا الجدار الخرافى..

بين الحقول وبين الشجر

وبين الغيوم وبين المطر

وما بين أنثى الغزال وبين الذكر ؟

وكيف لا تستنكر شاعرتنا هذا وقد أوردت روايات السلف رأى المرآة العربية الصريح في الرجل ، متجاوزة بذلك الإقامة الجبرية بالمعنى الذي قصدته إلى ترحال في مجال رحب واسع .

في حديث عمر بن الخطاب وعمرو بن معديكرب قال عمرو:[١٥] كنا نغير على بني مالك فأتينا على قوم سراة ، فجلست في موضع أسمع كلامهم ، وإذا بجارية قد خرجت من خيمتها ، وجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولائدها فقالت : ادعى لى فلانا ، فدعت لها رجلا من الحى، فقالت له : إن نفسى تحدثنى أن خيلا تغير على الحى ، فكيف أنت إن زوجتك نفسى ؟ فقال : أفعل وأصنع ، وجعل يصف نفسه ويفرط فقالت له : انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : ما عنده خير وقالت لوليدتها : ادعى فلانا ، فلما أتى خاطبته فأجابها بمثل جواب الأول فقالت : وما عند هذا خير أيضاً . ثم قالت للوليدة : ادعى لى ربيعة بن مكدّم فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين فقال لها : إن أعجز العجز وصف الرجل نفسه ، ولكنى إن لقيت

---

(١٥) الأغانى للأصفهاني . جـ ١٥ ص ١٣٢ ، ط ١ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ .

أعـذرت ، وحـسب المرء عنـاء أن يُعـذر فـقـالت له : قـد زوجـتك نفسـي، فـأحضـر غـدا مـجلس الحى ليـعلموا ذلك هـذه هـي امـرآة التـراث التي تجـاوزت المخـبـوء وعبـرت عن رأيها بـحكمـة وتجـربة تحتاج إليها امرأتنا المعاصرة ، التي رادت تجربتها "**سعاد الصباح**" في قـوة وشـخـصـيـة ، وحنكة تجـربة ، وترجـمـة لفكر القـبـيلة المعاصرة كما تراها واحدة من رائدات الترحال والسياحة في فكر ناهض نابض ، يعيد للمرآة سالف تأثيرها في حياة مجتمعها .

وها هى ذى تتحدث مـجازا عن" الإقامـة الدائمة " في قـصيدة لها بنفس العنوان تقول:- (١٦)

وهبـــتـك مـــفـــاتـيـح مـدينـتـي

وعـــيـنـتـك حـــاكـــمـا عـلـيـــهـا..

وطـردت جـــمـــيـع المســـتـــشـارين

والخلاصـة أنه سيطر عليها ، عقلها وقلبها ، وأصبحت تأتمر بأمـره ، لا عـن طريق القـبـيلة التـراثيـة ، بل عن طريق التـرحـال العقلي الرافض لشكل القبيلة القديمة ، والمذعن لتعليمات القبيلة المعاصرة تقول :-

ونـزعت مـن مـعـصـمـى أساور الخـوف ..

وإرهـــاب الـعـــشـــيـــرة ..

---

(١٦) ديوان " فتافيت امرآة " ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

لبست ثوبى المشغول بخيوط اللهفة

وتكحلت بنور عينيك

وزرعت في شعرى زهرة برتقال

إنها في البداية صاحبة قوة : وهبت / عينت / طردت لماذا؟ لأنها نزعت الخوف والإرهاب ، وخضعت لها جس اللهفة على محبوبها ، الذي لم تفارق صورته عينيها ، فتزينت له . ونرى اختلاف دلالات الألفاظ فالترحال وَهب وعيَّن وطَرد ، ونزع الخوف والإرهاب ، وجعل منها إنسانة رقيقة الحاشية تلبس ثوب الجمال المشغول بخيوط اللهفة ، وتزين عينيها بكحل من عينيه ، وتضع زهرة على شعرها / كان قد أهداها إليها .. كل هذا من أجل طلب الإقامة الدائمة ، وهي إقامة غير ما تحدثنا عنه من أنها الخضوع والخنوع ، لأنها هنا جلست على العرش تتمتع بمخيلة معطرة ، تبعثر الزمن ، وتمنحها الحرية ، حرية القبيلة الجديدة .

❖ ❖ ❖

لتتوازى وتأتي رحلتها العكسية تتوازي مع تراث القبيلة في ذوبان الحب ، ولكن في الوقت الذي أفصح العاشقون الرجال عن حبهم ، أفصحت "سعاد الصباح" كامرآة معاصرة . توازت في ذوبانها ولبست عقال الرجال ، وأمسكت بسيفهم ولكن دون

ارتداد، أمسكت السيف ليكون حبها دافعا قويا لا واهنا ضعيفا تقول :- [١٧]

يحكـون عـن كـل العـصـور

عـن رومـا .. واثينا .. وفلورنسـه

وقـرطبـة ..التي تبكى قـبـابهـا في الليل..

بـدمـوع عـربـيـة

يحكمون عن المعـجـزات السـبع

وينسـون أنـك مـعـجـزتي

وعـن عـصـر المأمـون الذهبى

وينسون أن لا عـصـر ذهبـيـا الا عـصـرك

ويأتي فصل الخطاب في قولها :-

ولا قيد أجد فيه حريتي

إلا قيـدك

ثم تنتقل في القصيدة نفسها إلى استشراف جديد لقصيدتها المعاصرة ، فتتحدث عن العشق العذري بلغة العصر فتقول :-

يتـحـدثون كـثـيراً عن مـجـانين الهـوى

---

(١٧) ديوان " فتافيت امرآة " . قصيدة " أعقل المجانين " ، ص ٨٣ ، مرجع سابق.

ومـــجـــاذيـــب الـعـــشـــق

يـتـــحـدثـون عـن الـبـــهـــاليـــل ..

الذين شنقوا أنفسهم على ضفائر حبيباتهم

ودخلوا إلى غـــابات الحـــزن ولـم يعـودوا

وقـاتـلوا في سـبـيـل امرأة حـتى قُـتلوا

وداروا مـلايين المرات فى فـضـاء الوجـد ..

حـــتـــى احـــتـــرقـــوا

إنها تتحدث عن العشق وعن الوجد، وهى من مفردات الغناء الصوفى، وكأنى بها تريد أن تدخل مفردات العشق البشرى إلى مجال الوجد الإلهي، وكلها ذوبان في ذات المعشوق، وهو ما لم يصل إليه شعراء الغزل القدامى، ولم يعبر عنه، أو قصَّر عن التعبير عنه شعراء الصوفية. يقول طرفة بن العبد [١٨] :-

وقـــد ذهبت سلمى بعـــقـلك كلـه

فـهل غـيـرُ صـيـدٍ أحـرزته حـبـائله

لعـــمـــرى .. لموت لا عـــقـــوبة بعـــده

لذى البث أشـــفى من هوى لا يزايله

---

(١٨) الفضليات للضبى . شرح شاكر وهارون . مطبعة المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٤٩ ، ص ١١٨ ، وكذلك ديوان " طرفة بن العبد " مع شرح الأعلم الشنتمري . مطبعة برطرند بمدينة شالون ، ١٩٠٠م.

لقد أحب حبيبته حبا قويا جارفا ، ذهب بعقله ، حتى إنه قد آثر الموت على حبه اليائس الذى لا يغادر شعوره . ثم إن بعضهم كان يكتم حبه خوفا من تقاليد القبيله . أما " عروة بن حزام " فلم يكشف لصديق عن سره ، لكنه قال له يوما - وهما على ناقتيهما - : ما لى أصبر على زفرات الضحا ، ولا أصبر على زفرات الليل يقول :- [١٩] .

فو الله ما حدَّثتُ سرَّكِ صاحبا

أخا لى ، ولا فاهت به الشفتان

سوى أننى قد قلتُ يوما لصاحبى

ضُحا ، وقَلُو صانا بنا تخدان

تحملت زفْرات الضحى فأطقتها

وما لى بزفرات العشى يدان

إن العرب القدامى كانوا يعشون قيودا في الحب ، صنعتها الحياة الاجتماعية ، وأقواها حياة القبيلة . يقول عنترة إنه عاجز عن كتمان حب تنطق آثاره [٢٠] :-

---

(١٩) النوادر . لأبى على القالي . مطبعة دار الكتب بمصر ، ص ١٦٠ ، ط ١ ، ١٩٣٤ .

(٢٠) ديوان عنترة . نشره عبد المنعم عبد الرؤوف شلبى ، مطبعة شركة فن الطباعة بمصر، ط ١ ، ١٩٣٠، ص ٤٢ .

وهيـــهـــات يخـــفـى مـــا أكن من الهـوي

وثوبُ سَـــــقـــــامى كلّ يوم يجـــدد

أقـــاتل أشـــواقـى بصـــبـــرى تجـدا

وقلبى فى قـــيـــد الغَرام مـــقـــيـــد

لقد كان هذا توازيا مع معطيات المجتمع والقبيلة، والذى تقاطعت معه "سعاد الصباح"، والتي قرأت كل قصص العشاق، ووقفت على مفرداتها ، ووجدت أنها قاصرة عن أن تعبر عن انفتاحها على هذا العالم، خالعة ثوب القبيلة، متحاشية أن تسقط في بئر الحرمان، كل هذا بقياسات عصر دقيقة تقول :-

قـرأت كـل مـــعـــاجـم الـعـــشـــق

وكـــل رســـائـــل الـعـــاشـــقـــيـــن

قـــرأت (طـــوق الحـــمـــامـــة)

و (نشـيـد الإنشـاد) ، و (مـزامـيـر سليـمـان)

قـرأت (أوفـــيـــد) و(عـــيـــون إلـزا)

ولكننى لـم أســـتـــوعـب حـــتى الآن

قـــصـــة تســـتـــوعـب منـانـا

وقـــصـــيـــدة تتـــسـع لسكنـانـا..

ولغـة تكفى أن نتـمدد فـيها ..نحن الاثنين..

إنه الأسلوب السهل الممتنع ، الذى يستوعب الوجدان دون ملل ويتوشى ببلاغة - رائقة (تستوعب مننا / تتسع لسكنانا ، لغة نتمدد فيها) وتزيد :-

لم أجد يا حبيبى

فى كل المكتبات التي ذهبت إليها

وفي كل الكتب التي قرأتها

كلمة تستطيع أن تقولنى

أو مفردة تستطيع أن تقولك

إنها - رغم قوتها - تتعلق به، وتتوسل إليه، حتى يصلا إلى قاموس مشترك، يعيشهما معا، ويستوعبهما معا تقول :-

فيا تاركى .. مجروحة على زجاج اللغة المستحيلة

أتوسل إليك ..

أن ترفع يديك عن ثقافتى

لقد أسهمت شاعرتنا فيما يمكن أن أسميه " البلاغة العصرية " بلاغة المفردات التي تحمل جينات بشرية تنمّى وتورث، وتساعد على الحياة .

وفى الوقت الذى يشكو فيه العربى القبلى القديم من تأثير عشقه عليه ، وهى شكوى تتردد من طرف الرجل ، ترى " **سعاد الصباح** " وقد سافرت فى الأزمنة والأمكنة ، حاملة حبها الذى لا

تفيق منه ، لأنه احتواها ، فأصبحت صادقة في بوحها المتقاطع مع روح القبيلة تقول من قصيدتها " شاى الساعة الخامسة" :[٢١]

سـيـدى .. يـا سـيـدى

أيهـا الحـاكـمنى من غـيـر قـانون ..

ومـن غـيـر شـرائـع ..

أيهـا الحـابسنى كـالماء مـا بين الأصـابع..

أيهـا الطفل الذى لم أسـتطع تهـذيبـه

والـذى أهـديتـه الصـيـف ..

وأهـدانـى الـزوابـع

ومع هذا فإنها ستعذب العذاب ، وهذا شأن المحبين :-

أيهـا الطفل الذى أخـرجـتـه من جـسـدى..

كـم أنـت رائـع !!

وتندد بطريقة غير مباشرة بالحب الاستعمارى ، أو الحب البربرى الذى ترفضه بعد أن هيأت نفسها لقبوله .. تقول :-

لـيـس مـعـقـولا ..

بأن تبـقـى مـقـيـمـا سنة كـاملة فى شـفـتىّ

لـيـس مـعـقـولا بـأن تذبـحـنـى

---

(٢١) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٣٤ .

ثم تلقى تهمة الذبح علىّ

أيها السيد ..

رفع سيف إرهابك عنى

إن هذا ليس حُبا

إنه ..

في أبسط الأوصاف ..

غزو بربرى

لقد مدت الشاعرة المتحضرة ثوب مودتها إلى الرجل، ولكنه لم يحسن التعامل مع هذا الثوب ، فى فلسفة لا تخضع لمنطق ولا قانون إنها تقول معتزة بوجودها الأنثوى :-

أيها السيد ..

كنت في بحر بلادى لؤلؤه..

ثم ألقانى الهوى بين يديك..

فأنا الآن فتافيت امرأه..

أيها السيد ..

لو حاولت أن تمسكنى

لن ترى إلا فتافيت امرأه

لن ترى إلا فتافيت امرأه

لن ترى إى فتافيت امرأه

وماذا بعد؟ إن شاعرتنا ثورة عاقلة، ثورة على تقاليد القبيلة، ومع هذا فهى قبيلة فى انتمائها الذى لا تتخلى عنه تقول من قصيدتها " أوراق من مفكرة امرأة خليجية " :- (٢٢)

أنا الخليجية

الهاربة من كتاب ألف ليله

ووصايا القبيله

وسلطة الموتى

والتي تتحدى - حين تكون معك -

حركة التاريخ ، وجاذبية الأرض

أنا النخلة العربية الأصول

والمرأة الرافضة لأنصاف الحلول

فبارك ثورتى

إنها خليجية معتزة بانتمائها ، وهى هاربة من قصص ألف ليلة، التي تسلى فيها فارسها ، ومع هذا فإنها تتحدى عندما تتوحد معه ، متمسكين بجذور النخلة العربية ، التى ترفض الحلول المائعة ، ولهذا فهى تتمسك بانتمائها إليه عندما يبارك ثورتها .

---

(٢٢) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

ومع هذا التحدى فإنها لم تتخلّ عن أنوثتها ، التي تجعل منها قصيدة جميلة لعشيقها عندما تريد تقول :-

أنا قصيدتك المكتوبة بحبر الأنوثة

أنا عصفورتك

أنا جزيرتك

أنا كنيستك

فاسمع أجراس حنينى

واطرق الباب علىّ فى أى وقت تريد

وعلق على أهدابى أحزانك

ولا يمنع الأمر من أن يعيش إنسان في هذا العصر ويدعى أنه تقدمى ، بدعوى أنه قرأ واطلع ووضع نفسه فى زمرة المثقفين ، إنها تتقاطع معه، مع ادعائه التوازى . تقول من قصيدة " إلى تقدمى من العصور الوسطى " : - (٢٣) .

أمثقف ؟!

ويقول فى واد النساء

فأى ثقافة هذى .. وأى مثقفين ؟

أمثقف ؟؟

ويريد أن يُبقى حبيبته بسرداب السنين ؟

---

(٢٣) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٦٠ .

أتقدمى في كتابته ؟

ورجعى بنظرته إلى الأنثى

والمرجعية في ذلك كله إلى :-

فإن ضحكت له امرأة

يخاف عذاب رب العالمين!

يا من ينادى بالتسامح والعدالة

والتحرر فى الهوى

وما حكمها إذن ؟ إنها تتقاطع مع هذا الادعاء ، لأنها تتحرك في النور ، وتتكلم في النور تقول :-

آمنت أنك سيد المتعصبين

ما كان يخطر لى بأنك جاهلى

من غُلاة الجاهلين

فكرت أنك طبعة أخرى

ولكنى وجدتك

طبعة عادية كالآخرين !!

إن تجربة الحب فداء وافتداء ، تلبُّس دون التباس ، يمكن أن يبلورها شاعر قديم بقوله :- [٢٤] .

---

(٢٤) ديوان عنترة . مرجع سابق ، ص ٥٣ .

أيا عـــبلةُ مُنىً بطيف الخـــيال

على المســـتـــهـــام ، وطيبَ الرقاد

عـــسى نظرةُ منك تحـــيا بهـا

حـــشـــاشـــةُ منت الجـفـا والبـــعـاد

إن عنترة هنا يجد في طيف عبلة حياته ومسلاته . بل إن بعضهم بالغ متأثرا بالعقل لا بالعاطفة ، فلجأ هذا البعض إلى معان عقلية صرف ، يقول " أبو الشيص " إنه يستلذ اللوم فى حبها ، وإنه صار يحب أعداءه لأنهم يشبهونها فى الصد والبخل ، وإنه صار يهين نفسه لأنها مهينة عندها يقول أبو الشيص - أحد مشاهر شعراء الغزل في عصره :[٢٥] .

وقف الهـوى حـــيث أنت فليس لـى

مـــتـــأخـَّر عنـه ولا مُـــتـــقـدّم

أجـد المـلامـــــة فى هواك لذيـذة

حـــبـا لذكـرِكِ . قليلمنى اللُّـومُ

أشـبـهتِ أعـدائـى ، فـصـرت أحـبـهم

إذ كـان حـظـى مـنـكِ حظى مـنـهـمُ

---

(٢٥) شرح ديوان الحماسة ، التبريزي . مطبعة بولاق بالقاهرة ، ص ١٩٣٦ ، ط ١ ، جـ ٣ ، ص ، ١٧٤

وأهنتنى ، فـــأهنت نفـــسى عـــامـدا

مـــا مَـنّ يهـــونُ عليك ممن يُكرَمُ

هذا الخيال الطريف يتناغم مع خيال " سعاد الصباح " بل يتوازى معه عندما تقول من قصيدتها " الاتفاق " [٢٦] :-

تعال نجرب .. ولو ليوم واحد

هذه اللعبة المستحيلة

فأطلب أنا في الهاتف رجلا لا يعنى لى شيئا

وتدير أنت رقم امرأة لا تعنى لك شيئا

اسمح لى ..

أن لا أنشغل عليك إذا سافرت

وأن لاً أطير فرحا إذا رجعت

اسمح لى ..

ألا يلفنى القلق إذا مرضت

وألا أكون صديقة حزنك إذا حزنت

فاتفاق السلام الذى عقدته معك

يمنعنى أن أخاف عليك

---

(٢٦) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٧٨ .

ولكن هل يمكن أن يحدث هذا بين المحبين ، إنه اتفاق خرافى يتوازى مع الانتحار ، ولهذا تقول :-

اكتــب ..

صك إعدامك بيديك

وأنا سوف أكتب صك إعدامى بيدىّ..

تعال .. نجرب هذه الحماقة الكبرى

فأقول للعالم : إننى لا أحبك

تعال .. نجرب ولو على سبيل التمثيل

كيف يكون الانتحار

إن التوازى هنا في أن الشاعر القديم ، أحب أعداءها، وهذا مستحيل ، لأنه بالنسبة له انتحار ، كما أن الاتفاق الذى تصورت أن تبرمه سعاد الصباح انتحار ، كما أوفصحت في نهاية القصيدة . ولكنها عندما ترسو سفينتها على الشاطئ المسحور، تصف فارسها قائلة :[٢٧].

أأبا مــبــارك .. كنت أنت قــبــيلتــى

وجــزيرتى ، والشــاطئ المســحــورا

---

(٢٧) آخر السيوف . دار سعاد الصباح . مركز الطباعة الحديثة الكويت ، ط ١ ، ١٩٩١ .

يا خـيـمـتى وسط الرياح .من الذى

سـيـلـمُ بعـدك دمـعـى المنثـورا ؟

أنت الربـيـع فلـو ذكـرتك مـرة

صـار الزمـان حـدائقا وعـبـيـرا

إلى أن تقول :-

أنت السـفـينة ، والمظلة والهـوى

يا من غـزلت لى الحنان جـسـورا

غطيـتنى بالدفء منذ طفـولتـى

وفـرشت دربـى ، أنجـمـا وحـريرا

إن " سعاد الصباح " جماع صفات الشواعر (الشاعرات) العربيات ، اللاتى وقفت القبيلة فى وجههن ، ومع هذا فإن التاريخ يذكر عديدا منهن فى كل العصور ، كان ينبغى أن يحفل ديوان الشعر العربى بذكرهن ، " لأنه ليس مما يثير الدهشة أن تستجيب المرأة العربية لنداء عرائس الشعر ، بل العجب كل العجب فى ألا تفعل ذلك ، وأن تقف جامدة أمام دواعى إهاجة الشعور " [٢٨] .

---

(٢٨) د. رجا سمرين . شعر المرآة العربية المعاصر (١٩٤٥-١٩٧٠). دار الحداثة، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٣٨ .

لقد تغزلت المرأة العربية ، على ندرة ما وصل إلينا ، لأنه لم يكن مسموحا فى قانون القبيلة أن تجهر المرأة بحبها . ومن غزل النساء أبيات " شعرى اللخمية " فى ابن عم لها يقال له "عيسى"، بعد أن هددها أهلها بقولهم :- "إن نطقت فيه بشرع قطعنا لسانك "[٢٩].

خليلىّ إن أصعدتما أو هبطتما

بلادا هوى نفسى بها فاذكرانيا

ولا تدعا إن لا منى ثَمَّ لا ئم

على سخط الواشين أن تعذرانيا

فقد شف جسمى بعد طول تجلدى

أحاديث من عيسى تشيب النواصيا

سأرعى لعيسى الود ما هبت الصَّبا

وإن قطعوا فى ذاك - عمدا- لسانيا

وهذه عائشة التيمورية فى العصر الحديث تغنى أشواقها بلسان الرجل ، وقد شغل هذا نحو ثلث ديوانها . تقول الدكتورة بنت الشاطئ :- " إنه يسجل نقطة انطلاق في تاريخ المرأة

---

(٢٩) المرآة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله عفيفي . ط ٢ ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٣ ، ص ٦٨ .

العربية، بالتمرد على الكبت الذى طال ، كما أنه يسمعنا صوت الأنثى عن وجدانها ، بعد أن مرت بعصور كان هذا الصوت ينقله الشعراء "[٣٠] .

ومن شعرها الغزلى قولها من " مُخَمَّسة " :- [٣١] .

أفنيت صبرى فى هواك متيما

وقضيت عمرى فى جمالك مغرما

وتركت سرى بالتجلد مبهما

فأنلتنى تيها أباد وأعدما

حتى استبان لديك ما واريته

جفنى لبعدك بالصدود تأرقا

ومذاقُ عيشى مَرّ ، والسهد ارتقى

والقلب من نار الغرام تحرقا

قل لى بحقك يا غزال - متى اللقا ؟

يكفى من الهجران مالا قيته

---

(٣٠) د. بنت الشاطئ ، الشاعرة العربية المعاصرة . ص ٢٣ ، ط ١ ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة ، ١٩٦٥ .

(٣١) شعر المرآة العربية المعاصرة . مرجع سابق ، ص ٥٨ .

إنه تواز مع كان شائعا ، بل إنه يقترب من التوازى مع شعر القبيلة، ولكن " **سعاد الصباح** " كانت تتقاطع دائما مع شعر القبيلة ، بل ومع الشعر الذى كان سائدا تقول من قصيدة " عام سعيد " : [٣٢] .

يا سيدى

يا من يغيرّ فى أصابعه حياتي

يا من يؤلفنى ، ويُخرجني

ويكسرني ، ويجمعنى

ويشعل ثورتى ، وتحولاتى

أجراس نصف الليل رائعة

وهذا الثلج موسيقى تكلمنا

وأنا أصلى كى تظل تحبني

فاقبل صلاتي ..

إنه تقاطع بلا شك يخرج بنا عن المألوف في التعبير ، ليثير بلاغة جديدة تخرج عن الإطار التقليدى المتوازى ، فالحب سر ، والغرام أقصى ما يعبر به عن حالة الحب ، وانتظار اللقاء هو

---

(٣٢) امرآة بلا سواحل . سعاد الصباح ، ص ١٢ ، دار سعاد الصباح ، ط ١ ، ١٩٩٤ .

أقصى الأمنيات - أما "سعاد الصباح" فإن فارسها يكسرها ويجمعها ، ويشعل ثورتها ، ويشرف على تحولاتها .. إنها صلاة تقدمها للحبيب .

سيطرة الشاعرية والتكوين العقلي :

يقول المعرى :- (٣٣)

نهاني عقلي عن أمور كثيرة

وطبعي إليها بالغريزة جاذب

ويقول محى الدين بن عربي :- (٣٤)

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي

إذا لم يكن ديني إلى دينه دانِ

وقد صار قلبي قابلا كل صورة

فمرْعى لغزلان، وديرٌ لرهبان

وبيت لأوثان ، وكعبة طائف

وألواحُ توراه، ومصحف قرآن

---

(٣٣) أبو العلاء المعري . شروح سقط الزند . القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢١٢ ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، (د.ت) ط ١ .

(٣٤) محى الدين بن عربي . ذخائر الإغلاق وشرح ترجما الأشواق . بيروت ، ١٩٢٩ ، ص ١٤٣ .

أديـن بـديـن الحـب أنـى تـوجـــــهـت

وكـــائبـــه ، فـــالحـب ديـنـى وإيمـانـى

لقـد رأيت أن أقـدم لهـذه الفـقـرة من الدراسـة عن الشـاعـرة المجيدة " **سعاد الصباح** "، لأنها تعبر بصدق عن التقاطع والتوازى في الحياة، وهو ما أردت أن أكشف عنه في شعر "**سعاد الصباح**".

لقـد جاء شـعـرهـا عـذابا ومعـاناة وتضحـيـة وفـداء في سـبـيل الهدف، لقد كانت في شعرها منفية إلى وطنها، اتخذت منه تيارا يُعـمل العـقـل، ويمرن ليـضم خـريطة الحب في العـالم، بعـد محاولاتها أن يعم هذا التيار وطنها، وبقعتها التي تعيش فيها، أمجاده ومغانيه وربوعه، لم تكن هاربة بل كانت متمردة متقاطعة في تقاطع وتواز، يحققان لها الانسجام الروحي .

لقد كان امرؤ القيس مثلا ، صاحب مغامرة وجودية متمردة، لتحقيق الذات المغتربة الرافضة لقيم المجتمع بمعني أو بآخر وهذا مـا دعـا بعض النقـاد إلى اتهـام الفكر العـربي، والشـعـر بخاصة، بالرجعية والتعصب والجمود والتزمت، ومعاداة مشاعر الإنسان، بل ومعاداة الحياة، ومعاداة الحب. ومن هذا المنطلق جاء شـعـر شـاعـرتنا مـحاولة لاكتـشـاف جـديد، لعـالم الحب الممـزوج بالسياسة وقضايا المجتمع .

إن المرأة في واقع شاعرتنا ليست أداة تسلية ، تتميز علاقتها بالرجل بأنها مفرغة من القيم الإنسانية تقول شاعرتنا :- [٣٥]

---

(٣٥) فتافيت أمرآة . مرجع سابق ، ص ١٩ .

إن الأنوثة ضعف

وخير النساء هى المرأة الراضيه

وإن التحرر رأس الخطايا

وأحلى النساء هي المرأة الجاريه

بل إنهم لا يقبلون أن تقدم المرأة على البوح، البوح باللسان، أو البوح بالقلم، وهذا متقاطع مع ما نقل إلينا من تراث عربي شامخ لأديبات وشاعرات مثلن تضادا مع مجتمعهن وتقاليدهن وفي هذا تقول شاعرتنا :-

يقــولـون

إن الأديبات نوع غريب ..

من العشب ترفضه الباديه

وإن التى تكتب الشعر

ليست سوى غانيه

إن تكوين الشاعرة العقلى تكوين متقدم ، يستوعب الماضى والحاضر، ويستشرف المستقبل. إنه يتخطى المألوف، ويخرج عليه، سعيا نحو إعادة تشكيله برؤية جديدة ، يحترم المجتمع الذكورى غير المشلول، الذى يرى في نصفه الآخر قوة معينة على الحياة وقد تناولت شاعرتنا القضية بتشكيل فنى وفكرى متقدم، يجعل من العقل سيدا للمدركات، بعيدا عن الغرائز المريضة،

والتشكيلات القائمة على إلغاء العقل ، ومن ثم إنكار الفن الذي يقدم الحياة كأشهى ما تكون. إنها تقول [٣٦]:-

ماذا من المرأة يبتغون في بلادنا ؟

يبغونها مسلوقة

يبغونها مشوية

يبغونها معجونة بشحمها ولحمها

يبغونها عروسة من سكر

جاهزة للوصل كلَّ لحظة

يبغونها صغيرة ، وجاهلة

هذى هى الوصايا العشر

فى حفظ تراث العائله

إنها تستثمر الخطأ الاجتماعى بلمسة فنية رامزة ، بعيدة عن التشكيل البلاغى السلفى . ثم تضع عبارة " الوصايا العشر " لتكون دالة من موضعها الجاد أو الساخر ، لتضيف إليها "تراث العائله " الذى يعنى بشكل المجتمع دون جوهره ، الذى يحافظ على الشكليات دون ماهية الأشياء وقيمتها .

---

(٣٦) خذني إلى حدود الشمس . دار سعاد الصباح ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ٨٩ .

وتمتد فى بلاغتها للحديث عن مظاهر الزيف الاجتماعى فى مدينة موسيقاها (صياح الديكة) و (صهيل الخيول) ، لأنها بهذا مفرغة من الجوهر الذى تبحث عنه شاعرتنا .

إذا .. ماذا تعنى الحرية لدى شاعرتنا .. لقد عثرت على الكنز، إن الحرية في الحرف، الذي يبثه القلم على جبهة الورق. إنها تفزع من مكونات المرأة الشرقية الواقعة فى إسار الإنسان العربى، العاشق لعنصره، عنصر الذكورة تقول: (٣٧)

أريد أن أكتب لك..

أو لغيرك ..

أو لأى رجل فى المطلق

أريد أن أقول للورق

مالا أستطيع قوله للآخرين..

فالآخرون

منذ خمسة عشر قرناً

يتآمرون ضد الأنوثه..

أريد أن أفتح ثقبا فى لحم السماء

---

(٣٧) قصائد حب . دار سعاد الصباح . الكويت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٢٤ .

فالمدينة التى أسكنها

لا تطرب إلا لصياح الديكة..

وصهيل الخيول ..

وشهيق ثيران المصارعة ..

إن قضيتها ليست قضية فردية ذاتية، لذا فإنها تخاطب (أى رجل) في المطلق، ثم إنها تخاطب الورق الذى جعلت منه (آخر) غير الآخرين من البشر الذين لا تستطيع البوح لهم، فهم متربصون بالأنثى منذ (خمسة عشر قرنا) . وهى كذلك ترفض مدينتها ولا تطلب مدينة بديلة ، ولكنها تستنجد بالسماء (ثقبا في لحم السماء)، لأنها تعيش تراكمات تاريخية، جعلت منها شكلا مستسلما، اختنق فيه الحضور الفاعل ، والقدرة على الإبداع، إنها " ترى الحب بعين تشكل نقطة الضعف عند جميع النساء، هذا العشق الذى حرِّم إعلانه، ولكنه يبقى في أعماقها قوة سلبية يحرمها التمييز بين الحق والباطل ، بين الحلال والحرام " [٣٨] .

لقد استطاعت " **سعاد الصباح** " أن توائم بين قدرتها الشاعرية وتكوينها العقلى ، فهى شاعرة بالسليقة ، ولكنها لا تغلِّب الأنغام على الفكره وهو ما كان يعيب كثيرا من الأشعار التقليدية ، حينما كانت تحكمهم الأوزان أكثر مما كانت تحكمهم الأشجان ، وأية

---

(٣٨) هدم وبناء . د. مها خير بك ناصر . منشورات شركة النور ، بيروت ، ط ١ ، (بدون تاريخ) ص ٣٩ . ١٣٠

أشكال طرحتها أشعارهم لم يكن الفكر فيها إلا نثارا من الأشياء تقول :- [٣٩] .

منذ مائة عام

وأنا أحاول أن أكسر دائرة الطباشير ..

التى حبستنى فيها

وخبأت مفاتيحها في جيبك

منذ مائة عام

وأنا أحاول أن أقنعك باحترام حقوق الإنسان

وحقوق الأنوثه

ولكنك .. ككل ذكور القبيله

بقيت مُصرًا على الاحتفاظ بممتلكاتك ..

التي لا تغيب عنها الشمس

وبقيت رافعا أعلامك الحمراء

فوق أسوار ذاكرتى

إن الموهبة الشعرية الممزوجة بالفكر التقدمى هى التى استطاعت أن تجعل من شاعرتنا قيادة ماهرة في عبارات كانت

---

(٣٩) خذني إلى حدود الشمس . سعاد الصباح (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .

تحمل كل الجدة (حقوق الإنسان، حقوق الأنوثة، ذكور القبيلة، ممتلكاتك، أسوار ذاكرتى). إنك تحار بين الملاحظة البلاغية والتشكيلة الفكرية، وهو ما يميز شعر شاعرتنا. إنها لم تكن تطل على صورها الجمالية إطلالة خارجية، بل كانت تغوص في الحقائق الكامنة، وهذا ما جعلها من خلال تصور جاذب تقول للرجل، ممثل المجتمع الذكورى القبلى:[٤٠]

أيا قادما من كتاب الغبار

بعينيك ألمح عصر المماليك حيا

وألمح سوق الجوارى

تصرف ..

كما كان يوما جدودك

يستملكون النساء

كأى عقار

إنها تقطِّع الجمل من خلال دلالات فنية ذهنية خاصة ، فهى تضع (أيا قادما) فى سطر مستقل لتلفت انتباهه ، وكأنه القادم الآخر الذى لا يدرى أنه قادم ، ثم (يستملكون) حيث إن السين والتاء تفيدان الطلب ، فالرجل يطلب المرأة كما تُطلب السلفة، يطلبها من صاحب متجر القبيلة التى تروِّج لبضاعة سلفية مقيتة، تجعل من المرأة شيئا مهملا لا قدرة له. وهنا تقول لهذا القادم :-

---

(٤٠) أمرآة بلا سواحل . سعاد الصباح (مرجع سابق) ، ص ١٥١ .

أيا الجاهلى المخضرم

يا راجعا من فرنسا ..

على فرس من حديد

وفي شفتيه حليب النباق

وطعم الثريد

أما صقلتك الحياة قليلا ؟

أما هذبتك النساء قليلا ؟

أما علمتك مقاهى المدينة ..

أى كلام جديد ؟

ويتجلى النقد الاجتماعى فيما تلتقطه الشاعرة من إذعان المجتمع الذكورى لموروث القبيلة دون مناقشة ، حتى وإن أظهر غير ذلك ، إنه مجتمع متناقض ، يعيش الحضارة من الظاهرة، وأعماقه قبلية حتى في بلاد حقوق الإنسان ، وسيادة القانون " فرنسا " ، فهو يردد شعارات الحضارة إيها ما للآخرين بالعصرية، واستيعاب الحضارة ، إلا أنه يعيش منقسما على نفسه، وهو ما يخلق ذلك الاضطراب العقلى عند الشرقى ، وهو أيضا ما يدفع شاعرتنا بعقلانية إلى الرفض العقلى المصطبغ بقدرة فنية على الإخراج المؤثر . تقول :- [٤١] .

---

(٤١) فتافيت أمرآة (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

يا من ينادى بالتسامح والعدالة ..

والتحرر في الهوى

آمنت أنك سيد المتعصبين

ما كان يخطر لى بأنك جاهلى ..

من غُلاة الجاهلين

فكرَّت أنك طبعة أخَرى

ولكنى وجدتك

طبعة عادية كالآخرين

إنها هنا توظف - فى سخرية - المفاهيم الجميلة مع الممارسات المزدولة، فهو - أى الرجل - ينادى بالتسامح والعدالة، بل والتحرر فى الهوى ، لأنه سافر واختلط بآخرين ممن يشقون هذه المفردات بعقلية مرنة متفتحة ، ولكن الرجل الشرقى يظل جاهليا جاهلا، فقد استخدمت (جاهلى) نسبة إلى العصر الجاهلى ، وغلاة الجاهلين نسبة إلى الجهل ، ولم يصنع ذلك على ما يتبادر للذهن ضرورة الوزن (مستفعلن)، ولكنها أتت فى دلالة بالغة على الجهل، مع استخدام كلمة (طبعة) وهو استثمار جيد لمفردات عصرية، وإخضاعها لمجال الشعر والفن .

إن شاعرتنا تحب حتى النخاع، ولكنها لا تسكت عن بلورة سلبيات الرجل، الذى نقل من الأنثى بعض صفاتها وخصوصياتها،

فهو يصفف شعره بعناية بالغة، ويهتم بمظهره أكثر من مخبره، إنه يشترى الكتب ليبدو محترما للفكر والثقافة، ولكنه يختزنها ولا يقرؤها تقول له :- (٤٢) .

مشكلتك الكبرى

أنك مصفح ضد الحب

وضد الشعر

وضد الحنان

(...)

مشكلتك الكبرى

أنك تشترى الكتب ولا تقرؤها

ثم تقول له :-

مشكلتك الكبرى يا صديقى

أنك تختزن في ذاكرتك ..

كل الأفكار السلفيه

وكل الكلمات المأثوره

---

(٤٢) في البدء كانت الأنثى ، سعاد الصباح . رياض الريس للنشر . لندن ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣١ .

وكل ما ورثته عن أجدادك ..

من نزعات التملك ..

والسيادة

والتعددية النسائية

إلى أن تقول له في فنية شاعرة ، ونقد لانها :-

مشكلتك الكبرى

أنك رغم كلامك عن الحداثة

لست حديثا

(...)

ورغم كثرة أسفارك

فإنك لم تبارح خيمتك

إنها تعمد إلى السرد الشعرى الذى يدخل أحيانا في الشكل القصصى الخاطف الذى سرعان ما يفر من عالم القص إلى عالم السرد ، كل هذا فى فنية ، تجعلنا نتعلق بقضيتها الفكرية ، وبممارستها الإبداعية الجديدة ، إنَّها تدعو بنات جنسها إلى حضور فاعل ، يرفض الخوف ، ويتسلح بالقوة فتقول :- [٤٣] .

---

(٤٣) امرآة بلا سواحل ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

ليس في إمكانهم

أن يقمعوا صوتى ..

ولا أن يقمعونى ..

ليس في إمكانهم ..

أن يوقفوا برقى ..

وإعصارى ..

وأمطار جنونى ..

إنها تخرج من ذاتها المستسلمة ، وتتملص من إرثها ، حتى تعثر على الأنموذج فى الرجل ، وهذه هى قضيتها . إنها لا ترفض الرجل ولا تستغنى عنه ، ولكنها تبحث فيه عن الشكل الذى ترتضيه ، والذى يرضيه عنها البعد عن المظاهر البراقة تقول: ❖[1]

لا العطر يدهشنى

ولا الأزهار تدهشنى

ولا القمر البعيد

ماذا سأفعل العقود وبالأساور ؟

(....)

❖ ١ امرآة بلا سواحل ص ٢١ (مرجع سابق).

ماذا سأفعل فى كنوز الأرض ..

ياكنزى الوحيد

وماذا إذن يكون سلاحها في هذه المعركة ؟ إنه ❖٢

أتحداهم بشعرى وبنثرى

وصراخى ، وانغمارات دمائى

(....)

ما تعودت بأن انظر يوما للوراء

فلقد علمنى الشعر بأن أمشى .

ورأسى فى السماء

إن هذا الشعر يبدو تصورا ذاتيا لما سيحدث فى المستقبل، فهى إذن تحلم ، وتمد عواطفها الشعرية نحو لقاء الذروة، حينما تلتقى بفارسها وقد خلع ثوب القبيلة ، وعايش العصر بمعطياته الإيجابية .

إنها تتقاطع مع الوراء ، بل إنها ترفض هذه الأشكال السلفية ، التى دفنت المرأة مع وجدانها ، ودفنت الرجل وجعلته غير قادر على أن يواصل قصيدة الحب الجميلة ، البعيدة عن إرهاب القبيلة ، وزيف تقاليدها تقول :- (٤٤) .

❖ ٢ امرآة بلا سواحل ص ١٣٨ (مرجع سابق) .

(٤٤) القصيدة أنثى والأنثى قصيدة ص ٨٢ . دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣، ط ١ .

يا سيـدى ..

سوف أظل دائما أقاتل

من أجل أن تنتصر الحياه

وتورق الأشجار في الغابات

ويدخل الحب إلى منازل الأموات

لا شئ غير الحب ..

يستطيع أن يحرك الأموات

إن شعر " **سعاد الصباح** " يتميز بتحقيق المبنى المتوازى مع قواعد الفن ، المتقاطع مع السائد الوراثى ، وهو ما يمنح القصيدة لونا جديدا لم يكن موجودا فى شعر التراث التقليدى، إنها تلتفت إلى العناصر الصغيرة التى تهيئ نظام المبنى العام للقصيدة، وهو ما ييسر الجانب التحليلى، ويبرز العنصر الدرامى، وجعل هذا التناغم مجالا واسعا لتيار عميق فى تمرس واضح يمهد لكل من المكان والزمان للتواجد إن سمعا وإن نظرا فى جو نهارى مشمس، واضح الجوانب - متميز العناصر- يمثل ثورة فنية على القصيدة التى لم تعد تتلبس بالحلم فحسب، بل جمعت الناس- كل الناس- فى صورة واقعية طبيعية. ويمكن القول بأن قصيدة " **سعاد الصباح** " قصيدة اعترافية، بل إنها فيض اعترافى لمواجد ذاتية، تمثل جزءا من تاريخ عاطفى متخيل أو حقيقى. بل إنها رؤية للحركة الجماعية التى تحاول الشاعرة -جاهدة - أن تبتعد بها

عن الذات، ترسم وتنتقد، وتجمع فى صورة فنية رائعة بين الرسم والنقد معا .

إنها لا تجرب ، ولكنها تستكشف الطريق ، جامعة كل الروافد الغنية لتشكل التيار الكبير الذى تروده " **سعاد الصباح** " تقول :[٤٥]

يقولـون :

إنى كسرت رخامة قبرى...

وهذا صحيـح

وإنى ذبحت خفافيش عصرى...

وهذا صحيح

وإنى اقتلعت جذور النفاق بشعرى

وحطمت عصر الصفيح.

فإن جرحونـى...

فأجمل ما فى الوجود غزال جريح

وإن صلبونى ، فشكرا لهم

لقد جعلونى بصفًا لمسيح...

إنها تبنى أفكارها على أساس الانتقال بعالم الرجال إلى دنيا متآلقة ، تعرف للمرأة حقوق الصحبة والألفة والرعاية . إنها ثورة

---

(٤٥) القصيدة أنثى والأنثى قصيدة ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

إنسانية تتجه نحو بناء كيان متوحد صحيح ، لا يقوم على سيادة الرجل وسلبية المرأة لأنهما جسد واحد يتحرك عبر الزمن في حاضر متآزر، ومستقبل متضامن آمن . ثم إنها فى دعوتها التقدمية لا تتعارض مع الارتباط العقدى الأصيل وهى تعلن ذلك:- [٤٦] .

وها أنذا

قد شربت كثيراً

فلم أتسمم بحبر الدواة على مكتبى

وها أنذا ..

قد كتبت كثيرا

وأضرمت في كل نجم حريقا كبيرا

فما غضب الله يوما عليّ

ولا أستاء منى النبي

بل إنها تتحرك نحو النقد الاجتماعى، الذى يرجع بعض التخلف إلى تأثير النفط الذى خلق الدَّعة، والركون إلى الكسل، والاتكاء على تراث القبيلة، والادعاء الأصولى تقول:[٤٧]

---

(٤٦) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٤٧) القصيدة أنثى . مرجع سابق ، ص ٣٠ .

يا صديقى :

إن عصر النفط ما لوثني

لا .. ولا زعزع بالله اقتناعي

(...)

كل ما حولي ..

فقاعات من الصابون والقش،

وتلجأ إلى الرجل فتقول :-

فكن أنت شراعي...

إنها تلجأ إلى فارسها ليكون لها مرفأ الأمان ، المشارك في التفكير والحوار ، لأنها امرأة جديدة ، تدرك معنى الثقافة وأهميتها تقول :- [٤٨] .

كن صديقى

كن صديقى

ليس في الأمر انتقاص للرجوله .

غير أن الرجل الشرقى لا يرضى بدور

غير أدوار البطوله

(...)

---

(٤٨) في البدء كانت الأنثى . ص ٩-١٢ مرجع سابق .

فلماذا تهمل البعد الثقافي ..

وتُعنى بتفاصيل الثياب

(...)

كن صديق ..

فأنا محتاجة جدا لميناء سلام

وتقطع على فارسها عهدا فتقول :- [٤٩] .

أعدك أن أكون وطنك

فعدني أن تكون عاصمتى

أعدك أن أكون سفينة أحلامك ..

فعْدني أن أكون آخر مرافئك ...

وعدتُك أن أكون غيمتك

فعدْنى أن تكون مطري ...

وهى تشارك في كل شئ، بعد أن سَّوت قضاياها مع الرجل المحب، لتعود إلى الرجل الحاكم فماذا تراها قائلة:[٥٠]

كلما حدثني الحاكم عن عشق الجماهير له

---

(٤٩) في البدء كانت الأنثى . مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٥٠) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ١٢٩- ١٥٣ .

وعن الشورى ، وعن حرية الرآى ....

بكيت

كلما استجوبنى بوليس قطرٍ عربي ..

عن تفاصيل جوازى..

عدت من حيث أتيت..

لماذا ؟ [٥١]

فعصر المباحث صادَرَ منا السماء

وصادَرَ منا الحقائب ، صادَرَ منا السفر

وأدخل للسجن ضوء القمر!!

وتبلغ قمة الثقافة والفكر عندما تقول :- [٥٢]

تتشابه كالرز الصينى ..

تقاطيعُ القتله

مقتول يبكى مقتولا

وحذاء يُدفن قرب حذاء

---

(٥١) خذني إلى حدود الشمس . (مرجع سابق).

(٥٢) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ، ١٦١

لا أحد يعرف شيئا عن قبر الحلاجِ ..

فنصف القتلى في تاريخ الفكر ..

بلا أسماء

إن الثقافة والفكر لديها لم يعد يترك لميراث القبيلة إلا القامة المرتفعة أمام التحديات الاجتماعية ، بل الاغتصاب التاريخي، لأن تاريخ العرب مغتصب ، ولم يعد لهم منه إلا ذلك الفتات ، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، ولهذا كان زمن الانهيارات :- [٥٣] .

يا زمان الانهيارات شبعنا ..

من دكاكين السياسات ، وغش اللاعبين

يا زمان الانكسارات .. لماذا ..

يلثم الشعر نعال الفاتحين

ماذا جنى البطل (الريفي) يوم دعا

قوماً هم في ديار الغرب (أسبان)

في كل يوم لكم في الشرق مجزرة

يشيب منها صبيات وصبيان

ومن الواضح أن الشاعر قد اتخذ من هذه المناسبة طريقا إلى رصد مواقف الاستعمار الغربي مع الشعوب العربية في أقطارها

---

(٥٣) في البدء كانت الأنثى . قصيدة دعاء ص ٧٩ (مرجع سابق) .

المختلفة ، وقد حظى الاستعمار البريطاني بأكثر أبيات القصيدة ، لأنها كانت تستعمر كثيرا من البلدان العربية، مما جعلها هدفا لحديثه عن مأساة هذه الأمة مع الاستعمار .

السياحة الجمالية وآفاق اللغة :

اللغة وعاء الفكر ، ولا يمكن للفكر أن يتخلى عن فلسفة جمالية ، لهذا كان لابد أن يتحرك مع شعر " **سعاد الصباح** " على أنه يمنح من لغة تحمل مفردات متميزة ، ومن ثم جماليات متميزة. والشئ الذى لحّظته هو أن شعر " سعاد الصباح " يمكن أن يكون قصيدة واحدة ، مجالاتها متآزرة ، وموضوعها الإنسان ، الإنسان في مجملة ذكرا وأنثى . إنها عندما تتحدث عن الأنثى تعتبر الرجل هو الآخر الذى تنبغى حمايته من غوائل النظم الاجتماعية، وعندما تتحدث عن الرجل تعتبر الأنثى هي الآخر الذي ينبغى أن نرتقع به عن المواصفات الاجتماعية المرفوضة ، وهى بهذا الرفض ترفض من أجل مصلحة الإنسان ، الكائن الأثيرى الذي تحبه " **سعاد الصباح** " وتدافع عنه .

إنها تؤمن أنه لا حدود في الشعر ، والقصيدة الصغيرة تضم عالما كبيرا ، لأنها تضم بعدا وجوديا متصلا بالعالم ، ومرتبطا بأجزائه ، ولهذا تجد شاعرتنا في حالة تقاطع وانم مع اللغة الجامدة ، وهى أيضا في حالة تواز محمود عندما تهجر التوازي الراضح ، إلى التوازي الدافع تقول :- [٥٤] .

---

(٥٤) المرجع السابق . قصيدة لجوء غير سياسي ص ١٠٥ .

دعوت الله ذات ليلـه ..

أن يحررنى من حبـك

فاستجاب الله لدعائـي

وحوَّلنى إلى حجر ..

إنها تصهر اللغة بحالتها ، وتمزج حالتها بالزمن ، بعيدا عن أن يكون توليفا للكلام ، بل توظيفا للغة المتماسة مع الحالة، وبُعداً عن تنميط حالة الشعر ، بل الشعر نفسه تقول :- (٥٥) .

أصرخ : أحبـك

فتترك الحمائم سقوف الكنائس

لتُعمّر أعشاشهـا

فى طيات شعرى ..

إنها الصورة الشعرية المحدثة ، التى لا تعتمد على التجزيئ البلاغي ، بل على السياق اللغوى ، بآفاقه ، الذى يجلى التعبير الجمالى فى سياق متساوق في القبل والبعد تقول :- (٥٦).

عندما أرقص معك

يصبح خصرى سنبلة قمح

---

(٥٥) قصيدة أطول نهر في العالم . المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٥٦) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ١٦ (قصيدة / فيتو على نون النسوة)

ويصبح شعري

أطول نهر في العالم...

إن الصورة الشعرية تمثل للغة ، لكي تصل إلى الهدف الشعري تقول [٥٧] .

يقولون :

إن الكتابة إثم عظيم..

فلا تكتبي

وإن الصلاة أمام الحروف .. حرام

فلا تقربي

وإن مداد القصائد سم..

فإياك أن تشربي

وها أنذا

قد شربت كثيراً

فلم اتسمم بحبر الدواة على مكتبي

وها أنذا..

قد كتبت كثيراً

---

(٥٧) في البدء كانت الأنثى . مرجع سابق ، ص ٤٥ .

وأضرمت في كل نجم حريقاً كبيراً

فما غضب الله يوما على

ولا استاء منى النبي..

إنها مواجهة بالكلمات المشحونة بالتوتر ، ولن يستطيع الوصول إلى مكنون هذه المفردات إلا حس متمرس ، وفكر طيع ، وفطرة تتناول الأشياء كما تتناول الغذاء تقول :-[٥٨] .

أخشى جدا ..

ألا يبقى غيم ..

أن لا يبقى مطر

أن لا تبقى أشجار الغابات

ولذا .. أرجو أن تزرعنى ما بين الكلمات

إن التلقائية تضع الصورة عند شاعرتنا ، وهو ما يقربها إلى ذائقة المتلقين ، لأنها لا تصف فقط حالة العشق بل تتلبسها فيصبحان شيئا واحدا ، في جدلية إبداعية تخترق حجب العتمة لتخرج إلى متسربات الضوء ، فتحدث الانبثاق والكينونة في ذوبان رائع بين القصيدة والمتلقي تقول :- [٥٩] .

---

(٥٨) قصائد حب ، مرجع سابق ، ص ٢١ - ٢٣ .

(٥٩) المرآة واللغة . عبد الله محمد الغذامي ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ص ٨١، ١٩٩٦ .

أريد أن أكتب..

لأتخلص من فيضاناتى الداخلية..

التى كسرت جميع سدودى

أريد أن أتخلص من هذا الفائض الكهربائى

الذى يحرق أعصابى..

ومن هذه البروق ..

التي تركض فى شراييني

ولا تجد مكاناً تخرج منه..

وهى هنا لا تكتب للمجهول ، إنها تكتب للآخر المقصود ، الذي لا يبرح مخيلتها ، بل إنه يحتلها تقول :- [1]

أريد أن أكتب إليك...

لا لأرضى نرجسيتك ، كما تظن

ولكن .. لأحتفل

ربما للمرة الأولى

بميلادي كامرأة عاشقه..

وبتفجير انفعالاتي في وجه هذا العالم

❖ ١ ، ❖٢، ❖٣ نفس القصيدة من المرجع السابق .

فماذا تحقق الكتابة لها ، لذاتها ، لوجودها :- [٢٥]

إن الكتابــة...

تبتكر لى جناتٍ صناعيه

لا أستطيع دخولها..

وتعطينى حريـة..

لا أستطيع ممارستها..

وتخلق لى جزراً لا زورديـة..

لا أستطيع السفر إليها ..

إذن .. الكتابة تحقق لها مالا يحققه الآخرون تقول :- [٣٥]

الكتابة إليك

هى صمام الأمان الذي يمنعنى من الانفجار

والمركب الوحيد الذى أصعد إليه ..

حين تمضغنى العاصفة

لقد خرجت شاعرتنا من عالم الحكى ، إلى زمن الكتابة ، وقد دخلتها وهى سيدة النص، لأنها أصبحت ناتجا ثقافيا خرج من إطار سلطة الذكورة إلى مرحلة جديدة هى محاولة المصالحة مع الآخر (الذكر) بشروط حضارية ، تستثمر عبقرية الرجال إلى جانب عبقريتها، لتخلق العبقريتان معا نسقا لا تخضع العاصفة

فيه المرأة ، لأن الرجل حينئذ سيكون نسيما حانيا ، يرطب الحياة، ويتصالح مع التطور .

فى عصر " شهزاد " كانت المرأة تتكلم ، وكان الرجل صامتا ، وكان في كلامها مواجهة لعالم الذكورة ، حتى لا تقع تحت طائلة الموت التي كان يملكها الرجل . وكان هذا التحدي يبرز ما يسمى "سحر البيان " الذي تمخضت عنه ثقافة شاعرتنا ، والذي جعلت من اللغة سلاحا تنفذ به إلى قلب المجتمع الذكوري، أى إلى قلب الرجل .

إنه عالم اللغة الذي يتحرك على خريطة الثقافة، والذي يراوغ الرجل، الذي كان ينتج المعرفة ويستهلكها، بطريقة حكايتة تميزت بها المرأة،" لأن الحكى أصيل وأنثوي"[٦٠] .

إن القصيدة المستخلصة من المنطقة الشعرية الهائلة الاتساع، هى التي أحرزت انتصارا هائلا في دنيا الإبداع النسوى للمرأة الشاعرة، من خلال " **سعاد الصباح** " تقول:[٦١].

أصعد إلى سقف القمر

لأقطف لك قصيدة ..

وأصعد إلى سقف القصيدة

---

(٦٠) قصائد الحب . مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

(٦١) ديوان " صالح الشرنوبي" . ط ١ ، دار النشر المصرية ، ١٩٥٣، ص ١١٦ .

لأقطف لك قمراً ..

أصعد إلى فضاءاتِ

لم تصعد إليها امرأة من قبلى

وأرتكب كلاما عن الحب

لم ترتكبه سيدة عربية قبلى ..

ولا أظن أنها سترتكبه بعدى!!..

وتزيد قائلة :-

أتورط معك

حتى نقطة اللارجوع

وأمشى معك بلا مظلة

تحت أمطار الفضيحه..

أذهب معك

إلى آخر نقطة في اللغة

وآخر نقطة فى دمى..

حتى أستحق أن أكون حبيبتك...

إن المجال اللغوى يندمج فى مجال التجربة ، ليكونا في النهاية الهدف " حتى استحق أن أكون حبيبتك " وهى المصلحة التي تجنيها من التجربة ، إنها المصالحة ، لأن المرأة لاتستطيع أن

تستغنى عن الرجل ، وإلا ما كانت حياة ، ولا وجود . لهذا كان لابد أن تقول :-

يا أيها القديس الذي علمنى

أبجدية الحب ..

من الألف إلى الياء ..

ورسمنى كقوس قزح

بين الأرض والسماء ..

وعلمنى لغة الشجر..

ولغة المطر..

ولغة البحر الزرقاء ..

أحبك ..

أحبك ..

أحبك ..

إنها ملحمة جمالية لغوية تحقق للغة آفاقها ، فى سياحة جمالية ، لا يستطيع كل من الرجل والمرأة الفكاك منها .

الشاعرة والوطن :

يصح أن نطلق على شاعرتنا " الشاعرة الكويتية " لأنها تعيش الوطن حالة ، وتعيش الوجود وطنا أكبر ، لأنها بتكوينها لا تخضع

للتعريف الجغرافي للوطن ، مساحة وتضاريس ومناخا ، لأن هذا لا يعنى الشعر ، أما الذي يعنى الشعر فهو الوطن الكون ، الذي عبر عنه الشاعر بقوله :- [٦٢] .

شـــاعـــرُ الكون لا يقـــيـــده الكون

وإن ضـــــمَّـــــه تـراب ومـــاء

ســـاحـــر النور والظلام وكم يســـمـــو

فـــتـــفـنى فى نوره الـظـلـمـــاء

هو قلب الحـــيـــاة لاشـــدو إذا غنت

ويبكى إذا شـــجـــاها البكاء

قلق كـــالحـــيـاة تقـــتله الأغـلال

وهـو المـقـيـــــــد الـعـــداء

يســـــتـلـذ الآلام فى نشـوة الـوحـى

وفـــيـــهـــا الـدواء والأدواء

شـغـلـتـه عن الحـيـاة مـعـانيـه

وأغـــــراه بـالـدفـين الـطـلاء

---

(٦٢) فتافيت امرآة (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ .

فـاسـتـحـال الظهـور فـيـه خـفـاء

واحـتـوى الكون كـون الوضّـاء

إن الطبيعة وطن شاعرتنا بكل ما فيها من رواء بديهى ، يزينها الكوخ والصحراء ، وينبت فيها الورد ما دام في هذا الوطن حبيبها، ولهذا فإن صباحها شاعرى حالم ، يعبق فيه أريج الورد ، ويزينه قيد الحبيب ، لأنه قيد محبب ، وهى تنكر أن الحب قيد تقول :- [٦٣] .

جـنـتـي كـوخ وصـحـراء وورد

وحـبـيـب هو لـى عـبْـدُ وربُّ

وصـبـاح شـاعـرى حـالـم

أتـغـنـى فـيـه بـالحـب وأشـدو

وأرد الـقـيـد عـن حـريـتـي

كـاذب من قـال إن الحب قـيـد!..

وأرى الـصـحـراء مـلـكـي وأنـا

وحـبـيـبـي بالأمـانـي نـسـتـبـد

إننى أري بعيني محب ، كل ما أمامه جميل رائق تقول :-

---

(٦٣) امرآة بلا سواحل . مرجع سابق ، ص ٦٥ .

وأرى الـرمـل قـــــصـــوراً ، وأنـا

بـذُراهـا ، فـي جـلال المُلـك أبـدو

وأرى الـصـــــبـار أحـلـى زيـنـتـي

فـهـو لـى تـاج وخلخال وعِـقـد

وأرش الحـنـظـــل المـــرَّ مُـنـي

فـإذا الحنظل في كـفـىّ شـهـد

وأرى الـقـــفـر ريـاضـاً غـضـة

أنـا فـيـهـا ظبـيـة تلهو، وتعدو..

إنها أحلاما ، رغم الدوّر المتقاطع مع تضاريس مجتمعها الذكوري :-

يا حـبـيـبـي ، هـذه أحـلامنـا

آه لـو يـصـدق لـلأحـلام وعـد..

وتعلن انتصارها للوطن الكبير ، لأن قضيتها قضية عامة ، تريد من خلالها أن تنتصر لبنات جنسها فتقول :- (٦٤) .

فـى داخلـي..

مسيرات نسائية طويلة..

---

(٦٤) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٤٢ ، "اوراق من مفكرة امرآة خليجية" .

تبـدأ من طنجة

وتنتهي في حضرمـوت

وشعارات مكتوبة بأحمر الشفاه..

وأعلام مصنوعة من خيوط جوارب قديمة..

واحتجاجات ضد نظام الحزب الواحد

والرجل الواحـد..

والفراش المتعدد الجنسيات...

إنه الصوت الذي يجعل من الكويت مركز الدائرة ، فهي نخلة تشرب من بحر العرب تقول :- [٦٥] .

أنا الخليجيـة

التي يمر من بين شفتيها خط الأستواء

وعلى خيطان دشداشتها

تتجمع مراكب النواخذه .. ولقالق البحر

ونجوم الصيف المتساقطه ..

مـن حدائـق الله...

---

(٦٥) في البدء كانت الأنثى . مرجع سابق ، ص ٢٤ ،

الشاعرة والآخر :

إن الرجل هو الآخر في حياة كل أنثى ، ولكن هذا الآخر فى حياة شاعرتنا ، محبوب من نوع معين ، هي التي شكلت حياته ، أو حاولت ، ليثور على تقاليد المجتمع المرفوضة ، ويسير معها في طريق يصنع الحياة ، وهي في سبيل هذا تعلن اسمه مهما واجهت تقول :- [٦٦] .

أسميك .. رغم احتجاج قريش ..

" حبيبي "

ورغم احتجاج كليبٍ ..

" حبيبي "

وهى تطلب منه أن يكون حبيبها بالمعنى الحضاري ، وليس بالمعني القبلي تقول :- [١]

هذه الدائرة التي رسمتها بالحبر الصيني

حول فكري وذوقي وعاداتي

حول كل بوصة من جسدي

.....

---

(٦٦) امرآة بلا سواحل . مرجع سابق ، ص ٧٢ .

[١] المرجع السابق ، ص ٨٦ .

هذه الدائرة ...

بدأت تأخذ شكل المعتقل

فلا تضيق الدائرة علىّ كثيراً

لأنني أريدك حبيبي ، لا سجاني..

وكذلك يكون المجتمع في حياة كل إنسان ، بل في حياة شاعرتنا التي تريد أن تغير تضاريس الحياة ، والمجتمع هنا هو الآخر باعتباره كلا يضم أحباءها المقربين ، وحبيبها المنتقي ، لذا فإننا نرى أنها توازي بين حديثها عن المجتمع من خلال الرجل تقول :- [٦٧] .

يا سيدي :

سوف أظل دائماً أقاتل

من أجل أن تنتصر الحياة

وتورق الأشجار في الغابات

ويدخل الحب إلى منازل الأموات

لا شئ غير الحب ..

يستطيع أن يحرك الأموات..

والآخر الغازى المخادع ، الذي تناسى أخوة الكويت ، وصفاء

---

(٦٧) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ص ٣٥

الكويت ، والذي أعلنت صفاتها في شعرها ، وكأنما كانت تتنبأ بالخديعة الكبري تقول :- [٦٨] .

فى الكويتيات شئ من طباع البحر فادرس ..

قبل أن تدخل في البحر- طباعى..

.....

لا يغرنك هدوئي ..

فلقد يولد الإعصار من تحت قناعى..

إننى مثل البحيرات صفاء

وأنا النار ..

بعصفى واندلاعي...

وتقول وكأنه النبوءة :- ❖١

أيها السيد .. إنى امرأة نفطية

تطلع كالخنجر من تحت الرمال..

تتحدى كتب التنجيم ، والسحر..

وإرهاب المماليك ..

وأشباه الرجال ...

---

(٦٨) برقيات عاجلة إلى وطنى . ص ٤٣ ، ص ٤٥ . دار سعاد الصباح ، ط٥ ، ١٩٩٧ .

❖١ المرجع السابق، ص ٣٥ .

وتكشف الستر ضد الغزو الغاشم فتقول :- [٦٩] .

أيها الجار الذي هدَّم داري

وأنا عمّرت فى قلبى له ركنا ودارا

.....

يا الذي أهديته الماء ، وأهداني الصحاري

يا الذي أهديته الأفق ، وأهداني الحصارا

يا الذي أهديته نصراً من الله ، وأهداني احتلالا وانكسارا

.....

عندما يطعنني في الظهر سيف عربي

يصبح التاريخ عارا ...

عندما يذبحنى أبناء عمى .. في فراشي

يصبح الحلم العروبى غبارا

وبعد أن تعود الكويت تقول :-

يا أمنا الكويت

ضمينا إلى صدرك بعد غربة

---

(٦٩) فتافيت امرآة . مرجع سابق . من امرآة ناصرية إلى جمال عبد الناصر، ص ١٣٢ .

فنحن من دونك يا حبيبتي

جيش من الأيتام

.....

ونحن من دونك يا حبيبتي

حمائم قد نسيت مبادئ الكلام

إن شاعرتنا تجيد صناعة الاختزان ، وهى من سمات العروبة الأصيلة، لهذا ظلت ستة عشر عاما وهي تختزن الحزن على عبد الناصر حتى كتبت قصيدتها في عام ١٩٨٦ والتي تقول منها :[٧٠]

كنا كبارا معه في كتب الزمان

كنا خيولا تشعل الآفاق عنفوان

كان هو النسر الخرافي الذي يشيلنا ..

على جناحيه إلى شواطئ الأمان ..

كان كبيراً كالمسافات

مضيئا كالمنارات

جديدا كالنبوءات

عميق الصوت كالكهان

---

(٧٠) امرآة بلا سواحل . ص ٢٠ ، مرجع سابق .

وكان في عينيه برق دائم

يشبه ما تقوله النيران للنيران

والذي عرضناه من الشعر هنا يتحرك بتقاطع وتواز يحكم مسيرة القصائد - السعادية. كما يحكم الإشارة التي تمتلئ بها القصائد. والشاعرة بهذا تمتلك الرؤية القومية الممتدة تقاطعا وتوازيا. بعيدا عن أن تكون أشعار مناسبات ، لأنها تقف دائما على مستوي الحدث ، الذي تأخذ مه الموقف المتأني ، الذي يشكل الرؤية التي تهوى بالرمز حينا ، وترتفع به حينا آخر .

الشاعرة والكون :

إن تجارب الشعر الثرية تعتمد أساسا على اللغة ذات الخصائص التي تغادر المكان المحدد إلى المكان المطلق ، فالكون ملك الشاعرة ، تتحرك عبره مرتبطا بحريتها التي توخت الوصول إليها من أشعارها تقول :- [٧١]

هذا أنا من يوم أن عشقت..

أشرعتى مفتوحة

ضفائرى مفتوحة

أوردتى مفتوحة

وأنهرى تهزأ بالسدود

---

(٧١) في البدء كانت الأنثى (مرجع سابق) ، ص ٣٩ .

إن الكون أمـهـامـهـا واسع لا نهـاية له ، تعـتـمـد فـي إبرازه على الجمل الشـعـرية القـائمـة على الخـبـر حينا ، وعلى الإنشـاء حـينا آخر، وخصوصا الاستفهام تقول :- [٧٢]

أمشى كل خريفٍ في الغابات ..

لأغسل وجهى بالأمطـار

هـذا ورق أصفـر.. **(خبـر)**

هـذا ورق أحمـر.. **(خبـر)**

هذا ورق مشتعل كالنـار.. **(خبـر)**

أسأل نفسـى :

وأنا أمشي فوق نثارات الياقوت

أهذا ورق ؟ أم أفكار ؟ **(استفهام)**

وهل الغابة تحزن أي ؟ **(استفهام)**

تبكى أيضا .. هل هى تشعر بالتذكار ؟ **(استفهام)**

هل تتألم ؟ هل تتوجع ؟ **(استفهام)**

هل تتذكر ماضيها الأشجار ؟ **(استفهام)**

إن أشـعـار الشـاعـرة ، وكثـرة تـرحـالـهـا ، وسَّع من آفـاق الكون

---

(٧٢) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

لديها، ولكنها من التقاط الصور التي تحقق تماهى الكون أمامها تقول [٧٣] :-

وجهك جواز سفرى

أجوب به العالم

وأدخل به جميع الموانئ والمطارات

وعندما يراك رجال الأمن ..

مخبوءاً في عيني

ويفتحون صالة الشرف لى

ويقدمون المرطبات والأزهار

ويعطونني أفضلية المرور

لأنني عاشقة ...

إنها تبحر في الجزر، على ظهر سفينة تجوب الكون، وتواجه العواصف، لعل هذا الكون الجديد يعيد تشكيلها، ويصرها في أبعاد جديدة :- [٧٤] .

أريد أن أصعد إلى ظهر سفينتك

التي لا تعترف بالمرافئ ..

---

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٧٤) قصائد الحب ص ٥٣ ، مرجع سابق .

ولا تعترف بالجزر ..

ولا ترسو في أي مكان

أريد أن أخبئك في صدري

عندما تشتد الريح

وتعصف العاصفة

فإما أن أنجو معك ..

وإما أن أغرق معك ..

إن يد الحبيب هى الساحل الرملى في كون يعيشان فيه معا ، في خطاب شعري مبتكر، يصنعه خيال شاعرة ، وطموحها ، ونظرتها للكون ، ويهتز كونها بوفاة ابنها ، ولكنها لا تتخلى عن مواجهة عاصفة الحزن ، فى حيرة تملأ الكون إيقاعا وحزين الصفحات تقول :- (٧٥) .

آه من ناري ، ومن يأسى ، ومن ضعف ثباتي

قد توالت حسراتي ، وتهاوت خطواتي

ولدى ..

لو بساط الأرض طرسى ، ولو البحر دواتي

لملأت الكون إيقاعاً حزين الصفحات

---

(٧٥) إليك يا ولدى ، ص ٦٢ ، دار المعارق بمصر ، ط١ ، ١٩٨٢ .

إن إيقاعها يملأ الكون حزنا على فقيدها، وهو الكون الذي طوفت فيه متناغمة معه حينا، ومتقاطعة معه حينا آخر.

توظيف الشعر عند سعاد الصباح

أ - الأداء :

إن فكرة الرجوع إلى بنية القصيدة ، تساعد كثيرا في الوقوف على تفرد الذات الشاعرة في مجال الإبداع عموما ، وفي الشعر بصفة خاصة . إن ما تطرحه شاعرتنا من حديث متواصل عن الرجل ومع الرجل ينطلق من موقف متوازٍ مع طبيعة الحياة التي تقوم بين الذكر والأنثى .

إن التغني بالذات ليس نرجسية بقدر ما هو عودة للوجدان، لتكثيف الصورة المستقرة في الشعر العربي ، وتغييرها إلى الصورة المنتظرة ، القائمة على الائتلاف حتى تتسع الجنة لهما معاً . فنحن نعلم المكون الاجتماعي لشاعرتنا والذي كان يمكن أن يكون ترفا زائدا تعيش فيه كامرأة ، منحتها الظروف المجد والثروة والانتماء الرفيع تقول:- [٧٦] .

قد كان بوسعي ،

مثل جميع نساء الأرض

مغازلة المرآة

---

(٧٦) في البدء كانت الأنثى . مرجع سابق ، ص ١٢ .

ومن الواضح الدلالة البلاغية وراء التعبير " مغازلة المرآة " وهو لون جديد تميز به أداء شاعرتنا . وامتداداً لذلك تتحدث عن أيديولوجيتها عن طريق النفى لا الإثبات ، وهو أيضا لون جديد من الأداء تقول :- [١]

قد كان بوسعى

ألا أرفض

أن لا أغضب

أن لا أصرخ في وجه المأساة

كما كان بوسعها :- [٢]

قد كان بوسعي

أن أتجنب أسئلة التاريخ

وأهرب من تعذيب الذات

إن تعذيب الذات هنا لون من العقاب الذاتي ، الذي تشعر به كل النساء ، ولكنهن لا يستطعن بإطلاق العدد والجنس على المواجهة تقول :- [٣]

لكنى خنت قوانين الأنثى

واخترت مواجهة الكلمات

١×٢،١×٣ كلها مأخوذات متتابعة من نفس القصيدة.

إن الصدق الفنى هو النغمة الرائدة في أداء شاعرتنا ، وهى حائرة بين أن تختصر لذاتها الأنثوية ، فتختار جانبا مقدسا منها، وهو الأمومة ، والتي يمثل الرجل طرفا فاعلا فيها تقول :- [٧٧] .

إننى أحملك في داخلى

(لاحظ ديمومة الفعل : الحمل والولادة)

كامرأة في شهرها التاسع

فكيف أتخلص منك

(استفهام يحرج إلى معنى الاستحالة)

فكيف أقطع حبل مشيمتى معك ؟

(الصلة الدائمة القسرية بين الرجل والمرأة)

وأنت مشتبك ككرة الصوف ..

بأحلامى ، ورغباتي ، وجهازى العصبي

(مفردات الصلة بين الجنسين)

كيف أتركك على قارعة الطريق

لاحظ المجازات الجديدة التي

تحت الثلج والمطر ، والأعاصير

استحدثتها الشاعرة في الحديث

---

(٧٧) خذني إلى حدود الشمس . مرجع سابق ، ص ٤٩ .

وأنت أول طفل ولدته

عن ارتباط الرجل / طفلا

وآخر طفل سوف ألده ؟

أو فارسا ، بالمرأة .

إنها متفائلة بالنهاية التي تسعى نحوها ، لأنها رسالة سخرت كل فكرها ووقتها لها ، فلم تعد تحاور القصيدة فحسب ، إنها تحاور الفارس ، كما تحاور المجتمع الذي يرفض رؤيتها تقول :[٧٨]

وأضحك من كل هذا الهراء

وأسخر ممن يريدون في عصر حرب الكواكب

وأُدَ النساء ..

وأضحك من كل ما قيل عنى

وأرفض أفكار عصر التَّنَك

وأبقى أغنى على قمتى العاليه

وأعرف أن الرعود ستمضى ..

وأن الزوابع تمضى

وأن الخفافيش تمضى

---

(٧٨) فتافيت امرآة . مرجع سابق ، ص ١٦ .

وأعرف أنهمُ زائلون

وأنـى أنا الباقيه

(البقاء هنا لجنسها ، وليس لذاتها)

إنه نغم من ذاتها التي تتحرك نحو عالمها الحقيقى ، عالم التحرر والنهضة .

ب - الرفض :

أين المرأة العربية الآن ، ومن خلال ما تريده شاعرتنا ، وتلك القديمة التي كانت توضع في هودج على ظهر الناقة ، وتتقدم القافلة ، لا تقديما لدورها ، بل إعزازا لها ، لأنها لا تلمس الحياة إلا من الظاهر ، فلا تعاند ولا تتمرد ولا تتحدى تقول :- [٧٩] .

هذى بلاد لا تريد امرأة رافضة

ولا تريد امرأة غاضبة

ولا تريد امرأة خارجة ..

على طقوس العائلة

هذى بلاد لا تريد امرأة

تمشى أمام القافلة

---

(٧٩) خذني إلى حدود الشمس . مرجع سابق ، ص ٨٤

ويتجلى منهج شاعرتنا فيما أعلنته شعرا ونثرا ، لأنها ترفض وتتحدى ، وتقف شامخة في غير مخالفة للشرائع السماوية تقول:- ❖

معذرة .. معذرة

لن أتخلى قط عن أظافرى

فسوف أبقى دائما

أمشى أمام القافلة

(لاحظ دلالة (أمام) هنا)

وسوف أبقى دائما

مقتولة أو قاتله

ولماذا يظل هذا العناد ؟ تقول :- (٨٠) .

يا سيدى :

مشاعرى نحوك ، بحر ما له سواحل..

وموقفى في الحب لا تقبله القبائل

(الحب هنا تعبير مجازى)

❖ المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٨٠) امرآة بلا سواحل ، مرجع سابق ، ص ، ٧١

يا سيدى :

أنت الذى أريد ..

لا ما تريد تغلب ووائل ..

أنت الذى أحبه ..

ولا يهم مطلقاً

إن حلّلوا سفك دمى ..

واعتبرونى امرأة ..

خارجة عن سنة الأوائل ..

يا سيدى ..

سوف أظل دائماً أقاتل

إنها ترفض غير ناسية انتماءها المتساوق مع طبيعتها، وهى وإن تقاطعت مع بعض مفرداته ، إلا أنها تتوازى مع بقية مفرداته، توازيا يرتوى من ذاتها الكويتية المنبث تقول :- (٨١)

إنني بنت الكويت

بنت هذا الشاطئ النائم فوق الرمل،

كالظبي الجميل

---

(٨١) برقيات عاجلة إلى وطنى . مرجع سابق ، ص ٩

في عيونى تتلاقى ..

أنجم الليل ، وأشجار النخيل

من هنا أبحر أجدادى جميعاً

ثم عادوا يحملون المستحيل..

وتزيد قائلة :- [1]

إننى بنت الكويت

هل من الممكن أن يصبح قلبى

يابسا .. مثل حصانٍ من خشب ؟

بارداً .. مثل حصان من خشب ؟

هل من الممكن إلغاء انتمائى للعرب ؟

إنه رفض الرفض ، لأن الرفض الرافض انتماء ، وهى لا يمكن أن تلغى انتمائها ، وإن رفضت جزءا من تقاليده ، التى تحاول ثورتها أن تغيره تقول :- [2]

إن جسمى نخلةٌ تشرب من بحر العرب

وعلى صفحة نفسى ارتسمت ..

كل أخطاء ، وأحزان ، وآمال العرب..

---

[1] المرجع السابق ، ص ١٠-١١ .

إنها تميز الماضى وتكشف الحاضر ، تمهيدا لاستشراف المستقبل الذى تطمح إليه .

ج - الإذعان :

لست أقصد بالإذعان الخضوع ، ولكننى أقصد به الرجوع إلى طبيعة النفس السمحة الرضية في الحب والوفاء ، والذى يتميز به المحبون ، وهو ما تميزت به شاعرتنا ، إنها تخضع لفارسها لا إذعانا ولكن حبا وولاء تقول :- [٨٢] .

أى رجل أنت يا سيدى ؟

أية بصمات تركتها على أفكارى ؟

أية أسماكِ متوحشة ..

أطلقتها فى شراييني ؟

أية أمصال ثورية حقنتها فى دمى ؟

فبعد كل يوم أقضيه معك ..

أعود .. وأنا ممتلئة بالشمس

ومضرجة بالبروق

وفى عينىّ تركض خيول الحريه

---

(٨٢) في البدء كانت الأنثى . مرجع سابق ، ص ١١٩ .

وتلتقى الوظيفة الاجتماعية مع الوظيفة اللغوية ، فى نص متفرد ، يحمل صورا بسيطة، تتكامل بها الصورة التي تستوعب المحنة ، فتخرجها - أى الصورة - فى نَفَس موحد، يمتلئ بأحاسيس مختلطة ، ولكنها - في النهاية - تحمل طبيعة هذه البقعة الطاهرة المسالمة من أرض العرب :- [٨٣] .

نحن الكويتيين .. من عادتنا

أن نستضيف الشمس فى بيوتنا

وأن نجير الجار

نحن الكويتيين .. من طباعنا

أن ننبذ العنف

وأن ندعو العصافير إلى مائدة الحوار

نحن الكويتيين .. من تراثنا

أن نعصر القلب لمن نحبهم

وأن نكون دائما في جانب الإنسان

إنها شاعرتنا تجيد جَدْل ضفيرة من شعرها لتدخل هادئة إلى وجدان الوطن ، أرضه وشمسه وهوائه .. وإنسانه .

---

(٨٣) برقيات عاجلة إلى وطني . مرجع سابق ، ص ٦٣ .

المراجع

(١) ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة - المطبعة الشرقية بمصر، ١٩٠٧ ، ط ١ .

(٢) أبو العلا المعرى ، شرح سقط الزند . دار مطابع الشعب بالقاهرة (بدون تاريخ)، ط١، وكذلك نسخة / القاهرة ، ١٩٤٦ ، ط ١ .

(٣) أبو على القالي ، النوادر . مطبعة دار الكتب بمصر ، ١٩٣٤ ، ط ١ .

(٤) إسماعيل مروة . سعاد الصباح شاعرة شتائية ، منشورات النسور ، بيروت ، ٢٠٠٠ ط ١ .

(٥) الأصفهاني، الأغاني جـ ١٥ دار الكتب المصرية، ١٩٢٦، ط١ .

(٦) التبريزى ، شرح ديوان الحماسة . مطبعة بولاق بالقاهرة، ١٩٣٦ ، ط ١ .

(٧) د. بنت الشاطي ، الشاعرة العربية المعاصرة . معهد الدراسات العربية بالقاهرة ، ١٩٦٥ ، ط ,١

(٨) د. رجاء سمرين ، شعر المرآة العربية المعاصر (١٩٤٥-١٩٧٠) دار الحداثة بيروت ١٩٩٠ ، ط ١ .

(٩) د. فوزي عيسى . قراءة في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ط ١ .

(١٠) د. مها خير بك ناصر ، هدم وبناء . منشورات شركة النور، بيروت (ط١) بدون تاريخ .

(١١) السباعي بيومي . تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، مكتبة النهضة بمصر، ١٩٤٨ ، ط ١ .

(١٢) عبد الله عفيفي ، المرآة العربية في جاهليتها وإسلامها. مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٣٣ ، ط ٢ .

(١٣) عبد الله محمد الغذامى ، المرآة واللغة . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ ، ط ١ .

(١٤) محي الدين بن عربى ، ذخائر الأغلاق وشرح ترجمان الأشواق ، بيروت ، ١٩٢٩، ط ٢ .

(١٥) المفضليات ، الضبي . شرح محمود شاكر وعبد السلام هارون - مطبعة المعارف بمصر ، ١٩٤٩ ، ط ١ .

الدواوين الشعرية :

(١) أمينة ، سعاد الصباح. دار المعارف بمصر، ١٩٧١، ط١ .

(٢) فتافيت امرآة. سعاد الصباح. منشورات أسفار، ١٩٨٦، ط١ .

(٣) آخر السيوف . سعاد الصباح . مركز الطباعة الحديثة بالكويت ، ١٩٩١ ، ط ١ .

(٤) امرآة بلا سواحل . سعاد الصباح . دار سعاد الصباح ، ١٩٩٤، ط١ .

(٥) خذني إلى حدود الشمس . دار سعاد الصباح ، ١٩٩٧، ط ١ .

(٦) قصائد حب. سعاد الصباح، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢، ط ١ .

(٧) في البدء كانت الأنثى . سعاد الصباح . رياض الريس للنشر- لندن ، ١٩٨٨ ، ط١ .

(٨) القصيدة أنثى والأنثى قصيدة . مختارات شعرية ، سعاد الصباح ، دار الجميل بالقاهرة ، ٢٠٠٣ ، ط ١ .

(٩) برقيات عاجلة إلى وطنى . سعاد الصباح ، دار سعاد الصباح، ١٩٩٧ ، ط ٥ .

(١٠) إليك يا ولدى . سعاد الصباح ، دار المعارف بمصر ١٩٨٢ ، ط ١ .

(١١) ديوان امرئ القيس . شرح السندوبي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٩٢٧ ، ط٢ .

(١٢) ديوان طرفة بن العبد مع شرح الأعلم الشنتمرى ، مطبعة برطرند بمدينة شالون ، ١٩٠٠ ، ط ١ .

(١٣) ديوان عنترة بن شداد . نشر عبد المنعم عبد الرءوف شلبى. مطبعة شركة فن الطباعة بمصر ١٩٣٠ ، ط ١ .

(١٤) ديوان صالح الشرنوبي. دار النشر المصرية، ١٩٥٣ ، ط ١ .

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

- نافذة البدء ـــــ ٣٣
- بين الإقامة والترحال ـــــ ٣٦
- سيطرة الشاعرية والتكوين العقلى ـــــ ٧٣
- السياحة الجمالية وآفاق اللغة ـــــ ٩٤
- الشاعرة والوطن ـــــ ١٠٢
- الشاعرة والآخر ـــــ ١٠٧
- الشاعرة والكون ـــــ ١١٢
- توظيف الشعر عند سعاد الصباح ـــــ ١١٦

أ - الأداء ـــــ ١١٦

ب - الرفض ـــــ ١٢٠

جـ - الإذعان ـــــ ١٢٤

السيرة الذاتية

الأستاذ الدكتور
تركي المغيص

- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة بون بألمانيا، تخصص أدب مقارن.
- عمل في التدريس بجامعة اليرموك، وجامعة الزيتونة الأردنية، ويعمل حالياً بجامعة الكويت، قسم اللغة العربية وآدابها.

- **المؤلفات منها:**

- "الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله بن الحسين" و "صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر" و "صورة الأتراك في مرآة الشعر العربي" (باللغة الألمانية).

- **الأبحاث منها:**

- "صورة المتنبي وتجلياتها في الشعر العربي" و"الأسطورة والرمز في شعر عبدالرحيم عمر" و "التناص في معارضات البارودي" و"الترجمة الأدبية من العربية إلى الألمانية" و"مصطلح التناص ومشتقاته في حقل الترجمة إلى العربية" و "جوته والأدب العربي: دراسة في التلقي المنتج"...الخ.

صورة الآخر
في
شعر سعاد الصباح

أ.د. تركي المغيض

مقدمة :

سعاد الصباح شاعرة تحمل فكراً تنويرياً ومشروعاً نهضوياً في الدفاع عن قضايا المرأة وهمومها، يؤسس لبناء علاقة موضوعية عادلة مع الآخر (الرجل). وهي" سفيرة السلام وأغنية الفقراء والمقموعين، وشاعرة البوح الرقيق والألم الطويل وحرب الفكر مع الحس الذكوري القامع ". ولطالما طمحت إلى تغيير العلاقة المحكومة بدوائرالرعب والإلغاء والاقصاء. لتستبدل بها علاقة إنسانية يكون الرجل فيها حبيبا للمرأة ، لا جلاداً ولا سجاناً، ومصدر أمن لا منبع خوف وقلق وشقاء [1].

سعاد الصباح ترفض العلاقة القائمة على الإكراه والقسر والتملّك والانقياد الأعمى لسلطة الرجل التي تحاول أن تلغي وعي المرأة وإرادتها. وظلّت ترفض "العصر الرجولي " الذي يحاول مصادرة عقلها مرة وأنوثتها مرة ثانية، وتحويلها إلى جسد - دُمية مرة ثالثة. سعاد الصباح شاعرة ثائرة لأنها تحمل في صدرها وجع الأمة وما آلت إليه حالها ، وهي شاعرة متمردة على الهيمنة الذكورية التقليدية ، ومتمردة على ثقافة البيع والشراء ومثقفي الظلام [2].

١- علي المسعودي ، سعاد الصباح .. حبٌّ يأخذ شكل المُعتقل ، مجلة الكويت ، عدد ٢٥٤، ١ ديسمبر ٢٠٠٤ ، ص ٦٦ .

٢ -جمال محمود ، شعراء الكويت يهيمون حباً وشعراً ببيروت ، جريدة القبَس، عدد ١١٣٢٢، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٤ (يوم الخميس) ، ص ٣٨ .

وسعاد الصباح شاعرة مبدعة مثقفة تواكب معطيات العصر، ومدهشة في لغتها، واستفزازية وجريئة في عرض رؤاها الفكرية التنويرية، لأنها شاعرة صاحبة رسالة، تناضل من أجلها بسلاحها المحبّب، ألا وهو الشعر. فهي ترى "أن المرأة العربية تواجه المكابرة الذكورية التي تتعدّد أسبابها اجتماعياً وثقافياً ودينياً في فهم خاطىء للدين الحنيف. إن تاريخ الرسالة يؤكد أن موقع المرأة عند صاحب الرسالة كان أعلى بكثير مما يحاول البعض إنزالها إليه"[٣].

لقد جعلت سعاد الصباح من نفسها مُعادلاً موضوعياً لجنس المرأة تدافع عنها وتتبنّى همومها، وتنطق بلسان حالها. وكانت وما تزال تمارس فعل " الاحتراق القرباني " من أجل المرأة العربية. تتقمّص مهمة " الفينيق " تحرق نفسها وتحتضن الحريق لكي يولد من جديد عالم يسوده العلاقة المتكافئة بين الرجل والمرأة .

الشاعرة سعاد عبدالله المبارك الصباح فرع من دوحة الأسرة الحاكمة في الكويت . فكان طبيعياً أن تنزع منزع السياسة . فكتبت الشعرالوطني والقومي والسياسي والاجتماعي المفعم بالنقد والجرأة . وتُعّرف سعاد الصباح بنفسها شعراً ، فتقول :

---

٣ – سميرة فريمش ، مقابلة مع د. سعاد الصباح ، نشرة ندوة العربي ، العدد الأول ، السبت ٤ سبتمبر ٢٠٠٤ ، ص ٣ .

" إنني بنت الكويت

بنت هذا الشاطىء النائم فوق الرمال

كالظبي الجميل " [٤]

وتقول مضيفة إلى الصورة أبعاداً أخرى :

" غرفتي الشمس ..

ومن بعض أسمائي الصباح

وجدودي اخترعوا الأمواج .. والبحر .. " [٥] .

وتكمل سعاد الصباح صورتها مؤكدة قوة شخصيتها ومقاومتها لسلطة الرجل القمعية :

أنا الخليجية

التي تقاتل بأظافرها

من أجل أن يكون الخبز للجميع

والحب للجميع

والتي تقاوم ملح البحر

---

٤ - ديوان : فتافيت امرأة ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ١١٩ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

وتيارات الأعماق

والرجال الذين لهم أسنان سمك القرش [٦]

وتنهي سعاد الصباح صورتها الشخصية مفتخرة بانتمائها للعرب :

أنا النخلة العربية الأصول

والمرأة الرافضة لأنصاف الحلول

فبارك ثورتي .. [٧]

لقد حملت سعاد الصباح لواء الدفاع عن عالم المرأة واستعارت صوتها للحديث عن همومها الاجتماعية والعاطفية في قصائدها. وقد نجحت سعاد الصباح في التعبير عن ذلك إلى حد كبير فجاءت سعاد الصباح من عالم المرأة لتعالج هموم المرأة وقضاياها ، ومن منظور امرأة تدافع عن مثيلاتها . وتتناول قضايا في غاية الدقة والحساسية لم يجرؤ على عرضها الشعراء الآخرون.

وهذه الرسالة التي حملتها سعاد الصباح رفعت من مكانتها وزادتها أصالة على أصالة، وعزّزت من موقفها الفكري الواضح وبلورت خطابها التنويري الذي تبنته في جميع إنتاجها الشعري .

---

٦ - المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

٧ - المصدر نفسه ، ص ٥١ .

فهي " لا تكتفي بأن تحصل على الشيء وإنما تريد للأخريات أن يحصلن عليه، ولا تكتفي بأن تعبّر عن رأيها ، وإنما تريد للأخريات أن يعبرن عن آرائهن ، وهي لم تكتف بتحرير روحها . بل تسعى إلى حرية أرواح أخواتها " [٨] .

صورة الآخر في شعر سعاد الصباح

إن الشاعرة سعاد الصباح منشغلة بالعلاقة بين الرجل والمرأة، وهي تشاغب الرجل وتشاكسه في قصائدها التي تعبّر فيها دائماً عن مواقفها تجاه الرجل ، فهي تعبّر عن رؤية المرأة العربية وموقفها من الرجل ، ولذا يمكن أن نُطلق على شعر سعاد الصباح شعر" المواقف والقضايا ". ولهذا فإن معظم قصائدها تحمل لواءين : لواء المرأة ولواء العروبة ، وعندما سئلت عن سبب هذا التركيز : قالت : المرأة العربية مغلوب على أمرها ، والعروبة مغلوب على أمرها [٩] . وهذا التشابه في الحزن والقهر والاستلاب بين معاناة المرأة ومعاناة العروبة هو الذي جعلها تضع القضية في ملف واحد في أثناء مرافعاتها الشعرية .

إن سعاد الصباح أول شاعرة عربية تقدّم بكل جرأة صورة الرجل كما هو كائن ، وكما ينبغي أن يكون ، مقتحمة في ذلك

---

٨ - اسماعيل اسماعيل مروة ، سعاد الصباح شاعرة شتائية في الحب والغضب ، منشورات شركة النور ، بيروت . ط١ ,٢٠٠٠م , ص ٢٧ .

٩ - علي المسعودي ، حمامة السلام .. سعاد الصباح ، ج١ ـ حوارات معها . شركة المختلف ، الكويت ، ط١ ٢٠٠٠م ، ص ٩١ .

ميداناً من ميادين الدراسات النقدية المسكوت عنها في الثقافة العربية. فسعاد الصباح بجرأتها وصفاء نيتها، وانطلاقاً من موقعها ومكانتها تصدّت لهذا الموضوع متحدية الرجل - المبدع الذي كان دائماً متربعاً على عرش الكتابة عن المرأة وعن نفسه، في حين أنها لم تجرؤ على ولوج هذا الباب للتحدث عن نفسها ومشاعرها وأمالها وآلامها، والتحدث عن الرجل وصفاته وسلوكه وطبائعه وفكره، وقراءته قراءة نقدية، تسعى إلى كشفه وتعريته وتفكيكه، وبيان رؤيته الاستلابية " والشهريارية " والقمعية للمرأة.

واستطاعت سعاد الصباح أن تصف طبيعة صورة الرجل بنماذجه المختلفة من زاوية رؤية المرأة بعامة للرجل الشرقي. وهي زاوية رؤية موضوعية مجرّدة، لأنها بعيدة عن الذاتية والأنانية، فهي شاعرة تتقمّص مهمة الفينيق تحرق نفسها من أجل الآخرين. وتشاطر بروميثيوس في مهمته إذ تسرق النار من الرجل - السيّد لأخواتها النساء، ليمتد إشعاعها إلى كل النساء في الوطن العربي .

نماذج الآخر في شعر سعاد الصباح

إن المتمعن والدارس لشعر سعاد الصباح في المرأة وقضاياها يظهر له بجلاء نظرة الشاعرة للرجل، فهي نظرة موضوعية ناقدة تؤسس لبناء علاقة متكافئة وعادلة. فشخصية الرجل في شعرها تميّزت بالتعدّدية، فقد عرضت لعدة نماذج منتقاة من واقع حياة المرأة العربية، فالشاعرة لم تحدّد سمة واحدة للرجل وتعزف

عليها في شعرها ، كما أنها لم تقف عند نموذج واحد. والتنوع مردّه إلى النظرة الموضوعية والرؤية النقدية المتكاملة عند الشاعرة، فهي لا تخضع لظرف واحد محدّد ولتجربة شعورية خاصة تصوغها شعراً بل إنها تنطلق من رؤية تنويرية رافضة للممارسات القهرية والاستلابية من قبل النماذج الذكورية التي رسمت طبيعتها وصورتها في شعرها. وقد برزت هذه النماذج منسجمة مع الموقف الشعري حيناً، ومتناغمة مع الظروف المجتمعة في أحيان كثيرة .

سعاد الصباح شاعرة ملأت الدنيا بوفائها للمرأة والتحدث بلسانها ، وشغلت الناس والنقاد بجرأتها وتفكيكها لنماذجها الشعرية الذكورية . ولقد ذكرها الأديب المصري أحمد زكي عبد الحليم في كتابه " نساء فوق القمة " ،" فقال عندما سألوها: من أنتِ ؟ أجابت : امرأة قرّرت أن تخرج من قارورة التاريخ ، وأن تركب سفينة الحريّة ، حتى الغرق " [١٠].

لقد طافت سعاد الصباح أنحاء الوطن العربي ولمست جراح المرأة وسياسة القمع التي يمارسها المجتمع الذكوري ضدها ، لذا فهي عندما تتحدّث عن المرأة ومعاناتها تتكلم بضمير المرأة ولسانها بشكل عام. وقد حرصت سعاد الصباح منذ بداية

---

١٠ - فاضل خلف، سعاد الصباح ، الشعر و الشاعرة ، منشورات شركة النور، بيروت ط١ ١٩٩٢ ، ص ٥,

انطلاقتها الشعرية على "العزف والنزف معاً، العزف على أوتار الأنوثة بتمثّل ما تتميّز به من دلّ وعبث، ونزف مواجعها الحميمة وآلامها الدفينة في الوقت ذاته، لتجسّد بذلك وضع المرأة وملامحها القريبة والبعيدة " [١١] .

وبغية بلورة الصورة للآخر ونماذجه، انتقت سعاد الصباح نماذجها كما يعسكها الواقع دون تجنّ أو تحامل. وعبرّت من خلال رسمها لصور هذه النماذج عما تنشده المرأة من الآخر، وباحت بما ترغبه فيه وعنه. والجدير بالذكر أن ليس كل النماذج التي اختارتها سعاد الصباح هي نماذج سلبية قمعية، وإنما اختارت أيضا نماذج في غاية الروعة والجمال، لتؤكد أن ليس كل الرجال داخلين في نادي القمع الذي تتكلم عنه .

الرجل الشرقي :

تستخدم سعاد الصباح هذا " المصطلح " في شعرها غير مرّة، وتحاول أن ترسم صورته بكل أبعادها وأطرها. وتدين ممارساته وعقليته وأفكاره وتقدم له صورة نمطية توضّح من خلالها رؤيته للمرأة وطبيعة العلاقة بينهما كما يفهما الرجل الشرقي .فتقول من قصيدة " حق الحياة " :

ويل النساء من الرجال إذا استبدوا بالنساءْ

---

١١ - د.صلاح فضل ، وردة البحر وحرية الخيال الانثوي ، رحلة في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ،القاهرة ، ٢٠٠٣ م ص ٣٨ .

يبغونهنّ أداة تسليةٍ ومسألة اشتهـاءْ

ومراوحاً في صيفهم ... ومدافئاً عبْرَ الشتاء

وسوائماً تلد البنينَ ليشبعوا حبَّ البقاءْ

ودُمىً تُحركها أنانية الرجال كما تشاءْ

وتذلٌّ للرجُل الإله كأنه ربٌّ السماءْ

ما دام يمنحها المؤونة والقلادة والكساءْ [١٢]

تصوّر سعاد الصباح في هذه المقطوعة عقلية الرجل الشرقي الذي ما زال ينظر إلى المرأة وكأنها في عصر الجواري والحريم . وملامح هذه الصورة كما ترسمها سعاد الصباح هي الاستبداد والآنانية والنظر إلى المرأة على أنها متعة وشهوة ودُمّية،وظيفتها إنجاب الأولاد وتدليل الرجل والقيام على خدمته وإغرائه واشباع رغباته وحسب، ما دام هو الذي يهبها القوت والحليّ والزّي .

وتعلن سعاد الصباح التحدّي والرفض لهذه العقلية، وتبيّن أنّ زمن الحريم في التاريخ العربي قد انتهى، وجاء عصر جديد يحمل معه حق المساواة بين الرجل والمرأة :

لا .. لن نذلّ ولن نهونَ ولن نفرّط في الإباءْ

---

١٢ – ديوان أمنية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٣١ .

لقد انتهى عصرُ الحريم وجاء عصر الكبرياءْ

وجَلا لنا حق الحياةِ ، فكلنا فيه سواء [١٣]

وتركّز سعاد الصباح في تفكيكها لصورة الرجل الشرقي على استدعاء شخصيات لها تاريخها في الاستبداد والظلم ، مثل : فرعون ، وتتحدّى هذا النموذج الذي له معادلات موضوعية أو مماثلات بنيوية في المجتمع الذكوري العربي :

أتحدّاهم بشعري

وبنثري ...

وصراخي ..

وانفجارات دمائي

أتحدّى ألف فرعون على الأرض

وأنضمّ لحزب الفقراء [١٤]

وتعبّر قصيدة " فيتو .. على نون النسوة " أدق تعبير عن عقلية الرجل الشرقي التي تمارس حق " الفيتو " الرفض ضد " نون النسوة " المرأة . ونون النسوة هو الخطاب الأنثوي الذي يقابل بالفيتو من الخطاب الذكوري عند كل مرافعة . وقدمت سعاد

---

١٣ - المصدر نفسه ، ص ٣١ .

١٤ - ديوان : امرأة بلا سواحل ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ١٩٩٤ ، ص ١٠٤ .

الصباح في هذه القصيدة عدة مشاهد قوبلت فيها المرأة بالرفض. منها :

يقولون :

إنّ الأنوثة ضعف

وخير النساء هي المرأة الراضية

وإنّ التحرّر رأس الخطايا

وأحلى النساء هي المرأة الجارية

وأسأل نفسي :

لماذا يكون غناءَ الذكور حلالاً

ويُصبح صوت النساء رذيلة [١٥]

لقد استجابت سعاد الصباح لصراخ من أدمتْهُنّ سياط الذكورة، قابلة التحدّي لأن الشعر عندها رسالة مقدسة وثورة جامحة ضد استعمار الجسد الأنثوي. وهي في تحدّيها صادقة ومُخلصة، لأنه كان بإمكانها أن تركن إلى رغد العيش والرفاهية، لكنها اختارت المواجهة والنضال بسلاح الشعر والكتابة غير آبهة بما قد يحلّ بها أو قد تواجهه من نقد وهجوم :

.. فإن جرّحوني ..

---

١٥ – فتافيت امرأة ، ص ١٨ ، ٢١ .

فأجمل ما في الوجود غزال جريح .

وإنْ صلبوني ، فشكراً لهم

فلقد جعلوني بصفّ المسيح.. [١٦]

وتندّد سعاد الصباح بنظرة الرجل الشرقي إلى المرأة ، فهو يركّز على الجانب الجمالي فيها وينسى ويهمل الجانب العقلي والثقافي، فتتساءل :

فلماذا - أيّها الشرقي -تهتمُّ بشكلي؟

ولماذا تبصر الكحل بعينيّ..

ولا تُبصرُ عقلي ؟

لماذا الرجل الشرقي ينسى

حين يلقى امرأة ، نصف الكلام ؟ [١٧]

وتنتقد سعاد الصباح بنية عقل الرجل الشرقي الذي ظلّ متعلقاً بمفاهيمه الفكرية المتوارثة عن مفاهيمه القبلية الذكورية . فالرجل الشرقي لديه مناعة ضد التطوّر والتجدّد . وعلى الرغم من تجواله واطلاعه على مجتمعات غربية متقدّمة ، فلم يكتسب

---

١٦ - المصدر نفسه ص ٢٠ .

١٧ - ديوان : في البدء كانت الأنثى ، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن ، ١٩٨٨، ص ١٠ ، ١٤ .

منها سوى القشور ، وبقى في أعماقه وذهنيته مسكوناً بجاهليته الأولى [١٨] :

يأيها الجاهليّ المخضرمُ ..

ياراجعاً من فرنسا

على فرسٍ من حديد ..

وفي شفتيه حليب النياق

وطعمُ الثريد .. [١٩]

إنّ هذا النموذج متعصب ومصاب بالأزدواجية ، شعاراته تناقض آراءه وحقيقة تفكيره ، وسلوكه يتنافى مع أقواله ، إنه يعاني من عقدة السلطة والسيادة :

يا مَن ينادي يالتسامح والعدالة

والتحرّر في الهوى

آمنت بأنَك سيّدُ المتعصبين ..

ما كان يخطر لي بأنك جاهلي .. [٢٠]

---

١٨ – قارن ، د. مها خير بك ناصر ، هدم .... وبناء ، منشورات شركة النور ، بيروت . د.ت ، ص٤٤ .

١٩ – امرأة بلا سواحل ، ص ١١٧ .

٢٠ – فتافيت امرأة ، ص ٧٤ .

وترى سعاد الصباح أن هذا النموذج مقلّد يلهث وراء الشُهرة والاستعراض ، الأمر الذي دفعه إلى أن يتخلّى عن أصالته واستعاض عنها بصفات أنثوية ، فقلّد المراة الفارغة السطحية ، فهو مشغول بمظهره وتسليط الأضواء عليه " ومدفوع بغريزة الشوفانية"[٢١] :

ألغيتُ موعدَ السفر معك

لأنّ دوار البحر يتعبك

ولأنّ جلدك الطري كالقطيفة

لا يتحمل ملوحة البحر

وعضات أسماك القرش

والنوم على سطح المراكب

يوسّخ قميصك المُنشّى

وشعرك المُصفّف

لدى أمهر حلاّقي المدينة [٢٢]

فالرجل الشرقي الذي لم يكن ليرى في المرأة غير جسدها تبالغ سعاد الصباح في تصوير اهتمامه بتصفيف شعره وبياقة قميصه " في محاولة جريئة لزلزلة قدسية الرجل " بإحداث

---

٢١ – د. مها ناصر ، هدم وبناء ، ص ٤٧ .

٢٢ – فتافيت امرأة ، ص ٧٧ وما يليها.

شروخ في ثبوتية صورة الرجل السيد المعصوم ذي العقل الكامل[٢٣].

وفي قصيدة " ثورة الدجاج المجلّد " [٢٤] تصوّر سعاد الصباح واقع المرأة المُزري في مجتمعاتنا العربية، موضحة أن المرأة في بعض مجتمعاتنا يُنظر إليها كالدجاجة بخضوعها والرجل يُنظر إليه كالديك :

سأعلن باسم سعاد

وهند ،

ولبنى ،

وباسم بتول

سأُعلن باسم ألوف الدجاج المجلّد

باسم ألوف الدجاج المعلَّب ..

.. سأعلن - ياأيها الديكُ -

أني انتقمتُ

لكلِّ نساء العشيرة منك

سأصرخ :

---

٢٣ - قارن ، د. مها ناصر، هدم ..... وبناء ، ص ٤٧ .

٢٤ - امرأة بلا سواحل ، ص ١١١ - ١٢٣ .

باسم العذارى اللواتي

تزوَّجتهُنّ ..

وطلّقْتَهُنّ ..

كما تُشترى ، وتباع الخيول !! [٢٥]

وواضح هنا أن سعاد الصباح قد أعلنت باسم النساء العربيات ثورتها العارمة ضد الرجل الشرقي (النموذج) وأدانت سلوكياته وممارساته ورؤيته السلبية للمرأة. وفي هذه القصيدة الطويلة حاولت سعاد الصباح أن تعرّي عقلية الرجل الشرقي المتناقضة الجاهلة بإمكانات المرأة ، وانصبّ اهتمامها على الرجل الذي مُنح فرصة التغيير ومع ذلك لا يزال يحمل مفاهيم لا تنسجم مع حجم فرصته .

هذه صورة عامة للرجل الشرقي كما رسمتها سعاد الصباح بمهارة وبحيادية، ولكنها عرضت لنا نماذج مُتفرعة منبثقة عن هذه الصورة العامة، وقد صنّفتها وفق ورودها في القصائد وأطلقت عليها تسميات مستوحاة من الإبداع الشعري نفسه، فجاءت على عدة أنماط :

رجل تحت الصفر :

يمثل " رجل تحت الصفر " نمطاً متفرعاً عن الصورة العامة

---

٢٥ - المصدر نفسه ، صص ١١١-١١٣ .

للرجل الشرقي. وهومعادل موضوعي لرجل موجود في واقعنا العربي الذكوري. فهو رجل غير قادر على تذوّق جماليات الكون، من شعر وحب. ويقف عاجزا أمام محبوبته، وهي تفشي سرّه بتجمّد عواطفه وبرودة أعصابه وقواه .

إنّ عبارة " رجل تحت الصفر" [٢٦] هي إحدى قصائد ديوانها "في البدء كانت الأنثى " فعنوان القصيدة يشكلّ مفتاحاً لولوج النص ، وهو تحديد لاتجاه القراءة ورسم لاحتمالات المعنى، وهو يُجسّد معنى القصيدة ويختصر معناها ومغزاها [٢٧] . والعنوان هنا يحتوى مخزوناً هائلاً من المضامين، فلم يعد مجرّد عنوان يشكل معبراً لغوياً للقصيدة، وإنما غدا نصاً موازياً للنص الأصلي. ويُدرس العنوان أيضاً من حيث تناصه مع عنوانات أو كتب أوأقوال. وهذا العنوان يتناص مع كتاب رولان بارت " الكتابة في الدرجة صفر (١٩٥٣) الذي يؤسس فيه لكتابة حيادية أو " بيضاء" ، ومع رواية لمصطفى محمود تحمل العنوان نفسه. ويتناص العنوان أيضاً مع رواية غادة السّمان " غربة تحت الصفر" (١٩٨٧) .

إن عنوان القصيدة يُلخّص وجهة نظر سعاد الصباح في الرجل

---

٢٦ – في البدء كانت الأنثى ، ص ٣٠ ـ ٣٣ .

٢٧ – انظر ، د. علي جعفر العلاّق ، الشعر والتلقّي ـ دار الشروق ـ عمان ط١ . ١٩٩٧، ص ٨٥، وانظر حاتم الصكر ، ما لا تؤديه الصفة ، المقتربات اللسانية والاسلوبية الشعرية ، دار كتابات ، بيروت ط١ ١٩٩٣ ، ص٢٢ .

الشرقي ويعرّي نفسيته ويكشف تناقضه. فالقصيدة ترسم ، ملامح رجل تحت الصفر ، وتجعل منه نمطاً ينسحب على فئة من الرجال الشرقيين المتفردين في صفات السوداوية والتسلّط والعدوانية والقتل والنهي والأمر ، والجهل بالشعر وقلة الخبرة في التعامل مع النساء وبرودة الأحاسيس والعواطف .

وتحارب سعاد الصباح كل رجل تحت الصفر ، وتستدعي له معادلاً موضوعياً له حضوره في التاريخ بظلمه وساديّته ودمويّته ، وهو هولاكو القديم " الجديد " الذي يضع سيوف القهر على رقاب النساء ، ويتقن فن القتل ، ولا يُفرّق بين الدماء والحب :

ياهولاكو هذا العصر ..

ارفع عنّي سيف القهر

إنك رجلٌ سوداوي

عدواني

لست تفرّق بين دماي

وبين نقاط الحبر

ياهولاكو

أنت تمارس فن القتل

وإنّي أُتقِنُ فنّ الصبر (٢٨)

---

٢٨ - في البدء كانت الأنثى ، ص ٣٠ ومايليها.

هذا هو هولاكو العصر الجديد الذي ترفضه سعاد الصباح ، وترفضه كل امرأة عربية قادتها إليه الأقدار ، فاستعبدها وأذاقها صنوف القمع والتسلّط والقسوة والقهر ، وتفنّن في تعذيبها . إن سعاد الصباح حين تتأمل هذه السلوكات العدائية تجاه المرأة من هذا النمط من الرجال تشعر بالمرارة والأسى والتفجّع . فهو نمط معقّد وجامد [٢٩] ، لذلك تثور عليه وعلى طبيعته المتسلطة القائمة على الأمر والنهي . فالمرأة تكره أفعال الأمر والنهي وتحب أفعال الرجاء :

.. ياهولاكو التاسع والتسعين

لن تُدْخِلَني بيت الطاعة .

فأنا امرأة ..

تنفرُ من أفعال النَهي ..

وتنفرُ من أفعال الأمر . [٣٠]

إنه نمط تتجمع فيه كل صفات الظالمين أمثال هولاكو ، إنه حقيقة رجل تحت الصفر ، "معوَّق ومعوِّق " [٣١] . والحياة معه لا حيوية فيها ولا لذَة ، وحرارته تحت الصفر، وقواه خائرة كعصف مأكول :

---

٢٩ – انظر ، د. فوزي عيسى ، القصيدة أُنثى والأُنثى قصيدة ، قراءة في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ص٣١ .

٣٠ – في البدء كانت الأنثى ، ص ٣٢ .

٣١ – مقتبس من د. مختار علي أبو غالي ، القضايا والادوات في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٦٤ .

.. إنّ شفاهَك مثلُ الشوْك ..

وإنّ سريركَ مثلُ القبر ..

ياهولاكو ..

.. إنّي في حال الغليان ،

وإنّك رجلٌ تحت الصِفر ... (٣٢)

فحينما استدعت سعاد الصباح " هولاكو " واتخذت منه نمطاً للرجل الشرقي في تعامله مع المرأة ، تكون قد وضعته في أسوأ حالاته وصفاته ، وخاصة عندما وصفته بأنه رجل تحت الصفر، وهو مصطلح مفتوح على عدة تأويلات . إنّ توظيف هذه الشخصية بكل ما تحمله من وحشية ودموية وبلادة وبرودة أطّرت صورة هذا النمط من الرجال ، وشكّلت وسيلة تعبير وإيحاء ، وتقنية فنيّة في يد الشاعرة عبّرت من خلالها أو بها عن رؤياها المعاصرة تجاه النمط الذكوري الذي تقمّص روح هولاكو واستنسخ أفكارَه واجتر جهله وعدوانيته وبلادته.

الرجل الآلي (الروبوت) :

تحاول سعاد الصباح من خلال تناول هذا النمط من الرجال أنْ تبين أنّ العاشق العربي "روبوت " مبرمج لا يخرج عن برمجته في تعامله مع المرأة ، كما تشير إلى أنّه مبرمج على موروث ذكوري

---

٣٢ - في البدء كانت الأنثى ، ص ٣٢ وما يليها.

طويل ، فلم يستطع الإفادة من الحداثة والمعاصرة التي يتحدّث عنهما .

وترسم سعاد الصباح هنا صورة لنمط آخر من الرجال الشرقيين ، وتنعته بالرجل الآلي ، ففي قصيدتها " إلى روبوت عربي عاشق "[٣٤] تحاصر هذا النمط الجامد في مشاعره وأحاسيسه ، الآلي في عواطفه ووجدانه . وهو نمط طاووسي يعيش في ازدواجية كبرى ، فتعمد إلى تعريته وإدانة تناقضاته . إنّ مشكلته الكبرى أنه يختزن في ذاكرته كل الأفكار القديمة والأقوال الجاهزة المأثورة والموروثة عن أجداده من نزعات التملّك والهيمنة والتعدّدية النسائية. [٣٥] :

مشكلتك الكبرى ، ياصديقي

أنك تختزن في ذاكرتك

كل الأفكار السلفية

وكل ما ورثته من أجدادك

من نزعات التملّك ..

---

٣٣ – اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

٣٤ – في البدء كانت الأُنثى ، ص ١٣٣ـ ١٣٨ .

٣٥ – د .فوزي عيسى، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

والسيادة ..

والتعدّدية النسائية [٣٦]

ومشكلته الكبرى أيضاً أنّه يتحدّث عن الحداثة والمعاصرة ولا يعيشهما ، وهو بالرغم من كثرة تجواله وتطوافه في العالم إلاّ أنّه لم يبارح الخيمة بأجوائها وتقاليدها :

.. ورغم كثرة أسفارك

فإنّك لم تبارح خيمتك .. [٣٧]

إن قصيدة "إلى روبوت عربي عاشق " قصيدة قصصية تبدو فيها المرأة راوية تروي مشكلات الرجل وتسرد معالم شخصيته السلبية الحيادية غير المنفعلة والفاعلة . وقامت الشاعرة بتصعيد الحدَث من خلال تكرار عبارة واحدة في بداية كل مقطع هي : "مشكلتك الكبرى " المشكلة الكبرى توجز بأنّ هذا الرجل غير مُهيّأ للحب ، لكنّ هذه المشكلة تتشعب عند سعاد الصباح لاتصالها بتفكير الرجل وموروثاته، وعدم قدرته على التأقلم مع الحياة المعاصرة التي يعيشها . وهو في حالة انفصال وانفصام . وهو كذلك أناني نرجسي حتى النخاع في سلوكه وفكره ورغباته وشخصه . وهو يعيش فكرياً في غير عصره ، فهو ما زال

---

٣٦ - في البدء كانت الأُنثى ، ص ١٣٣ .

٣٧ - المصدر نفسه ص ١٣٤ .

إقطاعياً في العصور الماركسية ، وما زال قبلياً في العصور الليبرالية ، وهو ما زال مسكوناً في ثقافة القبيلة الجاهلية في عصر حرب النجوم وثورة التكنولوجيا والمعلومات [٣٩] .

ومشكلته الكبرى أنه مصفح ضد الحب والشعر والحنان ، رغم أنه يتحدّث عن الحب والحنان ولم يعرف قلبه الحبَّ والحنان وهو منغلق غير متطوّر :

مشكلتك الكبرى

أنك مصفح ضد الحب

وضد الشعر

وضد الحنان

وأنّك لم تفتح - منذ عرفتُكَ -

نافذة واحدة لدخول الشمس [٤٠]

و" الروبوت " العربي العاشق متناقض غير متصالح مع نفسه ، يشتري الكتب للتباهي ولا يقرؤها ، ويزور المتاحف والمعارض دون أن يتذوّق جمال لوحاتها . وهو نمط شهواني "دون جواني " يُغيّر

---

٣٨ - اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٣٤٨ .

٣٩ - انظر في البدء كانت الأُنثى ، ص ١٣٥ وما يليها.

٤٠ - المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

النساء كما يُغيّر قمصانه وربطات عنقه ، ويمارس الحُب بروتينية ونمطيّة مُستهلكة :

مُشكلتك الكبرى

أنك تشتري الكتب ، ولا تقرؤها

... وتُغيّر النساء

كما تغيّر قمصانك ...

وتمارس الحب

كما تخلع حذاءك (٤١)

ولقد تحوّل هذا النمط من الرجال إلى رجل آلي مبرمج بهذه المجموعة من المشكلات الكبرى ، كما أنه " كمبيوتر " تتحكم به أجهزة خارجة عن جسمه ، ويُشحن بالطاقة شحناً فحبُّه آلي مبرمج ، حتى ثقافته آلية مخزونة في ذاكرته ، ومعبّأة بمعلومات عن الحب من كتاب "ألف ليلة وليلة " . وطقوس الحب عنده مُستّقاة منها ، ولهذا فقد حاربت سعاد الصباح بشعرها وفكرها كل من يحيا بمثل هذه الذهنية المبرمجة آليا :

مشكلتك الكبرى

أنّ جميع معلوماتك عن الحب

مأخوذة من كتاب (ألف ليلة وليلة)

---

٤١ - المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

فاحتفظ بذاكرتك المعدنية كما تُريد ..

فإنّ آخر اهتماماتي

أن يُحبَّني (كومبيوتر) .. [٤٢]

ولا يخفى على أحد الثقافة العالية التي تتمتع بها سعاد الصباح والتي ما أنفكت توظّفها في إنتاجها الإبداعي ، فهي توظّف الإنجازات العلمية وتخلق لها سياقات وأنساق لغويّة وشعريّة تخدم قضيتها ورسالتها . ففي قصيدتها " إلى روبوت عربي عاشق " ندرك من العنوان أننا مع رجل آلي ، لا يملك الخروج على ما غُذّي به وشُحن في ذاكرته . ووُفّقت سعاد الصباح أيّما توفيق في استعارة هذا المُنجَز الحضاري والترميز به للرجل العربي العاشق الذي يسلك وفق الموروث القديم ، دون إدراك لمتغيرات ومتطلبات الحدَث من زمن إلى زمن ومن جيل إلى جيل [٤٣] .

دراكولا العربي :

دراكولا هو الأمير الروماني فلادتيبيسو المُلقّب بـ " دراكولا " ويعني ابن الشيطان ويُعتبر " دراكولا " بطلاً وطنياً في روما القديمة لقيامه بإحتواء الاجتياح التركي لأوروبا . وقد حكم ما

---

٤٢ - المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

٤٣ - قارن ، د. مختار علي أبو غالي ، مرجع سابق ، ص ١٧١ .

بين عامي ١٤٦٥ و ١٤٦٢ . وكان موصوفاً بتعامله الوحشي مع المسؤولين الفاسدين واللصوص وخصوصاً المُحتلين .

وقد حيكت حول دراكولا الكثير من الحكايات الغرائبية من مثل جمعه لخمسة آلاف من الفقراء وقتلهم للقضاء على الفقر . وهو الذي ابتدع " الخازوق " ، وهي الطريقة التي اشتُهر بها في قتل ضحاياه . وقد عُرف بمصاص الدماء ، ويُروى أنه قَتل بالخازوق أكثر من أربعين ألفاً من البشر آنذاك . وقد وظّف الكاتب الإيرلندي برام ستوكر عام ١٨٩٧ هذه الشخصية في روايته " مصاصي الدماء " ، واتخذ من شهوته وعشقه للقتل محوراً مضمونياً .

هذا هو دراكولا الروماني ، فما هو دراكولا العربي الذي وظّفته سعاد الصباح وعنونت قصيدة باسمة ؟ [٤٤] موظّفة إياه كرمز لنمط من أنماط الرجال في المجتمع العربي . لقد حاولت سعاد الصباح من خلاله رسم صورة لهذا النمط الذكوري العربي. واللافت للنظر أنّ الشاعرة وظّفت شخصية " دراكولا" الدمويّة وفق " الطريقة العكسية " في استدعاء الشخصيات ، وخاطبت هذا النمط " مصاص دماء النساء " في إطار مفارقة لا تنسجم مع ما اشتهر به من دموية وظلم ، فهي تنادي " دراكولا العربي " وتستنجد به ليحررّها وينقذها من الظلم والحصار والتعذيب ، بالرغم من أنه هو سبب الظلم والحصار والألم :

---

٤٤ – في البدء كانت الانثى ، ص ١٣٢ .

ياسيدي

يامَلِك الحُبُ . ويا مُحرّر النساء

إليك قد لجأت كي تلُمنّي

من قسوة الأنواء .

وواضح هنا نغمة السخرية ، إذْ إنّ سعاد الصباح توضّح رأيها بهذا النمط من الرجال من خلال اعتمادها على ثلاث كلمات : (سيد ، مَلِك ، مُحرّر) . وهي تُشكّل مفاتيح لدلالات كثيرة وتفجرّ كماً هائلاً من المضامين .فعلى مستوى التوظيف الفني ، اعتمدت سعاد الصباح أضداد هذه الكلمات من حيث الدلالة والإيحاء ، فلفظة "سيّد " أرادت منها معنى السيادة والسيطرة التي تصل الى درجة الاستعباد والاضطهاد ، كما أنّ لفظة "مَلِك " توحي في بُعدها الإشاري السيميائي إلى التملُّك والهيمنة ، بينما ترمز الشاعرة بلفظة " مُحرِّر " للمُخلِّص ذي الدلالة السلبية على طريقة " دراكولا الروماني " الذي كان يُخلّص الفقراء من الفقر بقتلهم .

هذا هو دراكولا العربي الذي يتقّمصه الرجل الشرقي ، ويمارس في حُبّه نفس الطريقة التي كان يمارسها دراكولا الروماني . ولهذا عندما لجأت إليه الشاعرة تطلب منه التحرير والخلاص ، فإذا به يزيد الطين بلّة والداء عِلّة ، فيقوم بسلوك ساديّ وحشي كعادته :

وعندما رأيتني

مكسورة .. مقهورة

حوّلت أجزائي إلى أجزاء

وبعدها .. تركتني ضائعة

كذرة الغبار..

بين الأرض والسماء .

وللرجل في قصيدة " للأنثى قصيدتها .. وللرجل شهوة القتل"[٤٥] ملامح من شخصية " دراكولا " فكما كان دراكولا يعشق القتل فإن الرجل في القصيدة يعشقه أيضاً . إنّ هذه القصيدة " من أعلى الأصوات الشعرية في مهاجاة الرجل-إن لم تكن أعلاها فعلاً - فنبرتها مدوّية تكاد تصل إلى الهجاء " [٤٦] . ولعلّ هذه النبرة العالية جاءت نتيجة تعرّض سعاد الصباح في مرحلة من حياتها " للنقد والتجريح من مجموعة كبيرة من " الأقلام والأقلام الوطنية تحديداً " [٤٧] .

وبالرغم من أنّ سعاد الصباح لا تواجه في القصيدة رجلاً ، إلاّ أنّها اختارت المواجهة في العنوان تمشياً مع الرؤية العامة ، فهي تصارع مجتمعاً ، والمجتمع بطبيعته ذكوري ، ولذلك وضعت

---

٤٥ - امرأة بلا سواحل ، ص ٩٩ ـ ١٠٥ .

٤٦ - د.مختار علي ابو غالي ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

٤٧ - اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

العنوان على التغليب كما أن العنوان يحمل في ثناياه " ثنائيتين ضديتين " الأنثى والرجل، والمسالمة والعدوانية ، فللأنثى قصيدتها أي رقتها ومسالمتها ،وللرجل خشونته وعدوانيته :

سيظلّون ورائي

بالبوارید ورائي

والسكاكين ورائي

والمجلات الرخيصة ورائي ..

فأنا أعرفُ ما عقدتُهم

وأنا أعرف ما موقفُهُم

من كتابات النساء (٤٨)

وتظهر عدوانية الرجل ودمويته ونهجه الدراكولي في هذه القصيدة من خلال حشد منظومة من الكلمات لها دلالات القتل والدموية والظلم والاضطهاد ، فبالإضافة إلى كلمتي" البوارید " و" السكاكين " اللتين وردتا في المقطوعة السابقة، وظّفت الشاعرة في القصيدة : كلاب النقد، والرعب، والجنود الانكشاريين، والصَلَب ، والقمع ، وذبح الشعر والشعراء، وفرعون .

---

٤٨ – امراة بلا سواحل ، ص ٩٩ .

إنّ هذه الكلمات والعبارات لم تأتِ عبثاً ، بل أختيرت بقصدية واعية لتشكّل مفاتيح للدخول إلى النص وبيان ما فيه من إيحاءات وظلال وإيماءات ، أو لتكون " مصابيح " [٤٩] . وقد جاءت هذه الكلمات المفاتيح أو المصابيح مُدّعِمة لِما يحمله العنوان من دلالات وعلامات سيميائية . وكما أن العنوان يشكّل مفتاحاً للدخول إلى النص . فإنّ الخاتمة تشكلُ مفتاحاً للوصول إلى الغايات [٥٠] . وهكذا جاءت الخاتمة لتكشف لنا الوصول إلى الغاية التي هي الكشف عن صورة الآخر ، وإبراز قوة التحدّى ، ولذلك كرّرت الشاعرة لفظة " أتحدّى " في القصيدة سبع مرات ، متخذة من الشعر سلاحاً لهذا التحدّي .

... غير أنّي ما تعوّدت بأن أنظر الى الوراء

فلقد علّمني الشعر بأن أمشي

ورأسي في السماء .. [٥١]

تقدّمي من العصور الوسطى :

هذا وصف لنمط من الرجال في بعض المجتمعات العربية تضيفه لنا سعاد الصباح إلى الأنماط السالفة الذكر ، وهي تريد

---

٤٩ – انظر ، علي الجعفر العلاّق ، مرجع سابق ، ص ٨٥ ، واسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

٥٠ – انظر اسماعيل اسماعيل مروه ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

٥١ – امرأة بلا ساحل ، ص ١٠٥ .

من خلال هذا النمط إبراز ازدواجيتة وعدائه للمرأة ، وانشغاله بالمظاهر الشكلية للحضارة . فهو أشبه ما يكون بتقدّمي ينتمي إلى عصور الجهل والخرافة والظلام .

ويمتد هذا النمط على مساحة كبيرة من شعر سعاد الصباح بُغية تعريته وكشف عجزه الفكري وقصور رؤيته الثقافية وممارساته القمعية الاستلابية ضد المرأة . إنّ هذا " النمط الفحولي " المدّعي ، يتظاهر بالتقدمية ، ويتبجّح بها، وفي الوقت نفسه لا يجد غضاضة في ابتزاز المرأة وفرض شروطه عليها ، واستغلالها وامتهانها [٥٢] . إنه يعاملها معاملة الإقطاعي وينظر اليها وكأنها قطعة أثاث قديمة ، ولا يتورّع عن قمعها وبطشها وكبت حريتها وفرض وصايته الفكرية والوجدانية عليها .

وهذا النمط قدّمته لنا سعاد الصباح بشكل واضح في قصيدة بعنوان " إليتقدّمي .. من العصور الوسطي " [٥٣] . وهو نمط لم تنضج معرفته بالمرأة وكينونتها بعد ، لذا ما زال يتصرّف بعقلية العصور الوسطى وعقلية فرعون والفاتحين والاقطاعيين :

لو كنتَ تعرفُ كم أحبُك ..

لم تعاملني كفرعون

---

٥٢ - انظر ، د.فوزي عيسى ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٥٣ - فتافيت امرأة ، ص ٦٧- ٧٤ .

ولم تفرض شروطك مثل كل الفاتحين

ولم تكرّسني كأرض للفلاحة ..

شأن كل المالكين [٥٤]

وتصف سعاد الصباح هذا النمط بأنه جامد متحجّر ، فهو يحتكر الذكاء ويرى أنه هو الذكي وحده ويفترض الغباء في الآخرين . وهو نمط جاهل قاصر المعرفة يعيش في غير عصره وينبتّى أفكاراً ورؤى رجعية متخلّفة :

ياسيدي .. إنّ كنتَ تعتبر الأنوثة وصمة

فوق الجبين ،

فما الذي أبقيت للمحتجرين ؟

ياأيُّها الرجل الذي احتكر الذكاء

يا أيُّها القمر الأناني

الذي اغتصب السيادة في السماء [٥٥]

فالرجل هنا يدّعي التقدّمية والثقافة ، ولهذا تصفه الشاعرة بسخرية " بالقمر الأناني " فمن حقّه أن يكون قمراً ، أمّا أنانيته فمن قبيل الذكاء الغبي ، ودليل الغباء في الإنسان شعوره بأنه هو الذكي وحده [٥٦] .

---

٥٤ - المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

٥٥ - المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٥٦ - قارن ، د.مختار علي أبو غالي ,مرجع سابق ,ص ١٥٢ .

إن سعاد الصباح تدعو هذا النمط المدّعي بأنه تقدمي أنْ يكون تقدمياً حقيقياً ، وهذا يتطلّب منه أن يتسلّح بمعرفة حقيقية للمرأة ومشاعرها وعواطفها ليكون قادراً على التعامل معها ، وأن يؤمن بأن المرأة رفيقة درب وشريكة حياة ، فيلغي وصايته عليها وينزع عنها طوق التبعية الفكرية والنفسية :

يامَنْ تُعقّدُك انتصاراتي ...

يامَنْ تَخاف تفوُّقي ...

وتألقي ... (٥٧)

فالتقدمي في نظر سعاد الصباح لا يخاف تفوّق المرأة ولا تُعقّدهُ إمكاناتها ، ولا يخشى من تألّقها ، ولا يمارس ثقافة النفاق والرياء ، فيدّعي بأنه تقدمي ومثقف ، ويقول في وأد النساء ، ويظهر في كتبه وأقواله تقدمياً ، ولكنه رجعي في نظرته للأنثى :

أمثقّف ؟

ويقول في وأد النساء ..

فأي ثقافة هذي .. وأي مثقفين ؟

أتقدّمي في كتابته ؟

ورجعي بنظرته إلى الأنثى (٥٨)

---

٥٧ – فتافيت امرأة , ص ٧٢ .

٥٨ – المصدر نفسه , ص ٧٣ .

والمفارقة التي تُغضب الشاعرة وتؤلمها هي التناقض الكبير بين النظرية والتطبيق ، أي بين الفكر الذي يحمله وبين حياته التي يعيشها [٥٩] :

يامَن ينادي بالتسامح والعدالة

والتحرّر من الهوى

آمنت أنّك سيّد المتعصبين ..

ما كان يخطر لي بأنك جاهلي .

من غلاة الجاهلين

فكّرت أنك طبعة أُخرى

ولكني وجدتك ..

طبعة عادية كالآخرين!! [٦٠]

فعليه إذاً إذا أراد أن يكون تقدمياً أن يتخلّص من جهله ومن موروثة العاطفى الذي كان يرى في الأنثى جسداً مادياً ، ويرتقي برؤيته إلى الإيمان بالمرأة كفكر وإنسسان وعواطف ومشاعر ، ولا يكون طبعة مكرّرة عن الأنماط الأُخرى التي تعيش في العصور الوسطى .

---

٥٩ – قارن ، اسماعيل اسماعيل مروه ، مرجع سابق، ص ٤٧ .

٦٠ – فتافيت امرأة ، ص ٧٤ .

وهكذا قدّمت سعاد الصباح لنا مُرافعة شعرية عالية المستوى ، فهي تقارع هذا التقدمي المدَعي الحجة بالحجة . وتكشف زيفه وادّعاءَه ،وتبيّن للملأ أنّ هذه التقدمية المزعومة ما هي إلا طلاء وهواجس تخيّلية طيّارة .

النمط الشهرياري :

أن سعاد الصباح تسعى لاستعادة حقوق المرأة ، وهي لا تريد أن تقف ضد الرجل ، ولا أن يكون خصماً لها ، إنها تريده نصيراً لها ولقضاياها ، ومن هنا جاء تركيزها على الأنماط السلبية للرجل في بعض مجتمعاتنا العربية على سبيل تصحيح هذه السلبيات ، ووضع العلاقة بين الرجل والمرأة في مسارها الصحيح باعتبارهما يكمّل الواحد منهما الآخر .

ففي قصيدة " كن صديقي " [٦١] تقدّم سعاد الصباح نمطاً شهريارياً من الرجال، كل ما يطلبه من المرأة عاصفة من قبلات، وشكلاً لائقاً جميلاً، وزينة، وحالة تملّك وسيادة يقوم فيها بدور البطولة. كما يطلب عشقاً كبيراً وعطوراً وجسداً. وقد تسلّل هذا النمط إلى قصائد كثيرة عند سعاد الصباح وإن لم يُذكر صراحة.

إنّ نص " كن صديقي " يثير عدة أسئلة تتناسب مع عدد المُتلقين، وحالات القراءة والتلقّي والتأويل . وهذا ما دعاه النقّاد "بتحفيز الذهن القرائي " واستثارته للدخول في النص والتحاور

---

٦١ – في البدء كانت الأنثى ، ص ٩ ـ ١٤ .

معه . ونص " كن صديقي " مليء بهذه المُحفّزات المتعلقة بالنص والشاعرة والحالة أيضاً ، إضافة إلى المؤثِرات المصاحبة لقراءة النص والمتمثِلة في الحالة الراهنة للقارىء المتلقّي ، وهو ما دعاه الغذّامي " بالفعل القرائي " [٦٢] .

والفعل القرائي في هذه القصيدة يدفع إلى تصنيف نوعي يقوم على استقراء النص :

١ - ما تطلبه من الرجل .

٢ - ما يطلبه الرجل .

فسعاد الصباح لا تحمل موقفاً ضد الرجل ولا ترفضه ولا ترفض الحب ولا تقاوم الرجولة ، وإنما تطلب منه الرقّي في التعامل مع الحالة التي تعيشها المرأة كما تطلب رقي الحس [٦٣] .

إنّ سعاد الصباح ترفض بلسان المرأة عجز الرجل عن التأقلم مع الحالة النفسية التي تعيشها ، وترفض النزعة الشهريارّية في الرجل ، ورؤيتة للمرأة كرمز للمتعة الجسديّة ، والذي " تحكمه عاطفة الغضب والانتقام من المرأة في غياب الجانب العقلي أمام ثورة الغضب، ومفتاح شخصيّة شهريار في ألف ليلة وليلة هي سطوته وجبروته على المرأة "[٦٤]

---

٦٢ -انظر اسماعيل اسماعيل مروة ,مرجع سابق ,ص ٥٨ .

٦٣ - المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

٦٤ - د.مختار علي ابو غالي ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

فالمرأة تريد الرجل الصديق الحبيب الذي يمنحها الدفء ويُسمعها الكلمة الطيّبة ، وتريد مَن يهتم بأشيائها الصغيرة ، ومن يشعرها بإنسانيتها، إنّها بحاجة إلى الرجل الإنسان الذي يحلم معها ويمشي على العشب معها . ويحاورها ويأخذ برأيها ، ويقرأ معها الشعر الجميل . وهذه هي الأشياء الصغيرة التي أشارت إليها القصيدة . كما هي بحاجة إلى مَن يبصر عقلها وذكاءَها ، لا كما هو " شهريار" ، الذي لا يهتم إلاّ بشكلها وثيابها وزينتها وحليّها كنظرة الرجل الشرقي الذي تسكن روحه شخصية شهريار وعقليته :

كن صديقي .

كن صديقي .

كم جميلٌ لو بقينا أصدقاء

إنّ كلَّ امرأةٍ تحتاج أحيانا إلى كفّ صديق ..

وكلامٍ طيّب تسمعُه ..

.. فلماذا ياصديقي ؟

لست تهتم بأشيائي الصغيرة

.. فلماذا - أيُّها الشرقي - تهتم بشكلي ؟

ولماذا تُبْصر الكُحل بعينيَّ ..

ولا تُبْصرُ عقلي ؟

.. ولماذا فيكَ شيء من بقايا شهريار ؟ [٦٥]

إنّ الشاعرة تدين وتستنكر سلوك هذا النمط ورؤيته الضيّقة التي لا ترى في المرأة سوى أنها جسد مخملي جذاب ، وتُهمل الجانب العقلي والفكري والثقافي فيها . فهذا النمط الشهرياري لا يبصر عقل المرأة ولا يعترف بذكائها ، فهو مُعجبٌ بشكلها الظاهري ولا يرى فيها إلا جسداً شهوانياً جميلاً .

ويتساءل عبد الملك مرتاض في دراسته لهذه القصيدة التي خصّها بكتاب كامل درسها فيه دراسة لغوية أسلوبية ، فيقول : لماذا لا يبصر هذا الرجل الشرقي في المرأة غير كُحلها وشكلها ؟ وما يمنعه من النظر إلى عقلها ؟ فيجيب : " يبدو أن الرجل الشرقي يستهويه الجمال الأُنثوي أكثر من الرجل الغربي لوقوع الرجل الشرقي في مألوف العادة تحت سلطان الكبت المتولّد عن التربية الشرقية المُحافظة على عكس الرجل الغربي الذي تقوم تربيته على غير ما تقوم عليه في الشرق .. ولهذا فالرجل الشرقي بحكم تكوينه وتربيته ووضعه الاجتماعي يستهويه ويُغريه الدلال ، فما ذنبُه " [٦٦] :

---

٦٥ – في البدء كانت الانثى ص ٩ وما يليها.

٦٦ – د.عبد الملك مرتاض ، النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح ، شركة النور ، د.ت ، ص ٩٠ .

.. فأنا محتاجة جداً لميناء سلام

وأنا متعبةٌ من قصص العشق ، وأخبار الغرام

وأنا متعبةٌ من ذلك العصر الذي

يعتبر المرأة تمثال رُخام . [٦٧]

وعلى الرغم من أن استدعاء شخصية " شهريار " جاءت بصورة مُقتضبة في القصيدة . إلاّ أنها شكّلت شعاعاً امتد ضوؤه إلى القصيدة بأكملها ، وتسلّل إلى عمق مغزى القصيدة والغاية منها ،لأنها كشفت سلوك الرجل الشرقي بوضوح ، وأبانت موقف المرأة من هذا النمط الشهرياري الذي تتقمصّه نفوس الكثير من الرجال الشرقيين :

فتكلّم حين تلقاني ..

لماذا الرجل الشرقي ينسى .

حين يلقى امرأة ، نصف الكلام ؟

ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى

وزغاليل حمام

ولماذا يقطف التفّاح من أشجارها

ثم ينام [٦٨]

---

٦٧ - في البدء كانت الأنثى ، ص ١٤ .

٦٨ - المصدر نفسه ، ص ١٤ .

إنّ الفعل القرائي لعبارات : قطعة حلوى ، وزغاليل حمام . وقطف التفّاح والنوم ، تنقلنا وتحفّزنا سيميائياً إلى سلوكات شهريارية . واستناداً إلى " الفعل القرائي " نرى أنّ المرأة هنا نموذج كما هو الرجل .

فالشاعرة النموذج تحمل على كتفيها عبء المراة وهمّها منذ أيام شهريار وحتى يومنا الراهن.شهريار الذي مازال يقبع في ذهنية الرجل الشرقي ,ويرى أنّ المرأة مجرّد أُنثى تشبع غرائز الرجل ورغباته ",فقطعة الحلوى" ترمز إلى اللذة والجمال و"زغاليل الحمام" إلى الجسد و"قطف التفّاح والنوم" إلى الشهوة .

وهكذا استطاعت سعاد الصباح ان ترسم ملامح أساسية من صورة هذا النمط الذي ارتأينا أنْ نُطلق عليه "النمط الشهرياري" وتكشف الخلفية الاجتماعية والثقافية التي أفرزت مثل هذا , النمط . وتعقد موازنة عقلية من موقف الرجل وموقف المرأة من العلاقة التي من المفروض أن تربطهما .

الحبيب.السجّان

إن الحديث عن الحبيب هنا في رأيي هو حديث يدخل في باب " النمذجة " , أي أنّ الحبيب الذي تتحدث عنه سعاد الصباح ليس شخصا معروفًا أو رجلا بعينه ,وإنما هو "النموذج " الذي ينسحب على كل رجل تتوافر فيه الصفات التي تتمنّى المرأة أن تكون فيه.. فعندما نرى سعاد الصباح تتحدث عن شخص وتخاطبه وتناجيه

وتتوسّل اليه فهي بذلك تنطق بلسان أخواتها النساء وتارةً تنعته بصفات ليست فيه ولكنها تتمنّى أن تتحقّق فيه .

ولهذا فإنّ رؤية سعاد الصباح للحب تنسجم مع موقفها المُناصر لقضايا المرأة ,وقد عبّرت عن رؤيتها تلك في مقدمة ديوانها " قصائد حب" [٦٩].فهي ترى أنّ من حق المرأة أن تحب وأن تعبّر عن مشاعرها العاطفية بحريّة .إنها تدعو" إلى ديموقراطية عاطفية يتساوى فيها الرجل والمرأة في حريّة البوح ولا ,بحيث لا يحتكر الرجل وحدَه بلاغة الخطاب الإيروتيكي, تبقى المرأة مجرّد مستمعة لاسطوانة الحب التي يعزفها الرجل ليلا ونهارا " [٧٠] .

سعاد الصباح ليست شاعرة غزلة أو متغزلة بالمفهوم التقليدي للغزل في الشعر العربي. وشعرها في هذا الموضوع يصدر عن رؤية عامة وتجربة وصفية عامة تعبّر من خلال ذاتها عن ذوات بنات جنسها اللائي يشتركّن في غريزة الحب،ولذلك نراها قد اتخذت من نفسها معادلا موضوعياً للمرأة العربية ,وتحدّثت بلسانها في موضوع الحب .ومن هنا وجدنا شعرها مليئا بالحب لكنه حب الوجدان الذي يقف مع الرجل كحالة متماسكة تؤصل, لعلاقة صحيّة ونقيّة بين الرجل والمرأة ، ولا تؤصّل لصورة

---

٦٩ – قصائد حب ، دار سعاد الصباح ، الكويت ط ١ ، ١٩٩٢، ص١٤.٧ .

٧٠ – مقدمة قصائد حب ، ص ١٤ .

جماعية قائمة على الافتتان بجمال المرأة وما هو مسكوت عنه من جانبها .فسعاد الصباح تمارس جرأة ترجمة المسكوت عنه عند المرأة إالى كلمات ومعطيات ورؤى ومواقف ومعاناة وقضايا ,وكأنها فنانة تشكيلية ترسم بالكلمة لوحاتها الشعرية للأنماط والنماذج النسائية التي التقتها وعرفتها خلال تجوالها وتطوافها الواسع في الوطن العربي[٧١].

ولهذا فإنّ حب سعاد الصباح رمزٌ تريد من خلاله تجسيد مشاعر المرأة تجاه غريزة الحب الصادق والشريف كحق للمرأة والرجل على حد سواء.هذا الحق الذي حرمته منه العشيرة والعادات التقليدية وتسلّط الرجل الشرقي الآمر الناهي .

ويؤيد ذلك مفهومها حول شعر الحب الذي هو يمدها عطاء وسخاء وانطلاقاً وانعتاقا إذْ تهب العاشقة نفسها لحبيبها متخطية تقاليد العشيرة بكل جرأة وشفافية :

وهبتك مفاتيح مدينتي

وعيّنتك حاكمًا عليها ..

وطردت جميع المستشارين

ونزعت من معصمي أساور الخوف ..

وإرهاب العشيرة [٧٢]

---

٧١ – بتصرّف ، اسماعيل اسماعيل مروه ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

٧٢ – فتافيت امرأة ، ١٠١ .

وفي إطار الصفات التي تريدها في الحبيب وتتمنّاها فيه فتقول مخاطبة الحبيب:,أخذت تصوّر الحبيب بقلبها وخيالها ,

يا حبيبي ,أنا لا أرجو على حُبِّك أجرا

أنا لا أطلب أن تجعَل لي قلبك قصرا

أنا لا أطمعُ في بابل أو إيوان كِسْرى

كل ما أرجوه أن تحنوعلى الأحلام صدْرا

وتُحيلَ الجوَّ تَحْنانا وإحسانا وبِرّا

.. كبريائي هي من كلَّ المُنى أعظمُ قدْرا

فاذا ما صُنْتَها لي بات لي حبُّك ذُخرا (٧٣)

وتطلق سعاد الصباح العنان أحيانا لخيالها فتشطح شطحات صوفية التعبير ، فانظر الى قولها :

مــولاي كــيف اخــتلْت فــوق الثــرى

ولسـت مـن طينـــة هذا البـــشـر؟

أنـت نقـــاءُ الفـــجـــر في طُـهْـــرِه

وبهـــــجـــةالعِطر ونفـــحُ الزَّهَـــرْ

---

٧٣ – ديوان أمنية ، دار سعاد الصباح ، ط ٢ ، ١٩٩٨ ، ص ٦٤ .

٧٤ – المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

أنت انطلاقُ النّفسِ من قـــيـــدهـا

أنت الـنّـدى..أنـت عـطـاء المـطـرْ [٧٤]

وتقول:

فمتى ترحم يا حُبّي سجودي وركوعي؟

ومتى تطلُع بالامال يا حُلْوَ الطُّلوع ؟ [٧٥]

فالحبيب عندها خيال مشوب بالواقع ، ويقع القارئ بينهما في حيرة وهي في ذلك تشبه حافظ الشيرازي الذي يحار النقّاد في غزله ،أهو غزل مادي أم عشق وجداني ربّاني ؟ [٧٦] .

وترغب سعاد الصباح أن يتعامل معها الحبيب على أنها كائن إنساني من روح وجسد أو كنص مفتوح.فالقصيدة تدخل هنا في اللامتناهي من جانب الشاعرة ,واللامتناهي يجعل الجسد نصًا مفتوحاً على الاحتمالات كلها [٧٧] . وهو ما تكشفه لنا سعاد الصباح في قصيده " النص المفتوح" وهي من قصائدها القصيرة جدّا ، أو ما يمكن تسميتها بقصيدة " الومضة" :

---

٧٥ -المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

٧٦ - د.محمد التونجي ، قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح ، منشورات شركة النور ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ٥٠ .

٧٧ - محمود حيدر ، لغة التماس ـ مطالعة في شعر سعاد الصباح ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ بيروت ـ ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٤٨ .

أهم ما فيك

أنّك لا تتعامل معي

كقصيدة منتهية ..

وإنما تتعامل معي

كنص مفتوح على الحرية.. (٧٨)

وقصائد الحب عند سعاد الصياح تُجسّد رغبة المرأة في الحديث عن الحب الذي كان الرجل ومازال يحتكر الحديث عنه , وله الحق وحده ، أما المرأة فعليها أن تظل مستمعة صامتة . ولهذا تحاول سعاد الصباح في قصائد الحب أن تصبغ رؤية معمّقه لفلسفة الحب وقضايا المرأة ، والحب أسمى هذه القضايا. ومن هنا ، دعت الرجل في التخلّي عن " نرجسيته " و" تعدّديته " وبرودة احادسيسه وحياديّته وغموضه ، وهيمنته واستعلائه ، فتقول:

...أيّها الغامضُ كالأساطير

والمترجرج كالزئبق..

أيها الرجل الذي أوْصَلني

إلى مرحلة التبخّر..والاندثار

---

٧٨ – في البدء كانت الأنثى ، ص ١١٩ .

... أيّها الرجل المُنْهك بنرجسيته

والمُنهك بتعدُّديته [٧٩]

وتستقصي سعاد الصباح في سرد ملامح الحبيب ، فهو نموذج مستبد ومتملّك وإقطاعي ، فهي تتوسّل إليه بأن يمنحها حريّتها :

فيا أيها الإقطاعي

الذي يتجوّل على حصانه فوق شرايين يدي

ويمسك بيديه مفاتيح عمري

ويختم على شفتيّ بالشمع الأحمر

أتوسّل إليك للمرة الألف

أن تمنحني حرية الصراخ

وأنْ لا تقف بيني وبين الغيوم

عندما تمطر السماء .. [٨٠]

وبنغمة ساخرة تكتب سعاد الصباح قصيدة قصيرة بعنوان "ثقافة " [٨١] مخاطبة " حبيبا مُفْتَرضًا مادحةً إيّاه بأنه أول مثقف

---

٧٩ - قصائد حب ، صص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ .

٨٠ -فتافيت امرأة ، ص ٦٦ .

٨١ -في البدء كانت الأنثى ، ص ٨٧ .

عربي عرفته لا يعتبر " الجنس مطلبًا قومياً " ولا يَتخذ من "السرير منبرًا للخطابة" . وتخاطب سعاد الصباح رجلا آخر في قصيدتها " الحب والمُعتقل" [٨٢] . وتعبّر عمّا تريده المرأة من الحبيب , إنها تريد الحريّة ..

هذه الدائرة التي رسمتها بالحبر الصيني

حول فكري وذوقي وعاداتي وكلّ صغيرةٍ وكبيرة في حياتي ..

هذه الدائرة

بدأت تاخذ شكل المُعتقَل

فلا تُضيّق الدائرة عليّ كثيرا

لانني أُريدك حبيبي..

لا سجّاني

هنا لا تُمثّل سعاد الصباح ذاتها بل المرأة العربية بشكل عام ،كما أنّ المخاطب ليس رجلاً محدداً ، بل مُمثّلاً لكل الرجال الذين تنطبق عليهم صفات هذا الرجل . والقضية التي تدور حولها هذه القصيدة القصيرة هي مفهوم الحب وأبعاده ,حيث تريد الشاعرة أنْ تجعل "الحب صنواً للحرية " على عكس السائد من حصاره وتقييده وسجنه ، فهذا يتناقض مع الفهم الصحيح للحب " [٨٣].

---

٨٢ -المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

٨٣ - قارن ، د.مختار علي أبو غالي ، مرجع سابق ، ١٦٨ .

وتؤطّر سعاد الصباح في قصائد الحب والحبيب لمفهوم الحب وتوضّح عناصر خطاب العشق الذي يجب على الحبيب أنْ يتقنه ويترجمه إلى فعل ,فهي ترغب من الحبيب أن يخاطبها بلغة لم تسمعها امرأة غيرها وأن ياخذها إلى جزيرة حب لم تطأها قدم عاشق وأن يصحبها إلى حدود الشمس . وتركّز الشاعرة هنا على الجانب الرومانسي في موضوع الحب:

قل لي لغة

لم تسمعها امرأة

خُذني..نحو جزيرة حب

لم يسكنها أحدٌ غيري.. (٨٤)

وسعاد الصباح التي تنطق باسم المرأة تريد أن يكون الحبيب رجلا مثقفا حقيقيا ,يحترم أُنوثة المرأة وعقلها وحُرّيتها. تريده معلّمًا يؤثّر فيها ويشحنها بالشجاعة الادبيّة والحرية:

أيّ رجل أنت يا سيدي؟

أية بصمات تركتها على أفكاري؟

أية أمصال ثورية حقنتها في دمي؟ (٨٥)

---

٨٤ – ديوان : خذني إلى حدود الشمس ، دار سعاد الصباح للنشر ، الكويت ط ١، ١٩٩٧ ، ص ٥٩ .

٨٥ – في البدء كانت الأنثى ، ص ١٢١ .

وهكذا تُعبّر سعاد الصباح في قصائدها حول الحبيب عن مفهوم الحب كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن وموقفها من الحبيب ، فهي تريده حبيبًا يمنحها الحرية والدفء والحنان والعشق,وكل ما تحمله لفظة "حبيب"من دلالات ومضامين .وهي تريد أن تجعل من الحب صنوًا للحرية , ولهذا لا يمكن أن يكون الحبيب" سجّانًا " يُكمّم الآفواه ويكتُم الأنفاس ويخنُق المشاعر.

النماذج الإيجابيه لصورة الآخر :

الرجل - الرمز

تحمل سعاد الصباح في صدرها قلب كبير يمتلئ بالحُب الكبير المقرون بالإخلاص والوفاء ، ولهذا جعلت قضية المرأة هاجسها الأول ، وتحدّت كل الأنواء والمواجهات . ورسمت في شعرها نماذج وأنماطا لرجال عانت منهم المرأة ، وقد فصّلنا ذلك في الأنماط السلبية التي أوضحنا ملامحها وطبيعتها كما رسمتها الشاعرة.

أمّا في النماذج الإيجابية سنعرض لأنماط لم تعاني المرأة منهم، وليسوا داخلين في نادي القمع .لذا فهي ترى أنّ الرجل ليس شراً مُطلقا ,والمرأة ليست خيرا مطلقا .وفي مقدمة النماذج الإيجابية يأتي الشيخ عبدالله المبارك الصباح الذي هو بالنسبة للشاعرة الزوج والأخ والصديق والحبيب والنديم. واتخذت منه نموذجا إنسانيّا إيجابيا لصورة الآخر في شعرها , وجاء وصفها لزوجها ليس باعتباره زوجًا فقط وإنما كونه يجسّد الآمال

والتمنيات التي تتمنّاها المرأة في الرجل.ولذلك - فيما أرى - فقد تجاوزت سعاد الصباح في تقديمها لصورة هذا النموذج الذاتية إلي خلق حالة موضوعية ، وانتقلت من الحديث عنه كزوج إلى الحديث عنه كرمز.

والمتتّبع لسيرة الشيخ عبدالله المبارك مع الشاعرة يدرك مكانته في حياتها,فهو الذي أعطاها الحرية، وفتح لها باب الحوار مع موهبتها الشعرية ، وهو مَن ركّب لها أجنحة تحلّق بها في عالم الأدب والشعر، وهو الذي هيّأ لها فرصة البلوغ إلى أعلى المراتب العلمية والأكاديمية في حياتها. أضف إلى ذلك ما كان للشيخ من مزايا الرجل الحاكم الذي كان له دور كبير في دولته[٨٦] .

ومن أكثر القصائد تحديدا لملامح الرجل الزوج والرمز وهو على قيد الحياة قصيدة "هل نسيتم؟"، صاغتها الشاعرة تحت تأثير ظرف مُحدّد,ولذلك نجدها تركّز على الجوانب العامة الإنسانية في شخصيته:

كان في مَعْشرِه صَدْرًا حنونا

وسنى يبْهرُ بالحُبِّ العيونا

٨٦- لمزيد من المعلومات في هذا الموضوع انظر اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٧-٢٦٣ ، وعلي المسعودي ، حمامة السلام ، ص ٨٩ وما يليها.

وندى كالغيث في كفّ السماء

وإباءَ المعيَّ الكبرياء

وله قلبُ الصَّغارِ الأبرياء

كله خير، وطُهر، ووفاءْ

أنسيتم أنّه صقرُ الخليج

مُشرق الطلعة، فوّاح الأريج [٨٧]

وواضح هنا أنّ سعاد الصباح لم تركّز على عبدالله المبارك كزوج وإنما كرجل رمز ومعلَّم ورجل وطني مُخلص.وقد تحدّثت عنه في كتاباتها وحواراتها كثيرًا، فتقول عنه :"بأنه رجل حضاري بكل معنى الكلمة يؤمن بالعلم والمعرفة ، وبحق المرأة بأن تشق طريقها على قدم المساواة مع الرجل ، وإذا كنت قد وصلت إلى ما وصلت إليه في عالم المعرفة، فإنّ عبدالله المبارك الصباح كان وراء مجدي وانتصاراتي. [٨٨]

وهي لا تجد سواه في حالات الحزن والأسى عندما فجعت بابنها. فتهرَع إليه باحثة عن الحنان والحب ,لأنها لا تملك -

---

٨٧ - إليك يا ولدي ، دار سعاد الصباح ,الكويت ط ١، ١٩٩٢ ، ص ١٨ وما يليها .

٨٨ - على المسعودي ، حمامة السلام ، ص٩١ وما يليها.

وتؤكّد الشاعرة على التملك- إنسانًا وحبيبًا وأُمًا وأبًا وحضنًا سواه [٨٩] ,فتقول:

لا تلُمني يا حبيبي إنْ توالى ألمي

وأكتست نضرة ايامي بلون الظُّلمِ

.. ولمن اشكو عذابي؟ وعلى مَن أرتمي؟

أنا لا أملك إلاّ أنتَ .. من مُعْتصِمِ

أنتَ أُمي وأبي ,أنتَ حبيبي توأمي [٩٠]

وتخاطب سعاد الصباح الرجل الرمز الذي جاهد عُمره ليعود إلى وطنه ,وبعد صبر وتجلّد تحقّقت له العودة. وتتحوّل عندها قصيدة الرثاء في الرجل الرمز إلى قصيدة في الوطن وتمجيده .وتستغل الشاعرة موعد وفاة الرجل الرمز الذي تزامن مع تحرير الكويت,مما سمح لها بالعودة إلى الحديث عن فارسها ودروه في خدمة الوطن وتأثير الأحداث فيه :

يا ايُّهـــا النســـر المُضّـــرج بالأســـى

كم كنتَ في الزمن الرديء صـــبـــورا

كـــســـرتك انبـــاء الكويت، ومن رأى

بكل شـمـوخـــه، مـقـهـورا ؟ ,جـبـلاً

---

٨٩ – قارن ، اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

٩٠ – اليك يا ولدي ، ص ٥٥ وما يليها .

مـــا كـــان يمكن أن تعـــيش لكي ترى

مـــخلّعـــا ، مكـــســـورا,بـاب العـــريـن

يـا فـــارس الفـــرســـان,يـاابـن مـــبـــارك

يـامَن حـــمـــيـت مـــداخـــلاَ ، وثغـــورا

شـربت خـيـولك دمـعـهـا,وصـهـيلهـا

كـيف الخـيـول تموت ؟ لا تفـسـيـرا [٩١]

واستطاعت الشاعرة بمهارتها الفنّيـة في وصف ما حل بالكويت بسبب الغزو العراقي الغاشم الظالم أن تؤثّر في المُتلقّي من خلال رؤيتها بأنّ الذين دمّروا الكويت لم يدمّروه وحدَه بل دَمّروا تلك الذاكرة التي تتحرّك بحرية على أرض الوطن :

غـدروا بهـارون الرشـيـد .. وأحـرقـوا

كـتـب التـراث..وأعـدمـوا المنصـورا

عـبـثـوا بأجـسـاد النسـاء .. ودنّسـوا

قـبـر الحـسين ودمّـروا تـدمـيـرا

لم يتـركـوا في الحقل غُصنًا أخضـرا

او نـخلةً مـيـسـاءَ.. أو عـصـفـورا

---

٩١ - اخـر السيـوف ، دار سعاد الصباح ، الكويت ط١، ١٩٩٢ ، ص ١٥ ومـا يليها.

.. يا سـيـدي .. إنّ الشـجـون كـثـيـرةٌ

فـاذهـب لربّك ،راضـيًـا مـبـرورا [٩٢]

ثم تنتـقل الشـاعـرة إلى الإطار القـومي في صـورة الرجل الرمـز،فتـعـزف على وتر الوحـدة العـربيـة التي كـانت من أحـلام الشيخ،وقد أُجهض هذا الحُلم على أيدي العابثين ،وتمزج الشاعرة هنا بين الرمز والرجل والحلم المفقود :

خـذلوك ، يا شـيـخ العـروبة ، عندمـا

مـسلخـا وقـبـورا..،جـعلوا العـروبة

ذبحـوا الطمـوح الوحـدويّ..مَن الذي

يـرضى بـأن يتـزوج السـاطورا؟؟

جـاؤوا إليك.. لكي تُبـارك فِـعلَهُـمْ

يـأبى الإبـاء بـأن يكون أجـيـرا... [٩٣]

وبعد أن تحـدّثت عن الإطار العام لصـورة الرجل الرمـز تنتقل سعاد الصباح إلى الحديث عن الجوانب العائلية والفكرية ، فتقول على صعيد الجانب العائلي:

---

٩٢ – المصدر نفسه ، ص ١٩ وما يليها.

٩٣ – المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

أنتَ السـفـينة والمِظلة والهـوى

يا مَن غـزلت لي الحنان جـسـورا

غطيّـتني بالدفء منذ طفـولتي

وفـرشتَ دربي أنجـمـاً وحـريرا [٩٤]

وتُركّز سعاد الصباح على مستوى التفكير العالي الذي كان يتمتع به الشيخ وتشير إلى جانب مهم في هذا الموضوع ,كامرأة تحمل رسالة الدفاع عن حرية المرأة وحقها في التعبير عن رأيها، إلى أنّ الراحل مع حق المرأة في حرية الرأي والتعبير عن نفسها بصراحة وشفافية ودون شعور بالخوف أو القمع:

وحـمـيت أحـلامي بنخـوة فـارس

لم تُلْغِ رأيا أو قـمـعتَ شـعـورا

الله يعلم يا أبي ومُـعلّمـي

كم كُنت إنسـانًا ، وكنت أمـيـرا

أأبا مـبـارك يا منارة عـمـرنـا

يا درعنا وكـتـابنا المأثـورا [٩٥]

---

٩٤ – المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

٩٥ – المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

وواضح هنا أنّ سعاد الصباح تقدّم صورة للرجل الرمز متكاملة الأبعاد بحيث شكلت معادلاً فنيا للنموذج الواقعي، وأخذت تعّبر عنه كرمز أو كفئة أو كطبقة ,وبالتالي ساعدت المُتلَقّي على قراءة العام وفهمه من خلال الخاص.ومن خلال ذلك أعطت صورة موضوعية مطروحة بصورة فنّية ,وخلقت منه رمزًا وطنيًا ومعلّما ومنارة هداية تضيئ درب السالكين من بعده وجعلت منه كتابا مأثورًا مفتوحًا تقرأه الأجيال على مر العصور, والأزمان.

القائد - الرمز

إن انشغال سعاد الصباح بقضايا المرأة لم يصرفها عن الاهتمام بالقضايا القومية والسياسية ، فنزعتها العروبيّة والقومية ظلت تلاحقها في كل إنتاجها . فهي تؤمن بالوحدة العربية وترى أنها السبيل الوحيد لوصول العرب إلى ما يصبون إليه من نهضة وتنمية وتقدم. ولا غرابة في ذلك، فهي القائلة:

هل من الممكن إلغاء انتمائي للعرب

إنّ جسمي نخلة تشرب من بحر العرب (٩٦)

إن صدمة سعاد الصباح بالواقع المأزوم للعالم العربي جعلها تستصرخ مثلا أعلى وهي ترثي زعيماً مثل جمال عبد الناصر ،

---

٩٦ – فتافيت امرأة ، ص ١٣٢ .

فلم ترثي عبد الناصر بقدر ما رثت الأمة التي فقدت بفقده زعيماً قومياً شحن العرب بطاقات قومية . وإن لم يستطع توحيدهم سياسياً فقد وحّدهم فكرياً حول فكرة العروبة والقومية. واستغلت موضوع الرثاء لتقدم صورة للزعيم التي ترى بأنه يجب أن يوجد . كما أنها وظّفته لتوجيه سهام نقدها إلى واقع الوطن العربي الذي يعم بالقمع وتغييب للآخر ووأد الفكر الحر ووضع القيود والحواجز .

وتهدف سعاد الصباح من خلال عرضها لصورة القائد - الرمز- أن تقدم صورة للقائد الحاكم، وتتخذ منه رمزاً للتضحية في سبيل الوطن والأمة . وقد عبّرت سعاد الصباح في هذا الموضوع عن رؤيتها الأيديولوجية القومية التي تبنّتها . ولهذا نرى أنّ رثاءها للزعيم عبد الناصر نابع من أيديولوجية قومية لها بعدان :

١- بعد تربوي ، هدفه إبراز نضال القائد الرمز ، والكشف عن رسالته التي كان يحملها ، ودوره القومي والفكري في تعزيز فكرة العروبة والقومية .

٢- بعد انتمائي ، منبثق من خصوصية قومية ورؤية وطنية عند الشاعرة ، ومن توهّج الفاعلية القومية عندها .

وانطلاقاً من هذين البعدين جعلت الشاعرة من عبد الناصر نموذجا إنسانياً تشيد به وتدافع عنه وتتبنى أفكاره لأنه جسّد الحلم العربي في الوحدة والتحرر .

إن علاقة سعاد الصباح بعبد الناصر تعتمد على محورين ، الأول شخصي ، والثاني فكري ، أما فيما يتعلق بالشخصي فقد التقت الشاعرة مع الشيخ عبد الله المبارك بعبد الناصر غير مرة. وأما المحور الفكري فقد برز ذلك من خلال توافق سعاد الصباح والشيخ عبد الله المبارك وعبد الناصر على أفكار واحدة حول الأمل بالوحدة العربية . [٩٧] .

وقد كتبت سعاد الصباح في عبد الناصر قصيدتين هما : "عندما رحل ناصر" [٩٨] و "مِن امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر " [٩٩] ، واتخذت منه تمثالاً للوحدة العربية ، وجعلت منه رمزاً توجّه إليه نداءها لتذكر العرب بواقعهم المتقاعس والمشتت.[١٠٠]

ففي قصيدتها الأولى تشيد بأمجاد عبد الناصر ومبادئه وانجازاته القومية ودوره النضالي ، كما تراها هي ، لذلك فهي تنزع فيها إلى الخطاب الوجداني ممتزجاً بنسق فكري ضمن " السياق الفجائعي " بفقدها جمال عبد الناصر :

مصر يا أُمّي ، ويا همّي ، ويا خيرَ المهاد

لمن الصرخة في الليل دوّت في كل واد ؟

---

٩٧ – اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ٣١٨ .

٩٨ – أمنية ، ص ١٢ـ ١٤ .

٩٩ – فتافيت امرأة ,ص ١٣٥ـ١٤٤ .

١٠٠ – د .محمد التونجي ، قراءة مسافر ، ص ٢٢ .

لا تقولي أسلم الناصرُ للموت القياد

بعد أن كان مُنى العُرب وآمال البلاد

إنه كان هُدى الشعب على درب السداد

إنه كان الذي علمنا معنى الجهاد

كان أسطورة مجد ما روتها شهرزاد

سوف يبقى في حنايانا إلى يوم المعاد [١٠١]

أما قصيدة " من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر " فقد قيلت بعد أكثر من عقد على وفاة عبد الناصر [١٠٢] . فهي تركز على الخطاب الأيديولوجي الفكري ، وذلك بارز من العنوان . وتتحدث عن الماضي الذي يمثّله جمال عبد الناصر وعن مبادئه . وهذه القصيدة فكرية أكثر منها وجدانية وكأنها لم تكتبها لعبد الناصر بقدر ما كتبتها لانتقاد الواقع العربي المأزوم . ومن هنا نجد أن بعدي الخطاب الأيديولوجي في هذه القصيدة ، وهما التربوي والانتمائي بارزان بشكل جليّ .

فهو " الأب " الذي يحرص على نقل الأمة إلى بر الأمان ويضيء لها دروب الحرية والتحرر ، ولذلك نادته الأمة بالأب والمعلم والمحرِّر والموقظ ، وما زالت :

---

١٠١ -أمنيّة ، ص١٢- ١٣ .

١٠٢ - اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٣١٩ .

كنا نناديه جميعاً ، يا أبي

إذا أضعنا مرة آباءنا ..

فهو الذي أطلقنا من رِقّنا

وهو الذي حرّرنا من خوفنا

وهو الذي

أيقظ في أعماقنا الإنسان [١٠٣]

وتوسّع سعاد الصباح من دائرة البعد التربوي في فكر عبد الناصر ، فتضيف بُعداً نهضوياً تعبويّاً هدفه الدعوة إلى إكمال ما بدأه عبد الناصر ، وتحقيق ما كان يصبو إليه من الوصول إلى الحلم العربي بالوحدة والتكامل :

كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا

كان بنا يطير .. فوق جغرافية المكان

مستهزئا من هذه الحواجز المصطنعة

وهو الذي علّمنا

أن الشعوب تسجن السجّان

---

١٠٣ - فتافيت امرأة ، ص ١٣٧ .

وأنها حين تجوع

تأكل القضبان ... [١٠٤]

وبرعت الشاعرة في التعبير عن التماهي بين هذا القائد الرمز وأمته :

كان على صورتنا

كنا على صورته

كان يرى التاريخ في نظرتنا

كنا نرى المستقبل الجميل في نظرته [١٠٥]

ومعنى هذا أن العلاقة بين عبد الناصر وشعبه تعيش في حالة عشق صوفي . وكانت هذه العلاقة تمثل أعظم ثروة يعتز بها عبد الناصر ، وهي رصيده الذي يجابه بها أعتى خصومه في الداخل والخارج . [١٠٦] .

وقد استدعت الشاعرة شخصيتين دينيتين هما : المهدي والمسيح لكي تضفي " القداسة والإعجاز" على القائد الرمز :

كان هو المهدي في خيالنا

.. كان هو المسيح في اعتقادنا

---

١٠٤ - المصدر نفسه ، ص ١٣٨ ، ١٤١ .

١٠٥ -المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

١٠٦ -قارن د.مختار علي أبو غالي ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

فهو الذي عمّدنا

وهو الذي وحّدنا [١٠٧]

وواضح هنا الدلالات الرمزية والسيميائية لهاتين الشخصيتين وربطهما بشخصية عبد الناصر ، وما توحيهما من رموز التجدّد والانبعاث والاستقامة والعدالة . فالشاعرة ترى فيه هذه الصفات التي تنعكس في مرآة الوجدان العربي الجمعي .

الشهيد - البطل :

في هذا النموذج تقدم سعاد الصباح صورة أُخرى للنماذج الإيجابية التي عرضت لها في شعرها في إطار القضايا العربية النضالية ، وعبّرت فيها عن وعيها القومي وخصوبة انتمائها الوطني من أجل توسيع دائرة الانتماء في نفس الإنسان العربي وتقوية أبنية الخطاب الفكري القومي لديه وشحن مشاعره بطاقات تعبوية نضالية .

وقد ساهمت سعاد الصباح في هذا السياق منذ ديوانها الأول حتى ديوانها الأخير . ففي ديوان " أمنية " نقرأ لها قصيدة بعنوان: " أم الشهيد " [١٠٨] ، فقد حملت هذه القصيدة الروح الوطنية والقومية ، واقتصرت معالجتها الموضوعية على الأم

---

١٠٧ - فتافيت امرأة ، ص ١٤١ .

١٠٨ - أمنيّة ، ص٨ - ١١ .

وابنها الشهيد في سبيل الدفاع عن أرضه ، مما يجعل الموضوع ينطبق على حالات كثيرة مماثلة إذا استثنينا الإشارة في الشطر الأخير (أسطورة أرض المعاد) وهي التي سلكت القصيدة " في إطار المنظور القومي ، وفي رؤية الشاعرة العربية النابعة من إحساسها الأمومي تجاه كل الأمهات العربيات اللاتي يدافعن بفلذات أكبادهن عن الأوطان " [١٠٩] .

وتصف سعاد الصباح معاناة الأم من فقد ولدها ، وتحشد ألفاظا دالة على هذه المعاناة من مثل السواد والحداد ومقروعة الجفن وكبدها الحرّى . [١١٠] وبعد عدة أبيات تصويريّة مؤثّرة تعود الشاعرة على وصيّة الشهيد الذي افتدى بروحه حق وطنه ، وهبّ مع رفاقه الأبطال لتحرير الأرض، تاركاً وصيته :

وخـرّ في الساحة مستشهداً

يردّد الصيحة بين الوهاد :

لا تتركوا السيف على غمده

فتارك السيف عدو الرشاد

وقبّلوا المدفع يثأرْ لكم

ولا تُبالوا بالليالي الشِداد

---

١٠٩ - اسماعيل اسماعيل مروة ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

١١٠ - انظر القصيدة في ديوانها أمنية ، ص ٨ .

حـــتى تعـــود الأرض صـــفـــواً لنـا

ويـرجـع الـكـوخ ويـحـلـو الـرقـــاد

ويـفـــرح الـلـــهُ بـنـــا عـنـدمـــا

تـزول أسـطـورة أرض المعـــــاد [١١١]

إن صـورة الشـهـيـد عند سـعـاد الصـبـاح تمثّل رمـزاً للشـهـادة والتضحية في سبيل الأوطان . وفي هـذا السياق تأتي قصيدتها " صـيـحـة عـربيـة " [١١٢] مسـتـدعـيـة نماذج إنسـانيـة من التـاريخ الإسـلامي لهـا تاريخهـا في التضـحـيـة والفـداء من أجل تحـرير الأوطان . فـاسـتـدعت شـخـصـيـة فـاطمـة الزهراء رمـز القداسـة والطهارة ، والخنسـاء رمـز البطولة الفائقة في تربية أبنائها على روح الجهاد وتقديمهم إلى الشهادة باعتزاز وفخار يسجل لحساب تاريخ المرأة .

كما استدعت شخصية " يعرب " وترمز به على أصل العرب ، وشـخـصـيـة صـلاح الـدين الذي ارتبط في ذاكرة تاريخنا بالوقوف ضـد الهـجـمـة الصليبـيـة ، وهو الذي حـرّر القـدس من أرجاسـهم . وتردّد اسـمـه في حـالـة النزاع العـربي الإسـرائيلي كـرمـز ونموذج يسـتنهض المشـاعـر والهـمم العـربيـة التي تغـار على فلسطين

---

١١١ -المصدر نفسه ، ص ١٠ وما يليها .

١١٢ - المصدر نفسه ، ص ١٥-١٩ .

واغتصابها [١١٣] . فتمعن هذه اللوحة الشعرية التي حشدت فيها الشاعرة كل هذه النماذج لتعزز نموذج الشهيد - البطل القابل للتعميم :

أجّجو الحقد أيّها الأشقياء
لم تمُت في عروقنا الكبرياء
من حنايا عُروبتي رضع المجد
وكان العُلا وهانَ الفداء
أنا أمّي الغرّاء فاطمة الزهراء
وأُختي العظيمة الخنساء
وأبي يعرب الذي بارك الأرض
وقامت في ظلّه الأنبياء
وأخي قاهر الغزاة الصليبيين
يا ليت تنطق الأشلاء
ودياري مبرورة بالضحايا
ولِداتي الأبطالُ والشهداء [١١٤]

---

١١٣ - انظر , د.مختار علي أبو غالي ,مرجع سابق ,ص ٢٢٤ .
١١٤ - أمنية ، ص ١٥ وما يليها.

وفي قصيدة " سيمفونية الأرض " [١١٥] تقدم سعاد الصباح نموذجا آخر وهو نموذج "أطفال الحجارة " كنموذج للمقاوم ، (مثلما قدمت نموذج المقاوِم في جنوب لبنان) وهي ترمز به إلى الدور البطولي الذي يقوم به هؤلاء الأطفال ، فهي ثورة نوعية ، فأبطالها أطفال والحجارة هي أسلحتهم . وقد اختارت سعاد الصباح عنواناً له ابعاد عالمية مرتبطة بـ " بيتهوفن " وسيمفونيته الخامسة ، ووزّعت القصيدة على خمس لوحات مرقومة . وبهذا تكون الشاعرة قد خلعت على أطفال الحجارة أبلغ توصيف [١١٦] وجعلت منهم " سيمفونية " عالمية ، انتقلت بهم من خصوصية المكان إلى عموميته . فسعاد الصباح ترى أن أطفال الحجارة ببطولاتهم وتحدّيهم للاحتلال قدّموا أروع مثال للبطولة والتضحية والشهادة ، وكانوا أكثر نجاحاً ونجاعة في خدمة القضية من كثير من سياسي العرب :

قلبت طاولة الروليت ، علينا ..

سحبتنا فجأة من قدمينا

كنسَت في لحظة أسماء كل الزعماء

أغلقت بالشمع أوكار السياسة

---

١١٥ -خذني إلى حدود الشمس ، ص ١٤٩ ـ ١٥٧ .

١١٦ - لمزيد من المعلومات عن تحليل هذه القصيدة ، انظر ، د.مختار علي أبو غالي ، القضايا والأدوات ، ص ص٢٢٨ ـ ٢٣٢

فاستقيلوا يا كبار الشعراء

ليس للشعر لدينا سادة أو أمراء

إن للشعر أميراً واحداً يُدعى الحجر [١١٧]

لقد عمل الأطفال بحجارتهم إعجازاً أنطق الأرض ، وأبدعت سيمفونية امتد إيقاعها إلى أرجاء المعمورة كلها ، وعلينا أن نتوقع ما هو أبلغ وأكثر تأثيراً :

ها هم يمشون للموت صفوفا

كعصافير المزارع

ويعودون إلى خيمتهم دون أصابع

فاتركوا أبوابكم مفتوحة

طول ساعات السمر

فلقد يأتي المسيح المنتظر

ولقد يظهر فيما بينهم

وجه علي

أو عمر [١١٨]

---

١١٧ -خذني إلى حدود الشمس ، ص ١٤٩ وما يليها.

١١٨ - المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

فلقد يأتي المسيح المنتظر ، فهو المخلص في الموروث الديني المسيحي ، أما الأطفال فلعله ينبع فيهم أبطال على غرار النماذج العليا في تاريخنا ، علي بن أبي طالب ، الروحي والبطولي ، أو عمر بن الخطاب رمز الحزم في الحق والعدل .

وتقدم سعاد الصباح نموذجا آخر للمقاومة ، مقاومة الشعب الكويتي للغزو العراقي الغاشم ، فكم هو قاس شعور الإنسان حين يتعرض وطنه لغزو خارجي ، ويكون الشعور أقسى، حين يكون الغازي من أبناء العمومة ، وبسبب هذا تحولت سعاد الصباح إلى بركان من الغضب فحشدت كل إمكاناتها الفنية من النثر والشعر ، ونحن هنا معنيون بالشعر ، فقد كتبت ديوانا من الشعر حول هذا الموضوع تحت عنوان " برقيات عاجلة إلى وطني " [١١٩] وقد صورت فيه ما حل بالكويت من دمار وخراب نتيجة الغزو الغاشم ، وعبرت في قصائد هذا الديوان عن تمسك الكويتيين وتشبثهم بوطنهم وبترابهم الوطني .

وفي هذا الديوان يبرز الخطاب الجماعي وضمير الجماعة ، ويختفي ضمير المفرد ، لأن كل الكويتيين غدوا رجلا واحدا (رجالا ونساء) في مواجهة الغزو الظالم والاحتلال البغيض ، ويصبح الكويتيون هنا نموذجا ورمزا للنضال والتضحية والشهادة من أجل الوطن .

---

١١٩ - دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٩٢ .

نحن باقون هنا

نحن باقون هنا

كل دبوس إذا أدمى بلادي

هو في قلبي أنا

هذه الأرض التي تدعى الكويت

نحن معجونون في ذراتها

.. الكويتيون باسم الله .. باسم السيف ..

باسم الأرض ، والأطفال ، والتاريخ

باقون هنا

نلثم الثغر الذي يلمنا

نقطع الكف التي تضربنا [١٢٠]

وهنا تؤكد الشاعرة على تشبث الشعب الكويتي بوطنه وأرضه وحقه ، وترسم له صورة من بعدين ، اللطف والقوة ، اللطف مع من يحترم حقهم وهويتهم والقوة ضد من يعتدي عليهم .

وفي قصيدة " سوف نبقى غاضبين " [١٢١] تعبر الشاعرة عن

---

١٢٠ - برقيات عاجلة إلى وطني ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص ٣٧ ، ٣٦ ، ٣١ .

١٢١ - المصدر نفسه ، ص٤١ - ٤٧ .

روح التحدي والبطولة والنضال ، وتؤكد في خطابها الشعري وقوف الشعب الكويتي جميعه لمقاومة هذا الغزو الغاشم واستعداده للشهادة من أجل الوطن :

سوف نبقى واقفين

مثل كل الشجر العالي ، سنبقى واقفين

سوف نبقى غاضبين

مثلما الأمواج في البحر الكويتي .. سنبقى غاضبين

أبدا ... لن تسرقوا منا النهارا

أيها الآتون في الفجر على دبابة (١٢٢)

وفي إطار دعوة الشاعرة إلى نبرة التفاؤل الواثقة بعودة الكويت توظف الشاعرة لخدمة المعنى رمزين اسطوريين هما : طائر الفينيق والسندباد ، فالسندباد رمز للصبر والجلد والمثابرة في الحصول على الشيء رغم كل المخاطر ، والفينيق رمز للتجدد والانبعاث :

ستبعث الكويت من رمادها .. كطائر الفينيق

وتبدأ الرحلة من أولها ..

ويرفع القلوع سندباد

---

١٢٢ - المصدر نفسه ، ص٤١ .

وينبت العشب على دفاتر الأولاد

وتصرخ ، الأمواج في الخليج

حَيّ على الجهاد

حَيّ على الجهاد

لابد في نهاية المطاف

أن يثأر المقتول من قاتله

وأن يدور الحبل حول رقبة الجلاد [١٢٣]

وبتحرير الكويت، وعودة الأرض لأصحاب الأرض، تبدع الشاعرة نشيد العودة، بعنوان " نقوش على عباءة الكويت " [١٢٤]. وتتكون القصيدة من سبعة مقاطع مرقومة ، ولعلها جاءت لتمحو سبعة الشهور المضنية في غياب الكويت . وتعود سعاد الصباح من جديد في هذه القصيدة للاعتماد على أسطورة التجدّد والانبعاث في طائر الفينيق الذي ينبعث من رماده المحروق مرة أخرى قويا . وقد جاء بالإيحاء وليس بالاسم ، ومعنى ذلك أن الكويت عادت شامخة أقوى من ماضيها بعزيمة أبنائها ونضال شعبها :

يا وطني المولود من رماده

نخلة عنفوان [١٢٥]

---

١٢٣ - المصدر نفسه ، ص٨٥ .

١٢٤ - المصدر نفسه ، ص ٩١ . ٩٨ .

١٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

وتؤكد سعاد الصباح عودة الكويت قوية مزدهرة بالخصب والربيع من خلال توظيفها لرمز أسطوري آخر وهو شقائق النعمان التي نبتت من دم تموز (الإله البابلي) المسفوح ، فتقول :

رجعتِ يا حبيبتي الكويت

كما تعود للربى شقائق النعمان

لا احد بوسعه أن يمنع الأعشاب

من تسلق الحيطان

لا أحد ، لا أحد ، لا أحد

يقدر أن يحبس في قارورة

حرية الإنسان

... بفضلكم ، سنصنع الكويت من جديد

ونزرع النخيل في شطآنها ..

ونزرع الريحان

إن الشعوب دائما أقوى من الطوفان (١٢٦)

وهكذا نرى أن سعاد الصباح قد ركزت في معالجتها لنماذج البطولة والشهادة ، وبخاصة في تحرير الكويت ومقاومة الشعب

---

١٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .

الكويتي لتحرير وطنه ، على رموز أسطورية من مثل الفينيق والسندباد وتموز وشقائق النعمان لتبين امتداد إيحاءات هذه الرموز في نفوس الشعب الكويتي وتمسكها وتشبثها بحقها ووطنها ، وقد وظفت هذه الرموز لما توحيه من علامات سيميائية تدل على الانبعاث والتجدد بغية التعبير عن خروج الكويت من أزمتها قوية عزيزة ، فنبتت في أرضها كنخلة عنفوان ، وعادت لرباها شقائق النعمان ، وأضحت بتماسك شعبها (البطل الجمعي) وانتمائه أقوى من الطوفان .

لقد كانت صورة الآخر (الرجل) في شعر سعاد الصباح تطغى على إنتاجها ، لأنها منشغلة جدا بالعلاقة بين الرجل والمرأة، وهي تشاغب الرجل في قصائدها التي تحاول دائما أن تصنع موقفا ما ، إن لسعاد الصباح تصورها لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المرأة والرجل. وانطلاقا من رسالتها الشعرية التي تدافع عن حق المرأة وتناصرها ، ولكن هذا لا يعني أنها دائما ضد الرجل ، فهي تسعى إلى علاقة متكافئة وعادلة .

ومن خلال عرضنا لصورة الآخر في شعرها وجدنا ، أن صورة الآخر (الرجل) قد بدت على وجهين ، وجه سلبي وآخر إيجابي ، أما السلبي فأطلقنا عليه اسم نموذج الرجل الشرقي ، وهو مقتبس من الشاعرة نفسها ، لأنه تكرر في شعرها غير مرة ، وقد

وجدنا أن نموذج الرجل الشرقي يتفرع منه أنماط استوحيتها أو اقتبستها من شعر سعاد الصباح نفسه ، وهذه الأنماط المتفرعة من نموذج الرجل الشرقي ، هي :

١- رجل تحت الصفر .

٢- دراكولا العربي .

٣- الرجل الآلي (الروبوت) .

٤- تقدمي في العصور الوسطي .

٥- الحبيب - السجّان .

أما الوجه الثاني (الإيجابي) لصورة الآخر - الرجل في شعر سعاد الصباح فصنفتها إلى النماذج الآتية :

١- الرجل - الرمز .

٢- القائد - الرمز .

٣- الشهيد - البطل .

وفي هذا الجانب نرى أن سعاد الصباح كانت أكثر تحديدا لنماذجها وبخاصة الرجل الرمز ، وهذا الشيء طبيعي لأنه يخص زوجها، ولكنها لم تتحدث عنه كزوج بقدر ما تحدثت عنه كرمز للرجل الذي يجب أن تتوافر فيه الصفات التي تتمناها المرأة في الرجل .

والملاحظ أن نماذج البطولة والشهادة منها ما ظهر بصورة فردية كالقائد الرمز ، فهو نموذج قابل للتعميم ، ومنها ما جاء بصورة جمعية كمقاومة الشعب الكويتي للغزو العراقي الغاشم ووقوفه صفا واحدا في النضال والكفاح ورحلة تحرير الكويت وقد وجدنا أيضا أن النماذج الإيجابية قد استدعت لها الشاعرة معادلات موضوعية ، فأم الشهيد استدعت لها الخنساء وعبد الناصر استدعت له صلاح الدين والمسيح والمهدي ، والشعب الكويتي استحضرت له شقائق النعمان والفينيق والسندباد .

ويبقى أن نقول إن سعاد الصباح في رسمها لملامح صورة الآخر (الرجل) استدعت شخصيات ورموزا وأسماء متنوعة ، واختارت عنوانات لدواوينها وقصائدها ذات دلالات سيميائية وتأويلية متعددة بحيث غدت نصوصا موازية للنصوص الأصلية ومفاتيح للدخول إلى النصوص ، ووسائل جذب للمتلقي وحثّ على متابعة التلقي .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر : دواوين الشاعرة :

١- آخر السيوف ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٢- إليك يا ولدي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٣- امرأة بلا سواحل، دار سعاد الصباح ، الكويت، ط١ ، ١٩٩٢م .

٤- أُمنية ، دار سعاد الصباح ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

٥- برقيات عاجلة إلى وطني ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٦- خُذني إلى الشمس ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٧- فتافيت امرأة ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٨- في البدء كانت الأنثى ، رياض الريّس للكتب والنشر ، لندن ، ١٩٨٨م .

٩- قصائد حُب ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

ثانياً : المراجع :

١- د. أحمد ماهر البقري ، في الشعر المعاصر ، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٨٩م .

٢-أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشوي - دراسة في توظيف الشخصيات التراثية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

٣- اسماعيل اسماعيل مروة ، سعاد الصباح شاعرة شتائية في الحب والغضب ، منشورات شركة النور ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٤- جمال محمود ، شعراء الكويت يهيمون حباً وشعراً ببيروت ، جريدة القبس عدد ١١٣٢٢ ، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٤م .

٥- حاتم الصكر ، ما لا تؤديه الصفة ، المقتربات اللسانية والأسلوبية الشعرية ، دار كتابات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٦- سميرة فريمش ، مقابلة مع د. سعاد الصباح ، نشرة ندوة العربي ، العدد الأول ، ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م .

٧- د. صلاح فضل ، وردة البحر وحرية الخيال الأنثوي ، رحلة في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٨- د. عبد الملك مرتاض ، النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح ، شركة النور ، د.ت .

٩- د. علي جعفر العلاّق ، الشعر والتلقي ، دار الشروق ، عُمان ، ط١ ، ١٩٩٧م

١٠- د. علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، الشركة العامة للنشر ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٧٨م .

١١- علي المسعودي ، سعاد الصباح .. حب يأخذ شكل المعتقل ، مجلة الكويت ، عدد ٢٥٤ ، ١ ديسمبر ٢٠٠٤م .

١٢- علي المسعودي ، حمامة السلام .. سعاد الصباح ، ج١ ، حوارات معها - شركة المختلف ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

١٣- فاضل خلف ، سعاد الصباح ، الشعر والشاعرة ، منشورات شركة النور ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٤- د. فوزي عيسى ، القصيدة أُنثى والأُنثى قصيدة - قراءة في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

١٥- د. ماجدة حمود ، غادة السمان وجماليات العنوان ، مجلة علامات في النقد ، مجلد ١٤ ، ج٥٤ ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، شوال ١٤٢٥هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م .

١٦- د. محمد التونجي ، قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح ، منشورات شركة النور ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

١٧- د. محمد غنيمي هلال ، النماذج الانسانية في الدراسات الأدبية المقارنة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٨- محمود حيدر ، لغة التماس - مطالعة في شعر سعاد الصباح ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

١٩- د. مختار علي أبو غالي ، القضايا والأدوات في شعر سعاد الصباح ، دار الجميل للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٢٠- د. مها خير بك ناصر ، هدم ... وبناء ، منشورات شركة النور ، بيروت ، د. ت .

الدكتورة
سهام الفريح

- **الإنتاج العلمي:** الكتب (تأليف - تحرير - ترجمة: عنوان الكتاب، مكان النشر، تاريخ النشر، الصفحات).

- **الكتب:**

١ - الجواري والشعر في العصر العباسي - شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٩٨١م الطبعة الثانية دار قرطاس - الكويت - ٢٠٠٠م.

٢ - ديوان ابن قلاقس (دراسة وتحقيق) -مطبعة المعلا - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٨٩ - الطبعة الثانية - المكتبة العربية - المجلس الأعلى للثقافة مصر- ٢٠٠١.

٣ - الوصايا في الأدب العربي القديم - مطبعة المعلا - الكويت - الطبعة الأولي ١٩٨٩ - الطبعة الثانية - شركة الربيعان للنشر والتوزيع - ١٩٩٧ الكويت.

٤ - عزوف الطلبة الثانوية عن دراسة اللغة العربية - مطابع الخط - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٩٣م - مشترك - المشرف الرئيسي. نال تقدير امتياز عند تحكيمه من إدارة الأبحاث - جامعة الكويت.

٥ - إزالة الأنماط السلبية في أدوار الرجل والمرأة. حولية كلية الأداب - جامعة الكويت - الحولية (١٤) - الرسالة رقم ٩٢ (١٩٩٣ - ١٩٩٤).

٦ - أوس بن حجر ومعجمه اللغوي - مجلة حوليات كلية الآداب - الحولية التاسعة عشرة - الرسالة رقم ١٣١ - ١٩٩٩/٩٨ الكويت.

٧ - هنا الكويت: دراسة تحليلية عن الإعلام في دولة الكويت - دار قرطاس الكويت ١٩٩٩.

٨ - النابغة الذبياني ومعجمه اللغوي - مجلة الجمعية المعجمية العربية - تونس يناير ٢٠٠٠م.

٩ - الأعشى ومعجمه اللغوي - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت ٢٠٠١.

١٠ - امرؤ القيس ومعجمه اللغوي - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت - ٢٠٠١.

١١ - نظرة المجتمع الكويتي إلى عمل المرأة - دراسة تحليلية ميدانية في المناهج التعليمية والوسائل الإعلامية - ديوان الخدمة المدنية - الكويت ٢٠٠١.

١٢ - مرايا الذات: الانصاري بين الكتابة والنظم - إصدارات خاصة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ٢٠٠٣.

١٣ - المرأة العربية والإبداع الشعري - دار المدى - دمشق - بيروت ٢٠٠٤.

١٤ - جاسم القطامي - منظومة متكاملة من العطاء - بالاشتراك المطبعة البريطانية - الكويت ٢٠٠٤.

- بحوث في مجال التخصص:

١ - السريان ودورهم في نقل الثقافة اليونانية - المجلد الثالث والعشرون - حولية كلية الآداب جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٩٤ - ١٩٩٥.

٢ - المرأة العربية ودورها في الإبداع الشعري - مجلة معهد البحوث والدراسات العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية - العدد ٣٧ - يوليو ٢٠٠٢.

٣ - صورة الرجل في إبداعات المرأة - مجلة كلية الآداب - جامعة الزقازيق مصر ٢٠٠٢.

٤ - مقالتان في الموسوعة العلمية للأطفال عن: (حاتم طيء - جرير) مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٩٦/٩٥م.

٥ - قضايا فكرية في الشعر الجاهلي (العدم) في مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد (٥٦) عدد (٣) يوليو ١٩٩٦م.

٦ - The Status of Women in Early Islamic Community مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد ٥٧ عدد (١) يوليو ١٩٩٧.

٧ - وقفة مع ثلاث كاتبات في القصة القصيرة في السعودية - نشر في مجلة البيان - العدد ٣١٢ - ٣١٣ يوليو - أغسطس ١٩٩٦.

٨ - من هي بلقيس عرض لكتاب (بلقيس امرأة الألغاز وشيطانه..) زياد منى - رياض الريس - لندن - بيروت ١٩٩٧م - نشر في مجلة العربي - الكويت - مايو ١٩٩٩م.

٩ - Who was Blqis? - (Book of mounth) Al boom - May 1999 (32-33) June 1999 (32-33) Kuait.

١٠ - جمالية المكان في القصيدة الكلاسيكية (العباسية) - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - مجلد ٦١ العدد (١) يناير ٢٠٠١م.

١١ - قضايا رومانسية في شعر الأنصاري - في مجلة فصول القاهرة/مصر.

١٢ - رفاعة الطهطاوي والآخر الحضاري - بحث قدم في الندوة المئوية (رفاعة الطهطاوي - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة في الفترة ٢٠ - ٢٠٠٢/٤/٢٢م.

١٣ - الثقافة ومفهومها الشامل في تأكيد حقوق الإنسان - ورقة قدمت في الموسم الثقافي - رابطة الاجتماعيين - ٢٠٠١/٤/٨م الكويت.

الشاعرة سعاد الصباح
وخروجها من سطوة القبيلة

أ.د. سهام الفريح

أما الشاعرة سعاد الصباح فإن ما تعرضه يختلف كثيرا عما عرضت له شاعرات خليجيات في قضية المرأة وموقف الرجل منها ومن حقوقها ، فهي لم تعبر عن رفضها لممارسة الاستبداد والتسلط من الرجل على المرأة فحسب ، وإنما أعلنتها صرخة مدوية في وجوه الرجال جميعا ، في قصيدتها (حق الحياة) : أمنية/٤٥-٤٦

ويل النساء من الرجال إذا استبدوا بالنساء

يبغونهن أداة تسلية ومسألة اشتهاء

ومراوحا في صيفهم ومدافئا عبر الشتاء

وسوانما تلد البنين ليشبعوا حب البقاء

ودمى تحركها أنانية الرجال كما تشاء

إلى أن تقول :

لا .. لن نذل ، ولن نهون ، ولن نفرط في الإباء ..

لقد انتهى عصر الحريم وجاء عصر الكهرباء ..

وجلا لنا حق الحياة ، فكلنا فيه سواء ..

جاء الخطاب الشعري لسعاد الصباح مباشرا ، دون أن تواريه بأردية الرمز فهي عامدة إلى أن تعلن عن قضيتها ومعاناتها كإمرأة ، وعن نظرة الرجل إليها دون موارية أو ستور ، ولعل سبب الاختلاف في هذا الخطاب هو أن سعاد الصباح تعيش في

مجتمع سقطت عنه بعض قيوده فتملكت الشاعرة سعاد الجرأة في الكشف عن تلك النظرة الدونية المسيطرة على ذهنية الرجل تجاه المرأة ، والتي اختزنتها ذاكرته منذ عصور التخلف والانحطاط التي عاشتها هذه الأمة ، وهي تلك النظرة النمطية إلى المرأة بأنها لا تصلح إلا للمتعة والإنجاب لا غير .

وتستمر هذه اللغة المباشرة في قولها عندما تساءلت عن حقوقها المضاعة ما قيمة الصبا الغرير والشباب والحور الذي لا تبتعد فيه كثيرا عن المرأة الشاعرة في الخليج في شكواها السابقة وإن بدت أكثر ثورة وغضبا : (أمنية ٣٨) .

ما قيمة الصبا الغرير والشباب الحور

أعيش في منفى من الحرمان أسأل القدر

أليس لي حق الحياة مثل سائر البشر ؟

ونجد سعاد التي تطلب التحرر والتحرير حيث التحرر من الذات والتحرير يأتي من خارج الذات ، وتعلو صرخاتها بأنه (جاء عصر الكهرباء) في تعاليها على الرجل تعود لتقول في قصيدة من ديوانها أمنية :

ليتني غانية " الجيشا " التي تهوى العطاء

ليتني .. كي أهب العمر لعينيك فداء

إلى أن تقول :

وكـأني شـهـرزاد الحب عـادت في خـفـاء

لتـرد الملل القـاتل عن سـيـدها طول المسـاء

فالشاعرة في موضوع الحب لا مانع لديها في أن تعود طواعية لتكون إحدى فتيات الجيش لسيدها (الرجل) أو تكون له شهرزاد .

وهي تلتقي مع الشاعرة فدوى طوقان ولميعة عباس عمارة في جرأة التعبير في قضية الحب ولها قصيدة اسمها (قبلة) كما كان للشاعرة لميعة قصيدة اسمها (قبلة) (من ديوان أمنية) تقول في مطلعها : أمنية/١١٣

قال لي ... وهو بطعم القبلة الحسناء أخبر :

إن في ثغرك نافورة ياقوت وعنبر

لونها الورد إلى أنفاسها الحرى تبخر

وشغلت الشاعرة سعاد الصباح ببعض القضايا القومية والاجتماعية خارج دائرة المرأة والحب ، التي كانت تتوسل بألفاظه ومعانيه للتعبير عن هذه القضايا العامة ، فكانت تدفع بنفسها من خلال هذا الشعر إلى لجة الأحداث لكي تظهر انتماء لوطنها وارتباطا وثيقا بأرضه ، فهي تتحين كل حدث يمر بهذا الوطن ، حتى تعلن شعرا عن موقفها من هذا ، مفعمة بالشعور القومي

والانتماء العروبي النقيء ، الذي لم تتمكن التقلبات السياسية والأحداث المضطربة من تغييره في نفسها ، لذا فإن خطابها الشعري يعبر عن امرأة تقدس الحب بكل أشكاله ، وليس حب الرجل وحده التي كانت كثيرا ما ترمز به إلى حب الوطن :

يا حبيبي

إنني دائخة عشقا

فلملمني بحق الأنبياء

أنت في القطب الشمالي ... فتافيت امرأة (٢٥-٢٦)

وأشواقي بخط الاستواء

يا حبيبي :

إنني ضد الوصايا العشر

والتاريخ من خلفي دماء ورمال ...

انتمائي هو للحب ...

ومالي لسوى الحب انتماء

وطني ...

والشاعرة تبث بين ثنايا هذه المقطوعة قضية المرأة التي تسعى جاهدة إلى تأكيد حضورها في كل مناسبة ، وكأنها تريد أن تلغي كل تشويش علق بدور المرأة بل العكس هي تؤكد صفة الاتزان فيها والاستواء ، عندما قالت (وأشواقي بخط الاستواء) ، وهي

ترفض وصايا القبيلة الصادرة من الماضي السحيق التي لا تحمل إلا الدماء إشارة إلى قضية وأد البنات في عصر ما قبل الإسلام ، لذا فهي ترفض الانتماء للقبيلة ولا تبغي لها غير الحب انتماء .

ألفاظ لها مدلولاتها في شعر سعاد الصباح :

إن قراءتنا لبعض دواوين الشاعرة سعاد الصباح وهي (أمنية) و (فتافيت امرأة) كشفت عن سطوة بعض الألفاظ على خطابها الشعري، ولم تبرز هذه السطوة بتكرارها فقط ، وإنما برزت في كيفية تعامل الشاعرة مع هذه الألفاظ التي كانت لها مدلولاتها التي كشفت عن جوانب في ذات الشاعرة أو في موقفها من الآخر وقد يكون هذا الآخر (الرجل) أو (القبيلة) أو (المجتمع) .

ومن الشواهد التي اسوقفتنا في هذا الجانب هو اقتران ألفاظ الحب وما تحمله من مضامين ورغبة في الاستسلام لعواطفها تجاه الرجل ، وبين دعوتها إلى التحرر من عبودية الرجل وسطوته ، حتى جاء هذان المضمونان بالفاظهما بثنائية عجيبة، منها ما جاء في قصيدتها (توسلات): فتافيت امرأة/٦١ .

أتوسل إليك

أن لا تقف بين كتابي وبيني

بين ضوء عيني

وعيني فمي وصوتي

ففي هذا المقطع تبرز دعوتها إلى التحرير عن طريق العلم ثم تستمر في توسلاتها التي أصبغتها بألفاظ الخشوع والخضوع ، لأنها جاءت مقترنة بموضوع الحب : فتافيت امرأة/٣٦ .

أتوسل إليك لا تطحنني

بين التزاماتي العاطفية نحوك

والتزاماتي التاريخية نحو القبيلة

بين وصايا أبي العشر

ووصاياك العشر

بين قبلاتك المضرجة بالعسل

وقبلاتك المضرجة بالجنون

إن لفظ (مضرجة) الأولى التي جاءت بها صفة لقبلات أمها العسلية جاءت بها لأجل قبلات الرجل التي وصفتها (مضرجة) ولعلها أرادت أن تقول (بالدم) إلا أنها جاءت بها أكثر عنفا واندفاعا فقالت (بالجنون) .

ثم تتوالى توسلاتها في مخاطبة الرجل التي تتعالى فيها صفة التسلط والطغيان لهذا الرجل على المرأة في قولها : فتافيت امرأة/٦٦

فيا أيها الإقطاعي

الذي يتجول على حصانه فوق شرايين يدي

ويمسك بيديه مفاتيح عمري

ويختم على شفتي بالشمع الأحمر

أتوسل إليك للمرة الألف

أن تمنحني حرية الصراخ

وأن لا تقف بيني وبين الغيوم

عندما تمطر السماء

ثم تجيء الشاعرة بثنائية أخرى بين طياتها متناقضين الأول هو سعيها جاهدة بأن تظهر (الأنا) وقد تعني بها المرأة بعامة بصورة تتمثل فيها صفة الاتزان والاستواء ، أمام المتناقض الثاني وهو الجنون ففي قصيدة وضعت لها اسم (مجنونة) تقول :

أنت في القطب الشمالي

وأشواقي بخط الاستواء

وترد هذه العبارة (خط الاستواء) في مواضع أخرى من شعرها مثل ما وردت في قصيدتها (أوراق من مفكرة امرأة خليجية) : فتافيت امرأة/٤٩ .

أنا الخليجية

التي يمر من بين شفتيها خط الاستواء

وفي نفس قصيدتها (مجنونة) تقول ثانية : فتافيت امرأة/٢٣

إنني مجنونة جدا

وتخاطب الرجال فتقول :

وأنت العقلاء

أنا هاربة من جنة العقل

وتخاطب الرجال فتقول :

أنتم الحكماء

أشهر الصيف لكم

فاتركوا لي انقلابات الشتاء ..

فهي تتمنى الجنون في الحب ليوصلها إلى فضاءات الحب الفسيحة ، لكنها لا تلبث أن تعود ثانية لتأكيد صفة الاتزان ضمنا بين ثنايا عباراتها المتكررة (خط الاستواء) في قصيدة (قصيدة ليلى) : أمنية/٤٩ .

كأن في جنبي خط الاستواء

<u>الألفاظ: أميري/سيدي/مولاي ومدلولاتها عند سعاد الصباح:</u>

وقد ترددت هذه الألفاظ الثلاث في خطابها الشعري ، وكانت للفظة (أميري) الغلبة في كثرة تكراراها ، وقد صادفنا هذه اللفاظ في ديوانها (أمنية) وهو يمثل المرحلة المبكرة في نتاجاتها الشعرية فلابد أن تكون بدأتها في مخاطبتها زوجها (الشيخ عبدالله المبارك) وهو من كان يملك السطوة والنفوذ في الحياة

العـامـة في مـرحلة من توليـه لبـعض المسـئـوليـات في البـلاد فاستعانت الشاعرة بالمدلول العام لهذه اللفظة ليعبر عن المدلول الخاص المتصل بحياتها ، حيث كان يغدق عليها هذا الزوج من فيض الحب ، فهو أميرها حبا له وتعلقا به ، لكن الشاعرة تعلقت بهذه الألفاظ وأكثرت من استخدامها بمدلولاتها الخاصة بمضامين الحب لفترة حتى خفتت كثيرا ، ومادام الرجل عندها هو السيد وهو الأمير فلابد أن يكون له الخضوع والخشوع وكل مظاهر الانقياد لهذا الأمير ، وإن كانت هي الأميرة أيضا ، وقد تتعالى هذه الألفاظ بوضوح في خطابها الشعري في قصيدتها (ابتهالات) : أمنية/١٦٠ .

فمتى ترحم يا حبي ، سجودي وركوعي

ثم تلحقها بلفظة (أميري) : أمنية١١٧

يرسم لي وجه أميري الذي

سلمني في وحدتي للسهر

وتلح لفظة (أميري) على الشاعرة في قصائد عديدة : أمنية/٩٥

يا أميري أنت يا أطهر من طين البشر

تقول في نفس القصيدة :

يا أميري إن حبي لك طفل في الصغر

ولفظة (السيد) وردت في قصيدتها (فتافيت امرأة) سبع مرات ، ثم لحقتها بلفظة (سيدي) في مطلع كل مقطع (سيدي، سيدي) وتعود إليها في مقطع آخر وبنفس التكرار (سيدي ، سيدي) الديوان/٣٧-٤٨ .

وحين جاءت بلفظتي (سيدي) (وحبيبي) لم تستغن عن هذه اللفظة في قصيدة (وحدي) : أمنية/٧٤ .

يا أميري ، أنت يا من كنت للروح شقيق

أنت كنزي من الرحمة والحب الرقيق

يا حبيبي وسيدي وأميري

وتستمر الشاعرة في إعلان استسلامها وخشوعها لهذا الحبيب في قصيدة (خطاب) :

مولاي إن جاءك هذا الخطاب ..

أمنية/٣٥/٣٦

وتقول :

مولاي قلبي في انتظار الجواب

وبعد مرحلة من حياتها الفنية نجد أن هذه الألفاظ تخف حدتها وتقل سطوتها على خطابها الشعري وبالذات لفظة (أميري) حتى تكاد تختفي من نظمها فلا ترد إلا مرة واحدة في ديوانها (فتافيت امرأة) في قصيدة كويتية : فتافيت امرأة/٣٤ .

فهل أنت نصيري ؟

الكويتية ...

سميتك أميرا يا أميري

فتصرف بمقادير العصور ...

وتصرف بمصيري

ألفاظ القبيلة ومدلولاتها :

ليس كل ما تجيء به الشاعرة من ألفاظ القبيلة هو للمدلول السلبي فقط ، كالتعبير مثلا عن القيود التي تعاني منها المرأة ، وإنما تجيء بها أحيانا للتعبير عن معاني الفخر والاعتزاز ، ففي قصيدة (فيتو على نون النسوة) : فتافيت امرأة/١٨ .

يقولون :

إني كسرت بشعري جدار الفضيلة

وإن الرجال هم الشعراء

فكيف ستولد شاعرة في القبيلة ؟

فهي تقول إن قوانين القبيلة تحرم على المرأة قول الشعر ، وقد لا تكون قصدت الشعر لذاته ، وإنما تكون عنت به صوت المرأة لاعتقادها الخاطئ بأن العرب في ماضيهم حرموا على المرأة نظم الشعر ، لكن في الحقيقة إن حرمان المرأة من هذا الحق ومن غيره جاء بسبب الأعراف الدخلية في العصور اللاحقة . ويبقى

هذا المعنى مسيطرا على قصائد أخرى للشاعرة كما جاء في قصيدة (أوراق من مفكرة امرأة خليجية) : ص٥١ :

أنا الخليجية

الهاربة من كتاب ألف ليلة وليلة

ووصايا القبيلة

وسلطة الموتى

فالشاعرة خرجت من سطوة القبيلة المقيدة لانطلاقها لأنها - من وجهة نظر الشاعرة - سلطة الأموات وتجئ الشاعرة بلفظة (البادية) لتعبر عن المدلول السابق في قصيدتها كويتية: فتافيت/ ٢١ .

يقولون

إن الأديبات نوع غريب

من العشب .. ترفضه البادية

وإن التي تكتب الشعر

ليست سوى غانية !!

وقد ترد لفظة القبيلة للتعبير عن الفخر والنخوة العربية كما جاء في قصيدتها (من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر) : فتافيت/ ١٤٠ .

ويجمع القبائل

ويستثير نخوة الفرسان

ويرجع الملك إلى بيت بني عدنان

وقد لا ترد لفظة القبيلة وإنما اسم قبيلة (طيء) و (تميم) و (غزية) ترمز بها إلى الكرم والجود والنخوة أيضا : فتافيت امرأة/١٢٩ .

كلما أبصرت في الحلم صلاح الدين

يستجدي فتات الخبز في القدس

تائها ، يسال في الصحراء عن أحياء طيء

وتميم ، وغزية

وفي حديثها عن النخوة العربية وهي من أخلاق الصحراء والقبيلة أيضا : فتافيت امرأة/١٢٠ .

ونسينا خلق الصحراء .. والنخوة .. والقهوة

لفظة النخلة في شعر سعاد الصباح :

وللنخلة حضور شامخ في شعر سعاد الصباح ، وقد ارتبطت بها ارتباطا حميما ، فكانت وسيلتها للتعبير عن ذاتها الإنسانية لقرب هذه النبتة من الإنسان في صفات كثيرة رسخت في الذاكرة التاريخية للعرب ، وكذلك تجئ بها للتعبير عن ذاتها الأنثوية فالنخلة هي رمز الخصوبة والعطاء أيضا .

ولتعلق الشاعرة بالنخلة كانت شعار دار النشر الخاصة بها ، فنجدها مطبوعة على كل إصدار لهذه الدار . وعندما نتجه إلى الخطاب الشعري نجد هذه اللفظة تزدحم بين ثنايا شعرها وفي عناوين قصائدها (إن جسمي نخلة تشرب من نهر العرب) تتعالى (الأنا) لتكون سقيت من بحر العرب فنمت وترعرعت وجرت في عروقها مياه العروبة :

في عيونها تتلاقى فتافيت امرأة/١١٩ .

أنجم الليل ، وأشجار النخيل

حتى تقول لتعبر عن نزعتها العروبية بلغة مباشرة قريبة من لغة الحياة اليومية :

هل من الممكن إلغاء انتمائي للعرب ؟

ثم تردف قائلة : فتافيت امرأة/١٣٢ .

إن جسمي نخلة تشرب من بحر العرب .

وفي قصيدتها (من أوراق امرأة خليجية) ترتبط الصحراء والبداوة لتكون النخلة رمزا (للأنا) : فتافيت امرأة/٥٠-٥١ .

أنا البدوية

التي جاءت إليك من بحار الصين

لتتعلم الحب في مدرستك ... فعلمني

حتى تصل إلى قولها :

أنا النخلة العربية الأصول

لقد أقحمت (بحار الصين) بظلال النخيل والبادية والصحراء حيث لا علاقة بين هذا وذاك .

وفي غنائها للوطن (الكويت) في قصيدتها (ورد البحر) جاءت النخلة لترمز إلى العطاء والنماء في هذا الوطن : فتافيت امرأة/١٤٨ :

كويت كويت

هنا .. ابتدأت رحلة السندباد

هنا .. وردة البحر قد أزهرت

وراح ابن ماجد

يقطف نجما ويزرع نخلا ...

ويخلق في لحظات التحدي بلاد

هنا الشعر والنخل يغتسلان معا

في مياه الخليج ..

وهذا الرمز الأنثوي (النخلة) الذي ارتبطت به الشاعرة إلى درجة التوحد خلال خطابها الشعري في التعبير عن (الأنا) خلعته وأسبغته على رجل (ذكر) لكنه ليس ككل الرجال عندها إنه جمال عبد الناصر : فتافيت امرأة/١٣٧ .

كنا نسمى باسمه ..

إذا نسينا مرة أسماءنا ..

كننا نناديه جميعا ، يا أبي

إذا أضعنا مرة آباءنا

وهو الذي حررنا من خوفنا

وهو الذي

أيقظ في أعماقنا الإنسان ..

ثم تصل إلى قولها : فتافيت امرأة/١٣٨ .

كان هو الأجمل في تاريخنا

والنخلة الأطول في صحرائنا

كان هو الحلم الذي يورق أهدابنا

كان هو الشعر الذي يولد مثل البرق في شفاهنا ..

المصادر

دواوين الشاعرة سعاد الصباح

موضوع الدراسة :

١- أمنية دار سعاد الصباح - القاهرة - الكويت ١٩٩٢ .

٢- فتافيت امرأة - القاهرة - الكويت ١٩٩٢ .

السيرة الذاتية

الدكتور

مختار محمود محمد عبدالعال

- **الوظيفة:** مدرس لغة بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الكويت.

- **المؤهلات:**

- ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨م.

- ماجستير الألسن - جامعة عين شمس سنة ١٩٨٥م.

- رسالة الماجستير موضوعها "علي الجندي ودراساته البلاغية".

- دكتوراه الألسن - جامعة عين شمس ١٩٩٤م.

- رسالة الدكتوراه موضوعها "الآراء النقدي عند شعراء مدرسة الشعر الحر".

بين الأمنية والحلم
قراءة في ديوان " أمنية "
للدكتورة سعاد الصباح

بقلم الدكتور

مختار محمود محمد

إن النفس البشرية عموما ليست واضحة وإنما هي مغلفة بألف ستر، (وقد يحدث كثيرا أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب ملتوية تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الراكدة في أعماق الباطن منذ سنوات وسنوات، ومئات الصور العابرة التي تمر فيحدق فيها العقل الواعي ببرود وينساها نسيانا كليا، فيتلقفها العقل الباطن ويكنزها مع ملايين الصور التافهة، ويغلق عليها الباب، حتى إذا آنس غفلة من العقل الواعي أطلقها صورا غامضة لا لون لها ولا شكل، وليست مثل هذه الأحاسيس الغريبة وقفا على إنسان دون إنسان، سوى أن التعبير عنها يختلف، فالإنسان العادي يراها في أحلامه ، أما الفنان فيعبر عنها بفنه وأحلامه معا) .[1]

ولما كانت اللغة بدلالاتها الوضعية المحدودة وتعبيراتها التي أطفأ التداول ما فيها من إيماء، قاصرة على نقل حقائق الأشياء كما تتمثلها النفس الشاعرة أو عن "تجسيم ما يتحرك خلف الحواس " كما يقول بيتس، ومن ثم اتجه الرمزيون إلى استغلال قيمها الإيجابية في الأصوات والكلمات والجمل، وهي غاية لم تكن لتدرك دون المساس بالتركيب اللغوي في الصورة الشعرية.[2]

ومن هنا نجد براعة شاعرتنا في توظيف الليل وسماته وما يدل عليه من ألفاظ كالدجى والسواد والمساء والنجوم والسهاد

١- ديوان " شظايا ورماد " نازك الملائكة ص١٤ .

٢- الرمز والرمزية د. محمد فتوح أحمد ص٣٥٠ .

وعكس ذلك كالنور والفجر والضحى وهذا يتضح من النظرة الأولى إلى ديوان " أمنية " فهذا الديوان يحوي بين دفتيه خمسين قصيدة ، من بينها ثلاث وثلاثون قصيدة ورد فيها الليل بل نقول وظفت الشاعرة الليل في التعبير عن مشاعرها سواء كانت حزينة أم فرحة ، وبالرغم من أن الليل يتسم بالسواد الذي يدل على الحزن والكآبة وما يثيره من أشجان وظنون وذكريات ومخاوف حبيسة في أعماق الذات الشاعر إلا أننا نلمح أن الشاعرة يغلب عليها طابع السعادة والأمل فمن بين القصائد الثلاثة والثلاثين نجد فقط عشر قصائد وظفت فيها الشاعرة الليل للدلالة على شدة حزنها وهذا يبدو واضحا في قصيدتها " عندما رحل ناصر"، اسمعها تقول : [٣]

مصر يا أمي ، ويا همي ، ويا خير المهاد

لمن الصرخة في الليل دوت في كل واد ؟

لمن الدنيا أدلهمت ، وكسا الشمس السواد ؟

وارتدى الصبح على مشهده ثوب الحداد ؟

لا تقولي : تعب الساهد من طول السهاد

هذا الشعور بالألم ناتج عن تجربة شعورية صادقة، " فسعاد الصباح علاقتها بعبد الناصر مختلفة فهي تنقسم إلى فرعين :

٣- ديوان أمنية د. سعاد الصباح قصيدة " عندما رحل ناصر " ص١٥ .

أ- شخصي

ب- فكرى .

أما على الصعيد الشخصي ، فإن سعاد الصباح التقت بعبد الناصر مع الشيخ عبدالله مبارك رحمه الله، وهذه اللقاءات مدونة في الوثائق والكتب، ومنها كتاب سعاد الصباح نفسها "صقر الخليج "، هذه العلاقة لا يقدر غيرها أن يلامسها عن بعد.

وعلى الصعيد الفكري سعاد الصباح تقول :

نحن وحدويون حتى العظم

فسعاد الصباح والشيخ عبدالله مبارك وعبد الناصر اجتمعوا فكريا حول أفكار واحدة ، واجتماع الفكر يفوق أي اجتماع آخر ، لذلك نجد الشاعرة تصاب بفقد عبد الناصر على الصعيد الفكري .[٤]

فهنا الحزن والألم الذي أصاب كل عربي نجحت الشاعرة في التعبير عنه من خلال اللفظة " يا همي " بما تحمل من تعبير ونسمع الصرخة المدوية في قلب الليل المظلم ، والشمس يكسوها السواد، والصبح يرتدي ملابس الحداد والعين لا تنام وهذا

٤- سعاد الصباح (شاعرة شتائية في الحب والغضب) إسماعيل مرره ص١٦٥ .

يذكرنا بتلك " الليلة النابغية " [٥] التي عرفها الأدب العربي منذ العصر الجاهلي التي يقول فيها :

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطئ الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض

وليس الذي يرعى النجوم بآيب

وصدر أراح الليل عازب همه

تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فالليل هنا مملوء بالهموم والأسى وقد نجح الشاعر في تصوير الليل من خلال الصور المستمدة من البيئة الصحراوية كالليل بطيئ الكواكب ، وراعي النجوم الذي لا يعود ، ولذلك استحق لقب " أشعر الشعراء " التي منحها إياه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه " حينما خرج ببابه وفد غطفان ، فقال أي شعرائكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة ، قال هذا أشعر شعرائكم . [٦] لأنه تمكن من

٥- ديوان النابغة الذبياني ص٤٠ .

٦- في الأدب الجاهلي د. طه حسين ص ١٦٣ .

وصف همه وثقله من خلال الليل الذي يأتي على الإنسان ليجثم على صدره هذه الصورة التي رسمتها الشاعرة في قصيدتها " خطاب " وفيها تقول : [٧]

وحـــول دنيـــاي نعـــيم الضـــبـــاب

والقـــمـــــر العـــابس رهن اضطراب

يرسى ســـواد النور فـــوق الهـــضـــاب

يـرسـم الخـــــــوف عـلـى كـل بـاب

فهنا القمر عابس مضطرب لأن الدنيا يغطيها الضباب ، ونرى النور يتـحـول إلى ظلمـة مما يوحى بالخـوف الذي يطرق كل الأبواب، وهذا يذكرنا بالتراكيب الجديدة عند شعراء مدرسة المهجر والتي منها " النور المظلم " " الظلمة المنيرة " فالظلام والليل يوحيان بالوحدة والخوف وذلك كقول إيليا أبي ماضي : [٨]

أيـلـف كـــــالـلـيـل الأبـاطـح والـربـى

والمنزل المعـــمـــور والمهـــجـــورا

وهذا يذكرنا بليل صلاح عبد الصبور كما يتضح في قصيدته "رحلة في الليل " : [٩]

٧- ديوان أمنية قصيدة " خطاب " ص٢٩-٣١ .

٨- ديوان " الخمائل " إيليا أبو ماضي قصيدة " الشاعر والملك الحائر " ص٥ .

٩- ديوان " الناس في بلادي " صلاح عبد الصبور قصيدة " رحلة في الليل " ص ٣٧ .

الليل يا صديقتي ينفضني بلا ضمير

ويطلق الظنون في فراش الصغير

ويثقل الفؤاد بالسواد

ورحلة الضياع في بحر الحداد

وشاعرتنا تعبر عن لحظات الذهول النفسي حيث يتوارى الوعي وتنساب الخواطر طليقة حرة ، فتطفو على السطح منها رغبات ومخاوف كانت مكبوتة ، ولأن اللاوعي رمزي بطبيعته فإن هذه الرغبات والمخاوف لا تظهر في شكلها الحقيقي بل ترتدي ثيابا رمزية تستر جواهرها ومصادرها الأصيلة ، ففي قصيدة "بعد العودة " : (١٠)

وليس في أفق رجائي نجمة ولا قمر

كأنما كل الرؤى تحولت إلى حجر

وفي مقطع آخر من نفس القصيدة تقول :

الناس حولي ينعمون بالكؤوس والسهر

إلا أنا وحدي أسير نحو عمق منحدر

فهنا ترمز الشاعرة إلى الأمل بالنجمة والقمر اللذين يسطعان

١٠- ديوان أمنية قصيدة " بعد العودة " ص٤٥-٤٦ .

في ليل الشاعرة ولكن غياب هذا الأمل حول كل شيء إلى حجر جماد لا يحس ولا يشعر ، فالمفارقة في المقطع الثاني حيث نعيم الناس بالليل والسهر والكؤوس والشاعرة تشعر بالوحدة والسير نحو الهاوية : بعض الأحزان نراها بوضوح ونعيشها في قصيدتها " أحزان سائحة " [١١] من خلال هذا الأسلوب الإنشائي الاستفهامي وهذه التراكيب اللغوية البديعة اسمها تقول :

هل تشهدين أدمعي وتحملين لي الرثاء ؟

هل تلمحين في قصائدي مآتم المساء ؟

هنا نواقيس المعابد الحزينة النداء

كأنها أصداء أحزاني تملأ الجواء

فهنا الخطاب موجه لأنثى تشعر بما تحس به شاعرتنا ، فالاستفهام الذي تكرر يوحي بالحالة الشعورية التي تعيشها الشاعرة ، وتبدو أكثر في هذا التركيب المستوحى من الشعر المهجري " مآتم المساء " " نواقيس المعابد الحزينة " التي تنقل صدى حزنها ، وهذه اللغة الجديدة التراكيب تظهر في قصيدة " وحدى " : [١٢]

في وجود ليس لي في جوه الباكي صديق

١١- السابق قصيدة " أحزان سائحة " ص٥٤ .

١٢- السابق قصيدة " وحدى " ص٥٩-٦٠ .

والظلام العابس الوجه بآمالي محيق

ونجوم الليل سوداء امحى منها البريق

فهنا تشعر الشاعرة رغم الكون الفسيح بالحزن فنجد (الباكي - الظلام - العابس - نجوم الليل سواء).

أما قصيدة " في زحام المدينة " [١٣] نجد المساء والليل والظلام ومطاردة الأحلام والغيوم والوحدة بل عذاب النفس وسجنها وذلك من خلال قولها :

فإذا أقبل المساء وغامت

وحدتي ، بت في عذابي سجينه

تتوالى ساعات ليلي طوالا

كمحيط الظلام حول السفينه

أتمناك يا حبيبي ... أصلى

لغرام أنا عليه أمينه

وأناديك ... لا يلبى ندائي

غير تهويمة الليالي الضنينه

والظلام الذي يطارد أحلامي

١٣- السابق قصيدة " في زحام المدينة " ص١٠٤-١٠٥ .

فبالرغم من هذا الحب وتمني الحبيب بما تحمل من مشاعر الود والمحبة ، والصلاة من أجل هذا الغرام ، واستخدام ضمير المتكلم أنا بما يوحى من حرص وذلك من خلال قولها (الغرام أنا عليه أمينة) وهي لا تجد سوى تهويمة الليالي الضنينة البخيلة والظلام وما يوحى به من خوف وضياع وهو يطارد أحلامها ، هذا الحلم الجميل الذي ينقضي في قصيدتها " بعد سبعة أيام " [١٤] حين تتساءل :

أين ليالي الشوق ؟ أين المنى ؟

وأين نار العمق ؟ أين السعير ؟

وأين أحلام غرسنا بها

أحلى السنا من كل نجم منير ؟

أكل هذا حلم وانقضى

هنا أيضا نجد الأحلام التي من خلالها ترى الشاعرة نور المستقبل ، ولكن سرعان ما ينقضي الحلم ويستيقظ الفنان على الواقع المرير الذي سجلته الشاعرة تحت اسم قصيدتها " حلم " اسمعها تقول : [١٥]

١٤- السابق قصيدة " بعد سبعة أيام " ص٥٧-٥٨ .

١٥- السابق قصيدة " حلم " ص١٠٦-١٠٨ .

ثم نام الكون ، فاستدعتك أشواقي كثيرا

وأنا أبذل للقيا مع الدمع بحورا

وبأحلى كلمات الحب حاكيت الطيورا

فإذا طيف حبيبي يتراى لي بشيرا

وإذا وجه حبيبي يجعل الظلمة نورا

ومضى الليل قصيرا وبد الفجر نذيرا

وإذا لقياك رؤيا .. ترسم الوهم قصورا

وإذا بي أنا وحدي أشرب الدمع المريرا

هكذا الأيام تقصينا فلا ندري المصيرا

فهنا حينما ينام الكون تكثر النجوى ولا يجد المحب طريقا إلى حبيبه سوى النجوى والحلم حيث طيف الحبيب ووجهه الذي يجعل الظلمة بكل معانيها نورا فدور اللاوعي في العمل الفني يرجع إلى تقدم الدراسات النفسية الحديثة ، وما اكتشفه علماء التحليل النفسي - وعلى رأسهم فرويد - من أن اللاشعور أساس الظواهر الهامة في حياتنا النفسية ، وأن الحلم تحقيق لرغبة مكبوتة في اللاشعور ، وأن الفنان يمتاح من اللاشعور شأنه في ذلك شأن الحالم والعصابي neurotic، وإن اختلفت عن الأول في سيطرة اللاشعور عنده ، فالفنان الحق- كما يقول فرويد " يعرف كيف يتقن أحلامه حتى تفقد تلك النبرة الشخصية التي تؤذي

أسماع الآخرين ، ومن ثم تصبح ممتعة لهم ، وهو يملك تلك القدرة الغامضة على تشكيل مادته الخاصة بحيث تعبر تعبيرا أمينا عن الأفكار التي يدور عليها خياله ، ثم هو يعرف كيف يصل هذا الانعكاس لحياته الخيالية بسلسال قوي من اللذة يرجح الكبوت ويطردها مؤقتا على الأقل ، وإذا استطاع أن يعمل كل هذا فإنه يفتح للآخرين طريق الراحة والعزاء " . [١٦]

فالشاعر كالحالم يستمد من اللاشعور وهو مثله يترجم خفايا اللاشعور إلى صور ورموز ، ويمتاز بالقدرة على ستر مصادرها المحرمة بحيث تصبح أكثر إنسانية ومتعة له وللآخرين وذلك كقول جبران : [١٧]

أمنام يتهادى في القلوب

فإذا ما استيقظت ولي المنام

أم غيوم طفن في شمس الغروب

قبل أن يغرقن في بحر الظلام

فالشاعر هنا يتساءل عن ذلك المنام الذي يتهادى في القلوب ، بل هي غيوم بما تحمل من معنى تغرق في بحر من الظلام الدامس ، هذا الجو الحزين اليائس يذكرنا بقول الشاعرة في

١٦- البطل في الأدب الأساطير د. شكري محمد عياد ص٤٤ .

١٧- المجموعة الكاملة جبران خليل جبران ج٣ ص٢٩٥ .

قصيدتها " بعد أسبوعين " [١٨] حينما يدنو سفر الحبيب الذي يحمل الأمان والحب ، وساعتها تشعر الحبيبة بألم الفراق يزحف إليها حاملا معه كل المشاعر الحزينة والتي عبرت عنها بهذا الأسلوب الأدبي البديع :

أبعد أسبوعين تقصى النوى

عن حبيبي ... ويحين السفر ؟

ستزحف الأيام من بعده

ثقيلة ... في قدميها حجر

لن تشرق الشمس علينا ، ولن

يطلع في ليل هوانا القمر

ولن يكون الجو إلا لظى

ولاسنا الأنجم إلا شرر

ولن يكون العمر إلا صدى

قيثارة لم يبق منها وتر

ولن نرى الروض سوى غابة

للبوم ، لا ينبت فيها الزهر

١٨- ديوان أمنية قصيدة " بعد أسبوعين " ص٩٣ .

فبراعة الشاعرة في التعبير عن الحالة الشعورية التي تمر بها ، حيث الألفاظ والتراكيب المعبرة فالشمس لن تشرق والليل لن يطلع فيه القمر ، والجو يتحول إلى نار بل لظى والنجوم شرار مدمر ، كل هذا لغياب الحبيب ورحيله هذا يذكرنا بتلك الصورة التي رسمها إبراهيم ناجي في قصيدته " العودة " : [١٩]

موطن الحسن ثوى فيه السآم

وسرت أنفاسه في جوه

وأناخ الليل فيه وجثم

وجرت أشباحه في بهوه

والبلى أبصرته رأي العيان

ويداه تنسجان العنكبوت

فشاعرتنا جعلت العمر صدى لقيثارة ليس لها وتر فهي خرساء ، والروض تحول إلى غابة للبوم ذلك الطائر الكريه الذي استخدمه صلاح عبد الصبور في قصيدته " رحلة في الليل ": [٢٠]

الطارق المجهول يا صديقي ملثم شرير

عيناه خنجران مسقيان بالسموم

والوجه تحت اللثام وجه بوم

١٩- ديوان " وراء الغمام " إبراهيم ناجي قصيدة " العودة " ص١٩ .

٢٠- ديوان صلاح عبد الصبور قصيدة " رحلة في الليل " ص٣٨ .

لكن صوته الأجش يشدخ المساء

إلى المصير ... والمصير هوة تروع الظنون

فهنا الليل ووجه البوم والصوت الأجش وما توحي به من وحشة ، وهذا هو شعور الشاعر المرهف الحس الذي يصوغ عباراته على حسب ما يستأنس حسه اللغوي بفيض هاجسه ، وهذا يبدو في قصيدة الشاعرة " لم يا ربي ؟ " [٢١] حينما أحبت وتعلق قلبها وعانت القسوة والجراح :

همسة منه ، وألقيت السلاح

بسمة منه ، وعانيت الجراح

نظرة منه ، وقلبي طائر

ردت الطائر مكسور الجناح

لم يا رب تعلقت به

وليالي إذا ناجيته

مالها من قسوة النجوى صباح ؟

فالشاعرة استمدت صورة الريشة في مهب الرياح والليالي وقسوتها ببعاد الحبيب فهي مظلمة طويلة ليس لها صباح وهذا يذكرنا ببيت امرئ القيس في وصف الليل وهو يخاطبه : [٢٢]

٢١- ديوان أمنية قصيدة " لم يا ربي " ص١٢٨-١٢٩ .

٢٢- ديوان امرئ القيس ص

ألا أيهـــا الليل الطويل ألا انجلى

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فالشاعرة كأنثى مرهفة الحس تشعر بألم الفراق واللوعة والعذاب وهو ما نجحت في التعبير عنه في آخر القصيدة :

وسريري ... إن تقلبت به

فهو شوك وسهاد ونواح

لم يارب به عذبتني ؟

أعلى العشاق في الحب جناح ؟

وهنا تستدعي هذه الصورة بيت النابغة الذبياني . [٢٣]

فبت كأن العائدات فرشنني

هراسا به يعلى فراشي ويقشب

فالألم والمعاناة خلال ذلك الليل الطويل ، وما يعانيه الشاعر من خوف من النعمان يشبه ذلك الألم الذي عانته شاعرتنا من هذا الحب الذي قاست منه وهي تتساءل إلى متى هذا العذاب الذي كتب على العشاق ' فهذه المرأة الرقيقة التي أصابها سهم الحب من الهمسة والنظرة والبسمة ولعلها تستدعي بذلك بيت أحمد شوقي الذي يقول فيه :

٢٣- ديوان النابغة الدبياني ص٧٢ .

والغـــــــواني يغـرهـن الـثنـاء

نظـرة فـابتـسـامـة فـمـوعـد فلقـاء

فالشاعرة أنثى وتسعدها ابتسامة الحبيب ، ولكن حينما يغيب أو يقسو عليها فالدنيا تظلم كما رأينا وتشعر بالألم الشديد الذي يذيب قلب الجماد كما في قولها في قصيدة " آهة " : [٢٤]

فإن رأيت ابتسامي

فالنار تحت الرماد

وكل آهة ليل

تذيب قلب الجماد

إن عنوان القصيدة يوحي بالألم الناتج من الظلم أو القهر الذي تعانيه المرأة في مجتمعنا العربي ، وفيه تعامل المرأة معاملة قاسية هذا المخلوق الضعيف القوي ، الضعيف جسمانيا القوي عاطفيا الذي يحلق به الحب في أفق السعادة فتصور الحبيب بالبدر والقمر والنجم ، وهنا يتحول الليل الكئيب الحزين إلى جو المرح والسعادة بلقاء هذا الحبيب .

الليل والبدر والحب :-

إن شاعرتنا سعاد الصباح تميزت بحس مرهف وعاطفة

٢٤- ديوان أمنية قصيدة " آهة " ص٣٨ .

جياشة ، انعكست من خلال لغتها الشاعرة ، فهي مبدعة وساعدها على ذلك صدق الشاعرة المبدع في تصوير تجربتها ، والبوح بذات نفسها ، فالرجل أو الآخر يمثل لها قيمة عالية كالسماء والنجوم بل البدر في ليل التمام ، وتنعكس المكانة الاجتماعية على تعبيرات الشاعرة ، فهي تناديه " أميري المفدى" :[٢٥]

لعلني أدنو إليك ... يا أميري المفدى

فيطلع البدر ... وتخشع النجوم سجدا

فالحبيب هو المعادل للبدر الذي يطلع فتسجد له النجوم خاشعة ، وتكرر صورة البدر الذي يسطع في ليلها وتكرر هذه الكلمة سواء معرفة بأل أو مضافة إلى ياء المتكلم اسمعها تقول في قصيدة " لون عينيك " : [٢٦]

آه من ليلى ومن ويلى ومن هذا المقدر

يطلع البدر على الأنجم في الليل ويسهر

ويواليها بنور الشوق حتى تتبلور

أي سحر يجذب البدر إليها حين تخطر ؟

أتراها كحلت بالليل جفنيها لتسحر ؟

٢٥- السابق قصيدة " لا تقلها " ص٨٨ .

٢٦- السابق قصيدة " لون عينيك " ص٦٢ .

أنا من كحلني السهد ، وبدرى ليس يشعر

ليتني في ليل بدري نجمة في الأفق تظهر

عليها تلقى شعاعا بسناه تتنور

وترى الحلم يقينا وترى العالم أخضر

يا لها من مشاعر صادقة نابعة من أنثى تتمنى أن يشعر بها الحبيب (بدري) ، فقد كررت كلمة البدر مرتين وبدري مرتين ونشعر بنار الشوق الذي جعلته الشاعرة (نور الشوق) فهي تستمد منه شعاع النور ويحول الحلم إلى حقيقة والعالم كله أخضر ، وهذه الصورة نراها في قصيدة أخرى : [٢٧]

هو نيسان لعمري وربيع يزدهيني

هو بدر في دجى ليلي ، تاج في جبيني

فإذا غاب حبيبي ، أي ظل يحتويني ؟

فالحبيب بمثابة الربيع وهو البدر في ظلام ليلها ، وهو التاج الذي يزين جبينها وتتساءل إذا غاب هذا الحبيب فأي ظل يحتويها ، فهو الظل والأمل هذه الصورة نجدها في قصيدتها " أنت أدرى " : [٢٨]

٢٧- السابق قصيدة " حب من السماء " ص٦٤ .

٢٨- السابق قصيدة " أنت أدرى " ص١١١ .

مـر تجـدنـى أجـعل الليل إذا مـا شـئت فـجـرا

والخـريف الجـهـم نيـسـانا وألوان وبشـرى

يا حـبـيـبي لا تسل مـالون حـبـي أنت أدرى

فالحب يغير الكون بقوته السحرية حيث يحول الليل إلى فجر والخـريف إلى ربيع ذي ألوان وبهـجـة وسـعـادة ، ولـذلك نجـدها تخاطب هذا الحبيب في قصيدتها " أنت " : (٢٩)

لولاك ، ما غنت طيور الربى

ولا حلا في الليل طول السهر

ولا تهادى النجم في أفقه

ولا زها في الليل ضوء القمر

ولا تناغى نغم حالم

صفا به العيش وطاب السمر

فـهنـا نجـد أثر هذا الحب والحـبـيب الذي مـعـه يحلو السـهـر ويتهـادى النجم في أفقه فهو عال في السـماء ، ويحلو ضوء القمر معه ويصفو العيش ويطيب السمر ، وهي تتمنى أن تنال حب هذا الحبيب ولذلك تكرر أسلوب التمني في خطابها للآخر : (٣٠)

٢٩- السابق قصيدة " أنت " ص١٠٢-١٠٣ .

٣٠- السابق قصيدة " ليتني " ص١٠٠ .

ليتني سيجارة في ثغرك الحلو الرجاء

تتفانى فيك لثما ، كل صبح ومساء

ليتني في أفقك الرحب شعاع من ضياء

لأحيل الليل في دربك نورا وبهاء

ليتني كنت على رأسك فتان الرواء

شعرة بيضاء كالنجمة في سمت السماء

فهنا الشاعرة وعواطفها الجياشة والتقاليد الاجتماعية التي تمنعها من البوح ، فتجعلها تتمنى أن تكون سيجارة تحترق ولكن قريبة من ثغره تلثمه كل صبح ومساء ، بل تتمنى أن تكون شعاع لتحيل الليل نورا وبهاء ، وتستمر في الضوء والضياء فتتمنى أن تكون شعرة بيضاء على راس الحبيب كالنجمة ، فالشاعرة بالرغم من أنها أنثى وكلنا يعرف طباع المرأة وكراهية الشيب ، ولكن هذا الحب جعلها تنسى نفسها وتذوب في هذا الحبيب الذي تجد نفسها معه بل يغير الكون حولها : [٣١]

كلما ألقاك جنبى أجد الأيام نضرا

وأرى الظلمة نورا ... وأرى الصحراء خضرا

فإذا ما صنتها لي ، بات لي حبك ذخرا

٣١- السابق قصيدة " هواجس الوداع " ص٧٣-٧٢ .

وانجلى الليل ، وأضحى العمر في قربك فجرا

ما أصدق هذا الشعور الجميل حيث حمى الحبيب الذي معه تتحول الأيام إلى نضرة والظلمة نورا والصحراء الجرداء حدائق خضراء غناء وينجلى الليل ويبزغ الفجر الذي هو الأمل ، هذا الفجر الذي يمحو ظلام الليل بفضل الحب الذي عبرت عنه شاعرتنا في قولها : [٣٢]

طبع الهوى ليل يمر وفجره يمحو ظلامه

وغدا ستزدهر الربى وتزول عارضة الجهامة

فالحب له قوة سحرية تحيل الليل إلى نهار والفجر الذي هو رمز للأمل والحياة الجديدة والتي ركز عليها شعراء المهجر فهذا جبران يقول : [٣٣]

هو ذا الفجر فقومي ننصرف

عن ديار مالنا فيها صديق

هو ذا الصبح ينادى فاسمعي

وهلمى نقتفى خطواته

٣٢- السابق قصيدة " له السلامة " ص٤٤ .

٣٣- المجموعة الكاملة جبران خليل جبران قصيدة " البلاد المحجوبة " ج٣ ص٢٩٥ .

قـــد كـــفـــانا مـن مـــســـاء يدعى

أن نـور الـصـــــــــبـح مـن آيـاتـه

والشاعرة تستدعي إحدى الشخصيات التراثية الشهيرة وهي " شهرزاد " تلك الشخصية الحكيمة المثقفة الواسعة الأفق ، التي عرفت كيف تقوم طغيان شهريار بعذب أحاديثها وعجيب قصصها، حتى استطاعت أن تضمن حياتها عنده ألف ليلة وليلة ، لم تجد نفسها بعدها في حاجة إلى أن تخترع له أحاديث جديدة فقد ردت إليه ثقته في المرأة وجعلته في نفس الوقت ينظر إلى الأمور ببصيرة أكثر نفاذا ففي قصيدة " جيشا " تقول : [٣٤]

وكأني شهرزاد الحب عادت في الخفاء

لترد الملل القاتل عن سيدها طول المساء

فإذا نمت على صدري كأزهار الإناء

ومشت كفى على شعرك تلهو في انتشاء

ورنت للشعرات البيض نجمات السماء

دبت الغيرة فيها فتوارت من حياء

ومضى الليل وقلبي في صلاة ودعاء

أن تكون الأمل المرجو يا حلو الرجاء

٣٤- استدعاء الشخصيات التراثية د. علي عشري زايد ص١٦٣ .

تعيدنا الشاعرة في هذه القصيدة إلى تلك القصص الشهيرة "ألف ليلة وليلة " لنستدعي بطلها شهريار وبطلتها شهرزاد من خلال هذا الخطاب " كأني شهرزاد الحب " ، " سيدها " فهي ترمز إلى ترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء إلى الحقائق الكبرى ، بينما ترمز بكلمة سيدها إلى شهريار إلى تلك القوة العارمة التي استطاع الحب أن يهذبها ويقلم أظفارها هذا التعبير نراه في قصيدة " قصة ليلة " : (٣٥)

الله ... ما أجمل هذا المساء

وسيدي يغمرني بالعطاء

يسلم شعرى لجنون الهواء

فالحبيب تارة أميري وتارة سيدي وهذا إن دل إنما يدل على امرأة حنون تقدر الآخر وتنتقي ألفاظها بدقة وبراعة ، وهذه الصورة الجميلة حينما تغار نجوم السماء من تلك الشعرات البيض في رأس الحبيب فتتوارى حياء وخجلا ، ويمضي الليل وهي في صلاة ودعاء من أجل هذا الحبيب الذي هو رجائها وأملها ، هذا الليل كم شهد لقاء الحبيب وذكرياته الجميلة ففي قصيدة " ذكريات " : (٣٦)

٣٥- ديوان أمنية قصيدة " جيشا " ص٩٦ .

٣٦- ديوان أمنية قصيدة " قصة ليلة " ص١١٨ .

حبيبي ، أتسترجع الذكريات ؟

إذا ما خلون لصمت المساء

فتذكر كيف سمعنا الليالي تزغرد من فرحة باللقاء

وكيف رأينا ضياء الكواكب أوتار قيثارة للغناء

ففي هذا المقطع نرى الشاعرة في تشكيل الصورة من خلال ما سمي بتراسل الحواس ، فقد يثير فينا الصوت صورة من الصور ، هنا نجد " صمت المساء " " سمعنا الليل " " ضياء الكواكب أوتار قيثارة للغناء " فهنا اللون يستدعي الصوت ، واختيار اللفظة والتركيب وهذا يدعوه بشر فارس " بارتجال اللغة" " فعلى الشاعر الحديث أن يصوغ عباراته على حسب ما يستأنس حسه اللغوي بفيض هاجسه فذلك تعبيره ، ومن هنا عظمة أبي العلاء ودانتي وجوته وبودلير وتاجور ، ولم يغب الأمر أو بعضه عن نقاد العرب ، أفلا تراهم يمدحون الشاعر بابتكاراته اللفظية"[٣٧] وهذا ما نراه في قولها في نفس القصيدة :

وقد نصب البدر أرجوحة من النور ترفعنا للسماء

وعيناك للحب نافذتان .. أرى الطهر خلفهما والصفاء

ما أروع هذه الصورة " نصب البدر أرجوحة من النور " : عيناك نافذتان للحب " سنطبق عليها مقولة الشاعر المتصوف

٣٧- السابق قصيدة " ذكريات " ص٨٣-٨٥ .

وليم بليك (١٧٥٧-١٨٢٧م) " إن الضرورة الكاملة التي يبدعها الشاعر لا يستخلصها من الطبيعة ، وإنما هي تنشأ في نفسه وتأتيه عن طريق الخيال " والخيال عنده هو " الرؤية المقدسة " وهو " عالم الأبدية " وأهميه نظرة كهذه ليست في تقدير أهمية الخيال بل في أنها نظرت إليه بوصفه قوة عليا تنبثق من داخل الشاعر حين يكون في حالة " اتحاد بالأبدية " واستشفاف " للرؤية المقدسة التي تعلو عن الواقع الحسي ، أي أن الخيال بالنسبة له أصبح قدرة صوفية على اكتشاف " العالم الخالد .. العالم الحقيقي ، الذي لا يعدو هذا العالم الواقعي أن يكون ظلا شاحبا له " . (٣٨)

والشاعر البارع المجيد هو الذي يحسن استخدام الصور وأيضا توظيف اللفظة والتركيب المباشر ، وهذا ما نجحت فيه شاعرتنا من خلال هذا المقطع الذي تناجى فيه الحبيب :

حبيبي تولت ليالي الربيع ، ومر الخريف

وجاء الشتاء

أتذكرني رغم قصف الرياح وعصف النوى

بزمان اللقاء ؟

أتسمع في الليل همسي إليك وتلمح في ناظري

البكاء ؟

٣٨- الرمز والرمزية د. محمد فتوح أحمد ص٣٥٠ .

فهنا تكرر لفظة حبيبي بما توحى من مشاعر وأحاسيس الحب ولكن نجد الفعل تولت أي أسرعت ليالي الربيع بما تحمل من جو جميل بالنسبة للمحبين ومر الخريف ليأتي الشتاء وما يمثله من ليالي طويلة وثقيلة على المحب ، وهنا يأتي التعبير " قصف الرياح" " عصف النوى " وما تحويه من ألم الفراق ، هذا الحبيب الذي نجده يتكرر بنفس اللفظ " يا حبيبي " في قصيدة " أنت أدرى" :(٣٩)

يا حبيبي ، لو فرشت الدرب من أجلك زهرا

وملأت الجو أضواء وألحانا وعطرا

ومددت الهدب في غابة أحلامك جسرا

ونسجت الأمسيات البيض للأشواق وكرا

هائنا يقطر طيبا دافئا ينبض سحرا

لبدا الكون لنا من نفحة الفردوس قصرا

نحن فيه وحدنا للحب أحرار وأسرى

هذا الجو الجميل المملوء بالأزهار والأضواء والألحان والعطر، والأمسيات البيض الهانئة الدافئة تحيل الكون كله إلى فردوس ، هذا هو الجو الرومانسي الجميل وتميز الأسلوب بالثنائية الجميلة (الأمسيات البيض) (أحرار وأسرى) فهذه الثنائية بل هذين الطرفين المتناقضين يصنعان باجماعهما كلا كاملا وأنهما مع ذلك حقيقتان أزليتان في النفس البشرية ، فالليل والنهار كمتناقضين

يلجأ إليها الشاعر للبوح بشجونه فهذا عندما يهبط الليل ويتخلص من زحام الحياة ، إلى لحظات من الدعة والسكون وانتظار الأمل في الفجر أو النهار نسيب عريضة يقول : [٤٠]

الشمس مالت للغروب

لا بأس ، فليأت الظلام

طوبي لقلب في القلوب

يرجو من الليل المرام

فهذا الليل الذي وظفته الشاعرة كرمز ومعادل لفظي لأحلى الأوقات وهذا ما عبرت عنه في قصيدتها " قصة ليلة " : [٤١]

الله ..... ما أجمل ليل اللقاء

ربي ..... أمن أجلي هذا المساء

رصعت الأنجم شعر السماء

وشاع في الجو رفيق الضياء

واكتست الدنيا بأبهى رواء

ما أجمله ليل حين يحلو لقاء الحبيب وترصع الأنجم شعر السماء ويتحول الليل إلى ضياء جميل بديع ، هذه الرومانسية

٣٩- السابق ص٢٨ .

٤٠- ديوان أمنية قصيدة " أنت أدرى " ص١٠٩ .

٤١- " الأرواح الحائرة " نسيب عريضة ص١٥٢ .

وهذا الحب حيث ضوء القمر وسهر الليالي وجمال السماء بالنجوم كالدر المنثور حينما تبعد عن الحبيب كما في قصيدة " في الغربة " [٤٢]

يصحو على الأفق ضوء القمر

وتزدهي السماء بأغلى الدرر

وتصفو الحياة لأهل الهوى

ويحلو لهم في الليالي السهر

أظل أناجيك في غربتي

إلى أن يطل شعاع السحر

غدا يا حبيبي أعود إليك

ونجبى المنى تحت ضوء القمر

فهنا أيضا يتكرر ضوء القمر وصفاء الحياة لأهل الهوى والسهر طول الليالي ومناجاة الحبيب وتمني العودة وقضاء أوقات السعادة ، وتصل الرومانسية إلى قمتها حيث الشعور بالجمال الأنثوي وذلك من خلال وصف شعرها الذي هو تاج المرأة وجمالها كما وصفته في قصيدتها " قصة شعري " : [٤٣]

٤٢- ديوان أمنية قصيدة " قصة ليلة " ص١١٧-١١٨ .

٤٣- السابق قصيدة " في الغربة " ص١٢٣-١٢٥ .

شعري الذي تعبده ... مهدلا وثيرا

عاندت نفسي ، وغزوت ليله الأثيرا

قصفت أمسياته ... جعلته قصيرا

وكنت إن ضممته ململما غزيرا

نام على يديك جذلا حالما قريرا

كم ليلة قبلته قبلته كثيرا

فغار من شعري فؤادي وانثنى كسيرا

مـا أجـمل الصـور " غـزوت ليله الأثيـرا " " نـام على يديك " "قصـفت أمسـياته " " غـار من شـعـري فؤادي " كل هذا فـي الليل "ليل العشاق " حيث الصفاء وتتكرر صورة الليل الذي هو لون شعر الحبيبة ففي " فرحة العيد " تقول : (٤٤)

أأترك الشعر منثورا على كتفي

سنابلا في مهب الريح تغشاه

أم هل أسوي شريطا في جدائله

يلون الليل في شعري ويرعاه ؟

فالاستفهام المتكرر ينقل لنا هذه الفرحة ، والحالة الشعورية التي تعبـر عنهـا الشاعـرة حيث الشعـر الذي يتـحول إلى سنابل

٤٤- السابق قصيدة " قصة شعري " ص٨٠-٨١ .

القمح وما تحمله من خير وجمال ، أم هذه الجدائل ذات الشريط الجميل في هذا الشعر الأسود حيث العودة إلى أيام الصبا ، فالليل هنا أيضا يبدو جماله ولونه من خلال هذا الشعر .

ونلاحظ أن هذه الصورة تتكرر عند شاعرتنا ولكن بصور مختلفة فقد نجحت في نقل هذا المشهد من خلال الآخر حيث الخطاب موجه إلى الحبيبة في قصيدة " غيرة " : [٤٥]

شعرك المرتمي على كتفيك

ارفعي ليله ... بحقي عليك

لمليه ... فإن قلبي طفل

نائم .. حالم .. على ساعديك

آه من غيرتي عليك من الليل

إذا ما استنام بين يديك

فهذا الشعر الذي هو تاج وجمال المرأة بلونه الأسود الداكن المتمثل في الصورة الجميلة " ارفعي ليله " وهذه الرقة المتمثلة في القلب المحب البرئ كالطفل النائم بل حالم بين يديها ، لتصل إلى قمة الغيرة من القلب حينما ينام هذا الشعر على يديها ، فهذا التناقض وما يوحى به من جمال نجده في قصيدة " اعتذار ":[٤٦]

٤٥- السابق قصيدة " فرحة العيد " ص٦٧ .

٤٦- السابق قصيدة " غيرة " ص١٢٠-١٢١ .

يا منى القلب ، من القلب اعتذارا

إن طغى الشوق بجنى وثارا

فهيامي بك ما كان اختيارا

أنت من تجعل ليلاتي نهارا

أيها الطير الذي رف وطارا

وأنا أبنى له في القلب دارا

كيف أمسى حبنا نورا ونارا ؟

انظر إلى سحر هذا الحب الذي يحيل الليل نهارا ، بل يجمع النقيضين نورا يضئ المستقبل ونارا تزيده جمالا ، فما أروع نار الحب حينما يبعد الحبيب الذي تخاطبه " أيها الطير " ولكنه رف وطار وهنا يتحول النور إلى نار ، كل هذا بفضل الحب الذي له قوة سحرية تستطيع تحويل كل شي وليصل بالإنسان إلى الفضاء الرحب حيث الشمس والنجوم والكواكب وعالم الأحلام الذي من خلاله يحقق الإنسان كل ما يحلم به وشاعرتنا بفضل الحبيب تحلق في عالم آخر فتصف نفسها بالبدر وباستطاعتها أن تنظم الآمال والأحلام شعرا كما في قولها : [٤٧]

أنت من تستعرض الأحلام في كفك أسرى

وأنا البدر صفاء ..... وضياء الشمس ظهرا

٤٧- السابق قصيدة " اعتذار " ص١١٢ .

وأنا من أنظم الآمال والأحلام شعرا

فهنا نرى توظيف ضمير الخطاب " أنت " والمتكلم " أنا " كي توضح تأثير الحب الذي يجعل الحبيبة في سماء الحب كالبدر تارة وكالنجمة تارة أخرى كما في قولها : [٤٨]

وأنا النجمة في أفق سحيق

تفتن الكون بلألأ البريق

هل علمتم من أساها أنني

أرسل النور وفي القلب حريق ؟

فضمير المتكلم أنا بل هذا التشبيه البليغ " أنا النجمة " وهي ترسل النور للكون مع أن قلبها يتقد نارا " وفي القلب حريق " وهذا يذكرنا بقولها :

كيف أمسى حبنا نورا ونارا

وهذا النور الذي هو معادل للأمل والحياة وهو ما تدعو إليه الشاعرة كما في قصيدتها " إيمان " : [٤٩]

فلتطرحي من قلبك العناء والتطيرا

وتنظري لليأس نظرة النجوم للثرى

٤٨- السابق قصيدة " مثالية " ص١٣٥ .

٤٩- السابق قصيدة " تحت المطر " ص٢٦ .

فالشعور الجميل بالمستقبل والأمل في حياة أفضل جعلها تستخدم لام الأمر مع الفعل المضارع تارة والأمر المباشر تارة أخرى ، مع جمال الصورة " نظرة النجوم للثرى " وما توحى به من علو وارتقاء هذه النجوم التي هي معادل لصاحب الخطاب (الشاعرة) .

" إن هذه الرومانسية التي نراها في ديوان " أمينة " لم تقتصر على الشعر أو الفكر إنما تبدو في :

- النظرة الحالمة للعالم والمجتمع .
- النزعة الإصلاحية المسالمة .
- البحث عن عالم بديل لما هي فيه " . (٥٠)

فكان من أهم القضايا عند سعاد الصباح مكانة المرأة وما تعانيه من ظلم اجتماعي وفكري وسياسي ، فهي تتعامل مع المرأة فكرا وعقلا ، ولهذا علاقة مباشرة بالبيئة لأن هموم المرأة عندها مختلفة فهي تنتمي إلى بيئة تحرم المرأة أبسط حقوقها ، فالشاعرة تنطلق من ذاتها وتنطلق من المرأة التي تخصها .

والمرأة التائقة للحب عند سعاد الصباح لا تتوق للجسد وإنما تتوق للحب المختلف ، حب الاحتواء والحب الذي يعجز أعتى الرجال ، لأنه يتعلق بحب يتمتع بالحرية والاحترام والتقدير .

٥٠- السابق قصيدة " إيمان " ص٥٦ .

وهذه الدعوة تنطلق من امرأة تعرف دواخل المرأة ، ومهما بلغ الشاعر أي شاعر من القوة والمعرفة بالنساء ، فإنه لن يقدر أن يصور خلجات المرأة ودواخلها ، فهي تلجأ على التعابير العامة التي تحمل الكثير من الشفافية ، وهذا الأمر نرده إلى أمرين :

١) الأنوثة المهذبة التي تخشى أن تخدش إحساس الكلمة الشاعرة .

٢) إيمان الشاعرة بعدم جدوى الحرية المطلقة سواء أكان ذلك للرجل أم المرأة كما عبرت عن ذلك في حديث إعلامي .

- الشاعرة تقدم حالات في الحب ولا تقدم تجربة فردية .
- إيجاد ديمقراطية في الحب تستطيع المرأة من خلالها أن تقول للرجل أحبك .
- الكشف عن الكوامن الشعورية لدى المرأة .
- إظهار مقدار معاناة المرأة التي لا يسمح لها أن تقول .

سعاد الصباح بما ملكته من ثقافة وتنور وشخصية نامية ومتطورة ومعرفة وشاعرية استطاعت أن تكون الصوت الأنثوي الأبرز في هذا النمط الشعري فلم يملك الآخرون حيالها إلا التهجم لأنها تمثل صوتا مفردا منفردا لم يجد له سندا حقيقيا .[٥١]

٥١- سعاد الصباح " شاعرة شتائية في الحب والغضب " إسماعيل إسماعيل مروة ص١٧١ .

السيرة الذاتية

الدكتور

أشرف أحمد حافظ عبدالسميع

- **المهنة:** مدرس بكلية الآداب جامعة الكويت.

- **مركز العمل:** جامعة الكويت - كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها.

أولاً : الدرجات العلمية:

١ - ماجستير في الآداب من قسم للغة العربية وآدابها، جامعة الإسكندرية، بتقدير ممتاز، ١٩٩٥م.

٢ - دكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإسكندرية، مع مرتبة الشرف الأولى، ١٩٩٩م.

ثانياً: أبحاث محكمة منشورة

١ - (ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين بين القراءات والتفكير اللغوي) حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، الرسالة الثالثة والعشرون، الحولية ١٩٣، ٢٠٠٢م -٢٠٠٣م، ١٤٢٣هـ ١٤٢٤هـ مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت.

٢ - الإتجاهات الدلالية الصوتي والتركيبية لاستعمال (قد) مجلة الفيلولوجي، كلية الألسن، العدد ٣٥ يناير ٢٠٠٢م.

٣ - مصطلح الوقف والابتداء وحدود مراتبه بين الحكم والعلة، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا العدد السادس عشر يناير ٢٠٠٣م.

٤ - (بل) في اللغة العربية دراسة صوتية ودلالية، مجلة فكر وإبداع الجزء الخامس عشر اغسطس عام ٢٠٠٢م.

٥ - الحكمة وأنماطها في شعر عبدالرزاق العدساني، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد الثالث عشر إبريل ٢٠٠٤م.

ثالثاً: كتب منشورة

١ - الاستشهاد بالحديث الشريف في المعاجم العربية - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٥م.

٢ - مجموعة خطب الشيخ عبدالعزيز حمادة دراسة وتخريج ومراجعة - مكتبة المنار بالكويت - ٢٠٠٤م.

من رثاء الزوجات إلى قصيدة آخر السيوف
سعاد الصباح
(توظيف الظواهر الأسلوبي)

الدكتور/ أشرف احمد حافظ

كلية الآداب-جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد فالرثاء والحنين ، البكاء والأنين أنشودة الصدق والحق فى أعمال المبدعين، فما اندفع البكاء من العيون إلا بالذى أضحك وأبكى، وما تفجرت الفنون بالرثاء إلا بنياط الحب وجذوة الصدق ، على مصاب جلل ، أو أيام مضت، أو على أحباب فارقوا بموت .

وما وقف الشعراء على الأطلال إلا بكاءً للمكين قبل المكان ، ولن يكون المكين إلا فى زمان يضمه أو مكان يحميه ....

وقد قدم امرؤ القيس المكين على المكان ، وذلك قوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقْطِ اللوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [1]

حتى يقول :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ

يَقُولُونَ لاتَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ [2]

---

١ - شرح القصائد العشر لأبى زكريا يحى التبريزى(٥٠٢ هـ) صـ ١ ، المكتبة الأزهرية القاهرة، ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

٢ - المرجع السابق صـ٦ .

ثم يبكى على الأيام السالفة :

أَلاَ رُبَّ يَـوْمٍ لَـكَ مِـنْهُـنَّ صَـــــالِـحٌ

وَلاَسِـــيَّـــمَـــا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ [٣]

وهاهو ذا طرفة بن العبد يتحسس أطلال خولة كما تتحسس العين بقايا الوشم على ظاهر اليد ، فيبكيها ويقول :

لِخِـــوْلَـةَ أَطْلاَلٌ بِبُـــرْقَـــةِ أَثْـمِـــدِ

تَلُوحُ كَبَاقِى الْوَشْمِ فِى ظَاهِرِ الْيَـدِ [٤]

وقد بدأ بذكر المحبوبة خولة ، ثم ثنى بإضافة المكان إليها .

فالبكاء هو الذى ابيضت منه عينا يعقوب عليه السلام لمفارقة ولده يوسف عليه السلام ، من فرط حبه له .

ونتناول ورقتنا تلك قصيدة آخر السيوف للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح ، ونحاول من خلال تلك الصفحات أن نتبين بعض المظاهر الإبداعية من خلال حسن توظيفها للصيغ العربية نحوية أو أسلوبية .

وقد قسمناه إلى أفكار ثلاث ، الفكرة الأولى وتتناول (فلسفة الرثاء) وأسبابه، والفكرة الثانية (رثاء الزوجات)، ونتناول فيه

---

٣ – السابق صـ١٢ .

٤ – شرح القصائد العشر للتبريزى ص ـ ٥٦

تاريخ رثاء الزوجات بشكل موجز حتى نصل إلى الفكرة الثالثة وهى قصيدة رثاء (آخر السيوف) لسعاد الصباح ونعرض فيها لسمات عامة وأسباب هذا الرثاء ، ونعرض القصيدة كاملة أمام القارىء لروعتها وجمالها .

أماالفكرة الرابعة فـ (الوظيفة الإبداعية لظواهر لغوية)، وقد تحدثنا عن بعض تلك الظواهر من خلال تعليل وتحليل لتلك الاستخدامات كاستخدام التركيب الإضافى سواء أكانت الإضافة لاسم ظاهر أم لضمير المتكلم أو لياء المتكلم .

وإذا كان "الشعر كلام موزون مقفى" [٥] ، ولكننا لابد أن لا نغفل بقية تعريف الشعر وهو : "دال على معنى" [٦] .

وقد نجحت الشاعرة سعاد الصباح من خلال تلك القصيدة فى توظيف الإيقاع الصوتى فى التعبير عن مراده ، لتربط بذلك بين الإيقاع من جهة والدلالة من جهة أخرى .

وكذلك نجحت الشاعرة فى توظيف الجانب الصوتى الإلقائى توظيفا معبرا عن عما تجيش بها نفسها .

---

٥ - الصاحبى لابن فارس ص ـ ٤٦٥ .

٦ - المرجع السابق.

الفكرة الأولى
فلسفة الرثاء

قمة الصدق فى كلام المبدعين ماكان تأبينا أو رثاء ، فالدافع هو الحب، والحب سلطان القلوب،ومستعبدها،ولذا يستطيع الظالم أن يستعبد جسدا، ولكنه لن يستطيع أن يستعبد قلبا إلا بإذن صاحبه ، ومن ثَمَّ فقد أصاب الشاعر الذى يقول (من البحر البسيط) :

أَحْسِنْ إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إحسانُ

١- فإذا كان لكل عمل من قول أو فعل سبب وحكمة وفلسفة ، فإن الفلسفة الأولى للرثاء والبكاء هى الحب وانظر إلى امرىء القيس فيما أوردنا فى مطلع معلقته (من البحر الطويل) :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

فبدأ بذكر الحبيب ، وثنى بمنزله .

٢-أما الفلسفة الثانية للبكاء فهى قصد الشفاء ؛ ذلك أن الشاعر كان يجد فى الذهاب إلى بكاء من يحب الدواء والشفاء ، وانظر إلى امرىء القيس يرد على منتقدي بكائه :

---

٧ - شرح القصائد العشر للتبريزى صـ ٨

٨ - ديوان حسان بن ثابت صـ ٢٩

وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ [٧]

فلا شفاء إلا بالبكاء .

٣-ولعل من أسباب البكاء أيضا تذكر المحبوب ، كما يقول حسان بن ثابت (من البحرالطويل) :

لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ ثُمَّ عَبْرَةٍ

سَفُوحًا وَأَسْبَابُ البُكَاءِ التَّذَكُّرُ [٨]

فى الوقت الذى يقنع الشعراء أنفسهم بتلك الأسباب ، يعترفون أن البكاء لايغنى عما فات ، ولايعيد من مات ، وذلك قول حسان أيضا(من البحر الوافر) :

بَكَتْ عَيْنِى وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا

وَمَا يُغْنِى البُكَاءُ وَلا العَوِيلُ [٩]

ولكن الشاعر لايتعرف بواقع ، بل يسبح فى خيال جارف ، لأن الواقع قد يكون أشد إيلاما ، لأنه ينقله إلى حقيقة ما حدث .

---

٩ - المرجع السابق صـ٥١

٤- وهناك فلسفة أخرى للرثاء ، فصورة الحزن الوفاء ، وقد بين لنا ذلك أبو تمام فى حكمة بارعة وفلسفة وهبها الله إياه فقال (من البحر المتقارب) :

ولاتريَنَّ البُكَا سُبَّةً

وأَلْصِقْ جَوى بلهيبٍ رُوَاء [١٠]

فقد كثَّر الرزءُ قَدْرَ الدموعِ

وقد عظَّم الخطبُ شأنَ البكاءِ

فباطنُهُ مَلْجَأٌ للأسى

وظاهرُهُ مَيْسَمٌ للوفاءِ

فالحزن مرآة الوفاء .

٥-ويجد الشاعر راحته فى البكاء ، والتعبير الدارج يقول : يبكى ليَفُكَّ عن نفسه ؛ أىْ : لترتاح نفسه، وقد قال أبو تمام (من البحر الخفيف) :

---

١٠ - ديوان أبى تمام صـ٣٣١ من قصيدة يرثى فيها خالد بن مزيد الشيبانى ، ومطلعها :

نعاء إلى كل حى نعاء فتى العرب اختط ربع الفناء

رَاحَـــتى فى البُكَاءِ حَـــتَّى أَرَاكَـــا

إنَّ لى مِنْكَ شَـاغِـلا عنْ سِـوَاكَـا [١١]

فكأن الشاعر عندما يبكى من يحب إنما يسعى لأن يقل حزنه، وترتاح نفسه، ويطمئن فؤاده .

وانظر لإبداعه حينما يبكى محمد بن حميد الطوسى(وهو من البحر الطويل) :

يُعَـــزُّونَ عن ثاوٍ يُعَـــزَّى بهِ العُـــلا

ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشعرُ [١٢]

وأَنَّى لهم صـبـرٌ عليـه وقـد مـضى

إلى الموتِ حتى استُشْهِدَا هو والصبرُ

٦-ومن أسباب البكاء والرثاء حفظ الجميل ، وقد قال المتنبى فى ذلك:

---

١١ - ديوان أبى تمام ٤٦١ . وذلك مطلع القصيدة وبعده :

تعس الهجـر والـذى شأنـه الهجر من الناس كلهم حاشاكا

١٢ - ديوان أبى تمام صـ٣٥٥ ، والقصيدة مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولاذَكَـرْتُ جَـمِـيـلا مِنْ صَنَائِعِـهَـا

إلا بـكـيـتُ ولاوُدٌّ بـلا سـبـبِ [١٣]

وتقول فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى تبكى حبيبها محمد صلى الله عليه وسلم :

يَاعَـيْنى اسْكُبى الدَّمْعَ سَـحَـا

وَيْكَ لاتَبْـخَـلى بِفَـيْضِ الدِّمَـاءَ [١٤]

-فكما أن كرم القلوب تفطرها على المحبوب ، فسخاء العيون بكثرةدموعها .

٧-وتعلل البكاء بعلة أخرى وهى من خصوصيات النبى صلى الله عليه وسلم، ذلك أن البكاء عليه صلى الله عليه وسلم أمر طبيعى ، فالجبال تبكيه والطير ترثيه ، والركن ووالمنبر والمحراب ، ودرس القرآن الكل يبكيك ، فقالت فى ذلك :

قَـدْ بَكَتْكَ الجِـبَـالُ وَالْوَحْشُ وَالطَّيْ

رُ كَـذَا الأَرْضُ بَعْـدَ سَحَّ السَّـمَـاءِ

---

١٣ -ديوان المتنبى صـ والبيت من قصيدة مطلعها :

وإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت كريمة غير أنثى العقل والحسب

وهى من البسيط .

١٤ - ديوان فاطمة الزهراء (رضى) ٦٠٥هـ ٦٣٢هـ. صـ ١٠٥جمع وتحيق / محمد عبد الرحيم ، دار قتيبة دمشق الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م .

وَبَكَاكَ الحُـــجُـــونُ وَالرُّكْنُ وَالْمَشْـ

ـعَـــرُ يَاســـيـــدى مع البطحـــاء

وَبَكَاكَ المَحْـــرَابُ وَالدَّرْسُ لِلْقُـــرْ

آنِ فى الصُّـــبْحِ مُـــعْلِنًا وَالْمَسَـــاءِ

وَبَكَاكَ الإِسْـــلامُ إِذْ صَـــارَ فى النَّا

سِ غَـــرِيبًـــا مِنْ سَـــائِرِ الغُـــرَبَاءِ

لَوْ تَرَى المَنْبَـــرَ الَّذى كُنْتَ تَعْلُو

هُ عَـــلاهُ الظَّلامُ بَعْـــدَ الضِّـــيَـــاءِ

يَاإِلَهى عَـــجِّل وَفَـــاتى سَـــرِيعًـــا

فَلَقَدْ تَنَغَّصَتِ الحَيَاة يَامَوْلاَئِى [١٥]

أما شاعرتنا الدكتورة سعاد الصباح فتبكى زوجها وحبيب قلبها عبد الله المبارك ، فالذى دعاها هو الحب أولا ، ثم إنها تبكى على معنى معانى الحماية التى تجدها فى محبوبها فتعددت لديها أسباب البكاء ... فهو معلمها الأول ، وإنسانها المفضل وأميرها المقدم ، وهو خيمتها التى تحميها من صروف الدهر ورياحه ، وهو والوطن شىء واحد ، فهو لم يمت كما الوطن؛ فلا نستغرب أن يكون محبوبها هو باعث معانى كلماتها .

---

١٥ - المرجع السابق ص ١٠٦ .

وهو النموذج والموجه والناقد ، فحينما سئلت سعاد الصباح فى حوار فى صحيفة الأهرام [١٦] : من أول شخص عادة يقرأ إبداعك؟

فردت قائلة : لقد غاب القارىء الأول ، غاب عبد الله المبارك زوجى ورفيق عمرى منذ ثلاث عشرة سنة ، بعده لاأسأل أحدا فيما كتبت ، بل أترك أوراقى تبوح بما حملت للقراء .

فَلُبُّ أسبابِ بكاءِ سعادِ الصباحِ الحبُّ والوفاءُ .

١٦- صحيفة الأهرام (مصر) بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ، الصفحة ٢٦ .

الفكرة الثانية
رثاء الزوجات

-الرثاء فن يظهر ما فى باطن المبدع من عواطف جامحة ، فما بالنا إذا اجتمع بنفس ملؤها العاطفة ، وفى عينها فيضها،فى المرأة ، المرأة التى تفكر بقلبها ، وتحس بعقلها ،وتجانس هذا فى ذلك فكان كمال فكرها

وقد روى أنس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حادٍ حسن الصوت ، فقال له رسول صلى الله عليه وسلم :رويدا يا أنجشة لاتكسر القوارير . يعنى النساء وقد أضاف أحد رواة الحديث وهو قتادة فقال يعنى ضعفة النساء، وأنا أختار ما اختاره أنس من عموم الحكم فالمقصود رقتها ، ومارَقَّ شىءٌ فقد دَقَّ ، وما دقَّ شىءٌ إلا واحتارت فى كنهه العقول .

إنها الكائن الأكثر عقلا ، والأقوى عاطفة .ولاضير فيما أقول فالمرأة هى أمى وزوجتى وأختى ومحبوبتى وابنتى فلمَ لاأنحاز لها وأنا منها وهى فىَّ؟

ومن هنا سنعرض لرثاء الزوجات ، وفاء وإخلاصا ، وحبا واحتياجا ، لنصل إلى نجمة الحب والرثاء فى شعرنا المعاصر .

فهاهى الهيفاء بنت صبيح [١٧] القضاعية ترثى زوجها نوفل

---

١٧ - شاعرات العرب فى الجاهلية ، جورج غريب ، صـ٨٧دار الثقافة ، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

التغلبى .....وقاتل زوجها هو ابن الحُجَيْب ... وتدعو فيها إلى الثار أيضا وهى من البحر البسيط) :

أَبْكِى وَأَبْكِى بِإِسْـــــفَـــــارٍ وَإِظْلامِ
على فَـــتًى تَغْلِبِىٍّ الأَصْلِ ضِـــرْغَـــامِ
لَهْـفِى عَلَيْـهِ وَمَـا لَهْـفِى بِنَافِـعَـةٍ
إِلا تَـكَافُحَ فُـــــرْسَـــــانٍ وَأَقْـــوَامِ
قل للحـجـيب لحـاك الله من رجل
خـمّلت عـار جـمـيع الناس من سـامِ
أيقـتل ابنك بعلى يابن فـاطمـة
ويشـرب الماء ؟ ذا أضـغـاث أحـلامِ
وَاللـهِ لازِلْـتُ أَبْـكِيـــــــهِ وَأَنْـدُبُـهُ
حَـتَّى تَـزُورَكَ أَخْـوَالِى وَأَعْـمَـامِى
بِكُلِّ أَسْـمَـرَ لَدْنِ الكَعْبِ مُـعْـتَـدِلٍ
وَكُلِّ أَبْيَضَ صَـافِى الحَـدِّ قِـمْـقَـامِ

فهو ترثى زوجها ذلك الفتى القوى، ولكن لن يفيد حزنها دونما ثأر، فتدعو إلى الثأر، فلن تجف لها الدموع حتى ترفع السيوف على رؤوس القاتلين. والأبيات من البحر البسيط الذى يمثل سعة فى الإلمام بالمعانى المتعددة .فعلى الرغم من أنها من باب الرثاء فإنها تتسم بالقوة ، لما تدعو له من معانى الثأر .

ومن رثاء الزوجات أيضا رثاء سمية [١٨] زوجة شداد العبسى ، وهى خالة عنترة العبسى ، تقول (وهى من المتقارب) :

جَـفَـانى الْكَرَى وَأَنَا فى الْغَـسَقْ
وَسَـاعَـدَنى الدَّمْعُ لَمَّا انْدَفَقْ
لِفَـقْـدِ هُمَـامٍ مَـضَى وَانْقَـضَى
وَقَـدْ زَادَ مِنِّى عَلَيْـهِ الْقَلَقْ
فَـمَنْ بَعْـدَ شَـدَّادَ يَحْـمى الحَـرِيم
إِذَا الحَـرْبُ قَـامَتْ وَسَـالَ الْعَـرَقْ
وَمَـنْ يَـرْدَعُ الخَـيْـلَ يَـوْمَ الْـوَغَى
وَمَـنْ يَطْعَنُ الخَـصْمَ وَسْطَ الحَـدَقْ
وَمَـنْ يُكْرِمُ الـضَّـيْفَ فى أَرْضِـهِ
وَمَـنْ لِـلْـمُـنَـادِى إِذَا مَـا زَعَـقْ
لَقَـدْ صِـرْتُ مِنْ بَعْـدِهِ فى ضَنًى
وَقَلْبى لأَجْلِ الـفِـرَاقِ احْـتَـرَقْ

فهو بكاء ، وحسرة على مَن ذهب ، وما ذهب به ، دون دعوة صريحة للثأر، فقد انشغلت به عن غيره ، ولذا كانت ألفاظها أكثر رقة ، وصورها أشد دقة.

---

١٨ - المرجع السابق صـ ٩٩ .

ومن رثاء الزوجات رثاء الجيداء [١٩] بنت زاهر الزبيدية لزوجها خالد بن محارب الزبيدى ، قتله عنترة العبسى تقول (وهى من البحر الخفيف) :

يَالِقَومِى قَدْ قَرَحَ الدَّمْعُ خَدِّى
وَجَفَانى الرُّقَادُ مِنْ عِظْمِ وَجْدِى
كَانَ لى فَارِسٌ سَقَاهُ المَنَايَا
عَبْدُ عَبْسٍ بِجُورِهِ وَالتَّعَدِّى
بَدْرُ تَمَّ هَوَى إلى الأَرْضِ لَمَّا
رَشَقَتْهُ السِّهَامُ مِنْ كَفِّ عَبْدِ
وَرَمَانى مَنْ بَعْدِ أَنْصَارِ جُنْدِى
فى هُمُومٍ أُكَابِدُ الوَجْدَ وَحْدِى
ياقَتِيلا بَكَتْ عَلَيْهِ البَوَاكِى
فى جِبَالِ الفَلا وفى أَرْضِ نَجْدِ
يالِقَوْمى مَنْ يَكْشِفُ الضَّيْمَ عَنِّى
وَيُرَاعِى مِنْ بَعْدِ خَالِدِ عَهْدِى

---

١٩ - السابق٠٠٠صـ١٠٦ .

وكذلك فعلت حليمة الحضرية [٢٠] تقول فى رثاء زوجها(وهى من البحر الخفيف):

يُقِـــــرُّ لِعَـــــيْنى أَنْ أَرَى لِمَكَانِهِ
ذُرَى عُـــقْـــدَاتِ الأجْـــرَعِ المُتَـــفَـــاوِدِ
وَأَنْ أَرُدَّ المْـاءَ الـذى شَـــــــرِبَـتْ بِـهِ
سُلَيْـمَى وَإِنْ مَلَّ السُّـــرَى كُلَّ وَاحِـدِ
وأُلْصِقُ أَحْـــشَـــائِى بِبَـــرْدِ تُرَابِهِ
وَإِنْ كَـــانَ مَـــخْلُوطًا بِسُمِّ الأَسَـــاوِدِ

وهاهى زهراء الكلابية ترثى زوجها فتقول :

تَأَوَّهْتُ مِنْ ذِكْـــرَى ابْنِ عَـــمِّى وَدُونَهُ
نَقَـضـا هَائِلٌ جَـعْـدُ الثَّـرَى وَصَـفِـيحُ
وَكُـنْـتُ أَنَامُ الـلـيْـلَ مِـنْ ثِقَـــــتى بِـهِ
وَأَعْلَمُ أَنْ لاضَـــيْـمَ وَهُوَ صَـــحَـــيحُ
فَـأَصْـبَـحْتُ سَـالِمْتُ الْعَـدُوَ وَلَمْ أَجِـدْ
مِنَ الـسِّلْمِ بُدًا وَالْفُـــؤَادُ جَـــرِيحُ

---

٢٠ -شاعرات لعرب فى الجاهلية صـ١٠٩ .

الفكرة الثالثة

آخر السيوف

لعل من أهم قصائد الشاعرة سعاد الصباح هى قصيدة آخر السيوف ، والتى آلت على نفسها أن تجعلها فى ديوان واحد ، فهو ديوان حياتها ، وقصيدة خاصة برفيقِ العمرِ وسميرِ الدربِ ، زوجِها الفارسِ .

والعجيب أن فارسَ أحلامها هو فارسُ واقعِها ، فمِنْ حُسْنِ الطالع أنْ التقى الفارسانِ فى فارسٍ واحدٍ .

هكذا كان لها ، فكيف بها إذا فارقها من غير عودة ، ورحل من غير ردة، ألايستحق أن تبكيه ، وتخاطبه وترثيه .

ولأنه واحد فى حياتها فلابد أن يكون ديوانه فريدا من غير شريك ، رسالة لايحملها عنها أحد ، فهى التى تسطرها ، وإليه تحملها ، وتقف أمامه وتقرأها ، حتى تخاطبه حضورا لاغيابا ، هى رسالة يحملها قلب خافق ، وروح وامق ، تكاد تذهب إليه من قربها ، وتبكى دماء من حبها .

ها أَنْتَ تَرْجِعُ مِـثْلَ سَـيْفٍ مُـتْـعَبِ

لِتَـنامَ فى قَـلْبِ الْكُوَيْتِ أَخِـيـرَا

يَاأَيُّهَـا النَّسْرُ الْمُضَرَّجُ بِالأَسَى كَمْ كُنْتَ

فـى الـزَّمَـنِ الـرَّدِىءِ صَـبُـورَا

كَـسَـرَتْكَ أَنْبَـاءُ الكُوَيْتِ ، وَمَنْ رَأَى

جَـبَلًا بِكُلِّ شُـمُـوخِـهِ مَـقْـهُـورَا

مَـاكَـانَ يُمْكِنُ أَنْ تَعِـيشَ لِكَىْ تَرَى

بَابَ الْعَـرِينِ مُـخَلَّعًـا مَكْسُـورَا

صَعْبٌ على الأحْـرَارِ أَنْ يَسْـتَـسْلِمُوا

قَـدَرُ الكَبِـيـرِ بِأَنْ يَظَلَّ كَـبِـيـرَا

يَافَـارِسَ الفُـرْسَـانِ ، يَاابْنَ مُـبَـارَكٍ

يَامَنْ حَـمَـيْتَ مَـدَاخِـلا وَثُغُـورَا

شَـرِبَتْ خُـيُـولُكَ دَمْـعَـهَـا ،وَصَـهِـيلَهَـا

كَـيْفَ الخُـيُـولُ تَمُـوتُ ؟ لاتَفْـسِـيـرَا

مَـا عَـادَ بَحْـرُكَ أَزْرَقًـا ، يَاسَـيِّـدِى

فَكَأَنَّمَـا صَـارَ النَّهَـارُ ضَـرِيرَا

الإِخْـــوَةُ الأَعْـــدَاءُ مَـــرُّوا مِنْ هُنَا

كَـىْ يَـمْـــــــلأُوا تَـارِيـخَـنَـا تَـزْوِيـرَا

شَنَقُـوا الغَنِىَّ على مَـشَـانِقِ حِـقْـدِهِمْ

أَمَّـا الفَـقِـيـرُ قَـلا يَـزَالُ فَـقِـيـرَا

غَـدَرُوا بِـهَـارُونَ الـرَّشِـيـدِ ، وَأَحْـرَقُـوا

كُـتُـبَ الـتُّـرَاثَ ، وَأَعْـدَمُـوا المَنْصُـورَا

عَـبَـثُـوا بِأَجْـسَـادِ النِّسَـاءِ ، وَدَنَّسُـوا

قَـبْـرَ الحُـسَـيْـنِ ، وَدَمَّـرُوا تَدْمِـيـرَا

لَمْ يَتْـرُكُوا فى الحَقْلِ غُصْنًا أَخْـضَـرَا

أَوْ نَـخْلَةً مَـيْـسَـاءَ أَوْ عُـصْـفُـورَا

قَـضَـمُـوا الكُوَيْتَ كَـأَنَّهَـا تِفَـاحَـةٌ

وَرمَـوا ثِيَـابَ القَـاصِـرَاتِ قُـشُـورَا

مَنْ ذَا يُحَـاسِبُ حَـاكِـمًـا مُـتَـسَلِّطًا

ذَبَحَ الشُّـعُـوبَ حَـمَـاقَـةً وَغُـرُورَا ؟

يَاسَـيِّـدِى ..إِنَّ الشُّـجُـونَ كَـثِـيـرَةٌ

فَـاذْهَبْ لِـرَبِّكَ ، رَاضِـيًـا مَـبْـرُورًا

يَتَـفَـتَّتُ التَّـارِيخُ بَيْنَ أَصَـابِعِى
وَأُشَـاهِدُ الوَطَنَ الجَـمِيلَ كَـسِيـرَا
خَـذَلُوكَ يَاشَـيْخَ العُـرُوبَةِ عِنْدَمَـا
جَـعَلُوا العُـرُوبَةَ مَـسْلَخًـا وَقُـبُـورَا
ذَبَحُـوا الطُّمُـوحَ الوَحْـدَوِىَّ مَنِ الَّذِى
يَـرْضَى بِـأَنْ يَـتَـزَوَّجَ السَّـاطُورَا؟
جَـاؤوا إليكَ .. لِكَىْ تُبَـارِكَ فِـعْلَهُمْ
يَـأْبَى الإِبَاءُ بِـأَنْ يَكُونَ أَجِـيـرَا
أَأَبَا مُـبَـارَكَ كُنْتَ أَنْتَ قَـبِـيلَتِى
وَجَـزِيرَتِى وَالشَّـاطِىءَ المَسْـحُـورَا
يَاخَـيْـمَـتِى وَسْطَ الرِّيَاحِ ، مَنِ الَّذِى
سَـيَلُمُّ بَعْـدَكَ دَمْـعِىَ المَنْثُـورَا؟
يَامَنْ ذَهَبْتَ وَمَـا ذَهَبْتَ كَـأَنَّنِى
فِى اللَّيلِ أَسْـمَعُ صَـوْتَكَ البُلُورَا
أَنْتَ الرَّبِيعُ لَوْ ذَكَـرْتُكَ مَـرَّةً
صَـارَ الزَّمَـانُ حَـدَائِقًـا وَعَـبِـيـرَا

أَأَبَا مُـــبَـــارَكَ ، لَوْ هُنَاكَ مَـــدَامِعٌ

تَكْفِى .. لَفَـجَّـرْتُ الدُّمُـوعَ نُهُـورَا

مَـنْ ذَا يُغَـطِّـيـنَا بِـرِيـشِ حَـنَـانِـهِ ؟

مَنْ يَمْلَأُ البَـيْتَ الكَبِـيـرَا حُـضُـورَا ؟

أَنْتَ السَّـفِـيـنَةُ ، وَالمِظَلَّةُ وَالْهَـوى

يَامَنْ غَـزَلْتَ لِىَ الحَنَانَ جُـسُـورَا

غَطَّيْـتَنى بِالدِّفْءِ مُنْذُ طُفُـولَتى

وَفَـرَشْتَ دَرْبِى أَنْجُـمًـا وَحَـرِيرَا

وَحَـمَـيْتَ أَحْلَامِى بِنَخْـوَةِ فَـارِسٍ

لَمْ تُلْغِ رَأْيًا أَوْ قَـمَـعْتَ شُـعُـورَا

اللـهُ يَعْـلَـمُ يـاأَبـى .. وَمُـعَـلِـمـى

كَمْ كُنْتَ إِنْسَـانًا .. وَكُنْتَ أَمِـيـرَا ..

أَأَبَا مُـبَـارَكَ يَامَنَارَةَ عُـمْـرِنَا

يَـادِرْعَـنَـا ، وَكِـتَـابَـنَا المَأْثُورَا

كُنْتَ الكُوَيْتَ أَصَـالَةً وَحَـضَـارَةً

وَمَنَاقِـبًـا عَـرَبِيَّـةً وَجُـذُورَا

البَـــحْـــرُ أَنْتَ يَفِـــيضُ عَنْ شُطْآنِهِ

قَـــدَرُ الكَبِـــيـــرِ بِأَنْ يَكُونَ كَـــبِـــيـــرَا

أَأَبَا مُـــبَـــارَكَ سَـــوْفَ تَبْـــقَى دَائِمًـــا

فِى العَـــيْنِ كُـــحْلًا والشَّـــفَـــاهِ بُحُـــورَا

يَـاآخِـــــذَ الكَلِمـــــاَتِ تَـحْتَ رِدَائِـهِ

مَـا عُـدتُّ بَعْـدَكَ أُحْـسِنُ التَّـعْـبِـيـرَا

فتلك هى فريدة ديوان سعاد الصباح ، التى أفاضت فى رثائها لتدل على صدقها ، وزادت من بكائها ، لتبرهن على شدة حبها وعشقها .

ولكنها استطاعت وسط فيض تلك المشاعر أن تستخدم وسائل إبداعية تجعل من هذه المرثية درة فى جبين رثاء الزوجات .

وذلك على النحو التالى .

الفكرة الرابعة
الوظيفة الإبداعية لظواهر لغوية

إن الشكل الفنى لايتحقق ..إلا بفضل التأليف بين الأصوات ، ثم الكلمات، ثم التراكيب فى نظام معين " [٢١]. وفى لغة الشعر إحياء للكلمات، وتكثيفا لدلالتها حين تنتعش من خلال إيقاع القصيدة [٢٢] .

ومن الجوانب الشكلية التى نعتمد عليها فى تحليلنا لهذه القصيدة البنية النحوية ، والجوانب الصوتية .

أولا: التركيب الإضافى :

١- الإضافة لاسم ظاهر :

من التراكيب الشائعة بشكل لافت للنظر فى الاستعمال العربى عامة التركيب الإضافى الذى يفيد غالبا الملكية أو الأولية فى النسبة ، فتقول: هذا خاتم حديد ، لتعبر عن أصلية هذا الخاتم ، ولذا نقدر كلمة(من) التى تفيد الابتداء.

وتقول : هذا بيت محمد . لتعبر به عن ملكية محمد للبيت ، ولذا تقدر اللام .

---

٢١ - تحليل النص الشعرى "بنية القصيدة ، يورى لوتمان ، ترجمة وتقديم وتعليق / محمد فتوح أحمد صـ٧ ، دار المعارف ، ١٩٩٥م .

٢٢ - المصدر السابق .

ولكن فى الجوانب الإبداعية يتشكل هذا التركيب الإضافى مع مركبات الجملة -فى كثير من الأحيان - ليضيف بعدا تصويريا أو مجازيا أو كنائيا ، تسبح معه نفس القارىء كما نعمت به روح المبدع .

حتى يبرز جانب الصدق الشعورى ، وذلك ما لفت نظرى فى قصيدة آخر السيوف لسعاد الصباح .

ومن هذه التراكيب قولها :

هـا أَنْتَ تَرْجِعُ مِـثْلَ سَـيْفٍ مُـتْـعَبِ

لِتَـنامَ فى قَـلْبِ الْكُوَيْتِ أَخِـيـرَا

فـ(قلب الكويت) تركيب إضافى كان موضعا لمنامه وراحته، فهو الوثيرة التى يرتاح عليها، بل فيها . فالكويت مشخصة نعم، والتعبير كناية عن مثواه الأخير نعم، ويعبر عن مدى تعلقة بالكويت، بل تعلق الكويت به .

كل ذلك قد يكون ، فاستعمال الشاعرة خرج عن التركيب النحوى إلى نفحة إبداعية ترقى فوق هذا التركيب .

والتركيب التالى فى قولها :

يَافَـارِسَ الفُـرْسَـانِ ، يَاابْنَ مُـبَـارَكٍ

يَامَنْ حَـمَـيْتَ مَـدَاخِـلا وَثُغُـورَا

(فارس الفرسان) فقد لفت نظرى هذا التعبير ، أما التركيب الآخر (يا ابن مبارك) ويبدو أنه نداء محبب إلى قلبها .

أما الأول : فارس الفرسان

فهو تعبير يدل على حسن قيادته ، وتقدمه على غيره من الفرسان ، وهو مماكانت تعشقه فيه ، الفارس ، بل قائد الفرسان، بل نخوة الفرسان فيه ، تلك النخوة التى تحمى أحلامها، وأحلام وطنها .

وانظر إلى تلك التراكيب المتتابعة التى تعبر عن قبح ما ارتكبه الغازى المعتدى على حرمة بلادى :

فقد شنقوا الغنى على (مشانق حقدهم)، وأحرقوا (كتب التراث)، وعبثوا (بأجساد النساء)، ودنسوا (قبر الحسين)، ورموا (ثياب القاصرات) وتقول فى ذلك :

الإِخْوَةُ الأَعْدَاءُ مَرُّوا مِنْ هُنَا
كَيْ يَمْلأُوا تَارِيخَنَا تَزْوِيرَا
شَنَقُوا الغَنِيَّ على مَشَانِقِ حِقْدِهِمْ
أَمَّا الفَقِيرُ قَلا يَزَالُ فَقِيرَا
غَدَرُوا بِهَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَأَحْرَقُوا
كُتُبَ التُّرَاثَ وَأَعْدَمُوا المَنْصُورَا

عَـبَـثُـوا بِأَجْـسَـادِ النِّسَـاءِ ، وَدَنَّسُـوا

قَـبْـرَ الحُـسَـيْنِ ، وَدَمَّـرُوا تَدْمِـيـرَا

لَمْ يَتْـرُكُوا فى الحَقْلِ غُصْنًا أَخْـضَـرَا

أَوْ نَخْلَةً مَـيْـسَـاءَ أَوْ عُـصْـفُـورَا

قَـضَـمُـوا الكُوَيْتَ كَـأَنَّهَـا تِفَـاحَـةٌ

وَرَمَـوا ثِيَـابَ القَـاصِـرَاتِ قُـشُـورَا

فماذا عن هؤلاء ، لقد كانوا إخوة ، ولكنهم غدروا فصاروا أعداء ، فلقد أراد المعتدى أن يغير وجه التاريخ ، بل يزوره ؛ فأحرق التراث ، ليبدد حياة العقول ، ثم عمد إلى أجساد النساء ، التى تمثل مظهر كل حياة على وجه الأرض ، فعبث كما يعبث فاقد الأهلية بشىء ثمين ، ولم يقف عند هذا ، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ليدنس قبر الحسين ، الذى يعبر عن كل شرف وكل شريف حيا كان أو ميتا ، إذ أتيعلى كل أخضر ويابس، فلم تسلم منه عمتنا النخلة بشموخها ، ولاعصفورنا الناغى بنعموته ودلاله ، حتى وصل إلى الوطن ومعناه ، لياكل ما فيه ، ويروع من يحميه .

ومن هنا كانت نفرة الشاعرة وواستنفارها لمن يحمى الوطن فقالت :

مَنْ ذَا يُحَـاسِبُ حَـاكِـمًـا مُـتَـسَلِّطًا

ذَبَحَ الشُّـعُـوبَ حَـمَـاقَـةً وَغُـرُورَا؟

وهذا ما جعل شاعرتنا تستغيث بتركيب إضافى آخر(ياشيخ العروبة).

٢ - الإضافة للضمير (لياء المتكلم):

وقد وظفت الشاعرة سعاد الصباح التركيب الإضافى مرة أخرى فى إطار له دلالته الإبداعية ، التى تقوم بتوظيف الأصول اللغوية من نحوية وبلاغية توظيفا يخدم النص ،فقد أكثرت من الإضافة إلى ياء المتكلم على النحو التالى (أَنْتَ قَبيلَتِى- وَجَزيرَتى -يَاخَيْمَتى - دَمْعِىَ -طُفُولَتى-دَرْبِى - أَحْلَامِى -أَبى- وَمُعَلِمى)

وكل تلك الإضافات جاءت فى إطار مخاطبتها لفارسها ، اعترافا منها بفضله وتحسرا على فقده ، فهو قبيلتها وجزيرتها وخيمتها ، ولأنه كان منها يمثل نفسها فأتبعت ذلك بأنه هو من كان يحميها منذ الطفولة ، وفرش لها دروبها لما اشتدت ، وحمى أحلا مها لما يفعت ، فأنت معلمى وأبى .

فتلك الإضافات إلى ياء المتكلم تحمل فى طياتها حبا جارفا ، وتدل على أنه من خصوصياتها التى تأبى شاعرتنا أن يدعى مدع أن له فيه ما لشاعرتنا من الحب والقرب ، وهى دلالة تعود إلى الأصل النحوى من الملكية الخاصة، والأصل البلاغى من القصر والتخصيص من خلال تلك الإضافة .

ونقطة أخرى وهى أنها أضافت الكلمات المذكورة إلى ياء المتكلم ، لتعبر عن أن مصابها الجلل كلن فى نفسها ، فلم ولن يشعر به غيرها .

وهى الأنا المتوحدة فى المحبوب ، الغائبة فى روحه ، السابحة فى نفسه ،فهو فى قصيدتها وهى فى قصيدته .

ثانيا: المزج بين الأسلوب الخبرى والإنشائى :

تتنوع الأساليب البلاغية الإبداعية فى القصائد الشعرية ما بين الأسلوب الخبرى والإنشائى .

وقد يغلب الأسلوب الإنشائى لدى شاعر، وقد يطغى الخبرى على اسلوب مبدع آخر ، وقد يكون الداعى لنوع الأسلوب هو الغرض الذى تدور فى فلكه القصيدة .

غير أن قليلا منهم من أبدع فى المزج بين الأسلوبين ، وشاعرتنا من هؤلاء الشعراء القلائل الذين نجحوا فى ذلك .

لقد أبدعت سعاد الصباح فى المزج بين الأسلوبين ، وبخاصة النداء .

نداء من؟ إنه نداء آخر السيوف .

فلنسبح مع شاعرتنا لنراها كيف نجحت فى العزف على أوتار ندائها ، وشدت بأخبارها .

لقد استرعى نظرى كثرة النداء فى هذه القصيدة إذ بلغ النداء فيها ثلاث عشرة موضعا .

وقد وقع بين مواضع النداء كمٌّ من الأخبار . لقد وجدتنى حينما استعرضت النداء والخبر بعده أمام نوتة موسيقية

بها(كوبليه) متعدد النداءات ، ويزيل كل (كوبليه) بأخبار تسردها لنا الشاعرة ، أو تسردها للمنادى عليه ، رفيق عمرها ، وحبيب فؤادها .

ففى البيت الأول :

تخاطبه خطاب الحاضر بلا غياب عنها ، ثم تناديه بقولها :

يا أيها

وهى أداة لنداء البعيد ، وفى النداء أداة تبيه(ها).

لكن لمَ النداء دون غيره من الأساليب الإنشائية؟!

إن النداء خطاب ، والخطاب حضور للمخاطب ، والمخاطب قريب إلى فؤادها، أما أداة النداء للبعيد فهى تناديه وهو بعيد ، فالفاصل بينهما هو فاصل ما بين حياة دنيوية ، وأخرى برزخية .

فحالها حال مَنْ يقول :

بعيدا على قرب قريبا على بُعْدِ

أما وقد استحضرته بالنداء ، فلابد أن تبدأ معه الحديث ، مستخدمة أساليب الحسرة نحو :]كم كنت [، وتقرر له ماحدث لها، ولوطنها بعد رحيله .

ثم تعلل لهذا الرحيل بقولها :

مَاكَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَعِيشَ لِكَيْ تَرَى

بَابَ العَرِينِ مُخَلَّعًا مَكْسُورَا

ثم تلخص علة الرحيل فى حكمة بليغة تقول فيها :

صَعْبٌ على الأحْرَارِ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا

قَدَرُ الكَبِيرِ بِأَنْ يَظَلَّ كَبِيرَا

وينتهى المقطع الأول من النداء والخبر ليبدأ مقطع آخر ترتفع فيه نبرة الفخر والاعتزاز بحبيب قلبها وقرة عينها فتقول :

يافارس الفرسان ...

ثم تدنو أكثر فتقول :

يااابن مبارك ...

ثم تثلث بنداء فيه حسرة وألم فتقول :

يامن حميت ...

والبيت :

يَافَارِسَ الفُرْسَانِ ، يَاابْنَ مُبَارَكِ

يَامَنْ حَمَيْتَ مَدَاخِلا وَثُغُورَا

وبعد النداء والاستحضار تأتى الأخبار ، تسرد له الأخبار ، وتبدل الأحوال ، فالحياة تكاد تتوقف ، ولاتفسير لذلك غير الحزن والألم ، فالخيل فى حاجة إليك ، فأنت فارس الفرسان . :

الإِخْوَةُ الأَعْدَاءُ مَرُّوا مِنْ هُنَا

كَىْ يَمْلَأُوا تَارِيخَنَا تَزْوِيرَا

شَنَقُوا الغَنِيَّ على مَشَانِقِ حِقْدِهِمْ

أَمَّا الفَقِيرُ قَلا يَزَالُ فَقِيرَا

غَدَرُوا بِهَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَأَحْرَقُوا

كُتُبَ التُّرَاثَ ،وَأَعْدَمُوا المَنْصُورَا

عَبَثُوا بِأَجْسَادِ النِّسَاءِ ، وَدَنَّسُوا

قَبْرَ الحُسَيْنِ ، وَدَمَّرُوا تَدْمِيرَا

لَمْ يَتْرُكُوا فى الحَقْلِ غُصْنًا أَخْضَرَا

أَوْ نَخْلَةً مَيْسَاءَ أَوْ عُصْفُورَا

قَضَمُوا الكُوَيْتَ كَأَنَّهَا تِفَاحَةٌ

وَرَمَوا ثِيَابَ القَاصِرَاتِ قُشُورَا

فقد زور الأعداء التاريخ ، وتربصوا بالغنى فشنقوه ، وتركوا الفقير على حاله ، لقد فعلوا فعلة التتار فى أرض المسلمين ، فأتوا على كل غال ، وبدأوا بالرؤوس والرموز ، ثم ثنوا بالقيم الإنسانية ، والرموز التاريخية ، فلا دين يردعهم ، ولاإنسانية ترد نفوسهم عن طغيانهم .

ثم تختم تلك الأخبار باستنهاض الهمم لمواجهة المعتدى ، من خلال استفهام فيه حسرة ، ودعوة للذود عن عرين أسدهم فتقول:

مَنْ ذَا يُحَاسِبُ حَاكِمًا مُتَسَلِّطًا

ذَبَحَ الشُّعُوبَ حَمَاقَةً وَغُرُورَا ؟

ثم تنادى عليه مرة أخرى بقولها(ياسيدى) وليس فى ذلك عبودية ، فهذا نداء دارج بين المحبيين ، وعموما فمن اختار العبودية لمحبوبه فلا شىء يضيره، فهى عن حب، لا عن قهر ، بل هى تدل على شدة قرب ، ولوعة حب ، فتقول :

يَاسَيِّدِى ..إِنَّ الشُّجُونَ كَثِيرَةٌ

فَاذْهَبْ لِرَبِّكَ ، رَاضِيًا مَبْرُورًا

أما الشطرة الثانية فهى تركيب مُصَدَّرٌ بأَمْرٍ مصحوب بحال (راضيا مبرورا) وجماعُ معنى الحالِ و الأمرِ هوالدعاءُ .

ثم تختلى بنفسها لتسترجع ماحدث لها ، وما أصاب وطنها ، تبدأ بقولها:

يَتَفَتَّتُ التَّارِيخُ بَيْنَ أَصَابِعِى

وَأُشَاهِدُ الوَطَنَ الجَمِيلَ كَسِيرَا

ولكنها لاتريد أن تغفل لحظة ولو بنفسها عن سميرها ، لتستأنس به فتناديه مرة أخرى :

خَذَلُوكَ يَاشَيْخَ العُرُوبَةِ عِنْدَمَا

جَعَلُوا العُرُوبَةَ مَسْلَخًا وَقُبُورَا

لتكمل مأساة وطنها مرة أخرى. فى البيتين التاليين .

ونصل إلى جذوة النداء ، وروعته فتقول :

أَأَبَا مُـبَـارَكَ كُنْتَ أَنْتَ قَـبِـيلَتِى

وَجَـزِيرَتِى وَالشَّـاطِىءَ المَسْـحُـورَا

يَاخَـيْـمَـتِى وَسْطَ الرِّيَاحِ ، مَنِ الَّذِى

سَـيَلُمُّ بَعْـدَكَ دَمْـعِىَ المَنْثُـورَا ؟

يَامَنْ ذَهَبْتَ وَمَـا ذَهَبْتَ كَـأَنَّنِى

فِى اللَّيلِ أَسْـمَعُ صَـوْتَكَ البُلُورَا

أَنْتَ الرَّبِيعُ لَوْ ذَكَـرْتُكَ مَـرَّةً

صَـارَ الزَّمَـانُ حَـدَائِقًـا وَعَـبِـيـرَا

لقد رسمت لوحة فنية ملؤها الحب لأبى مبارك رحمه الله ، فهو البيئة التى تعيش فيها وهو قبيلتها ، وهو شاطىء نجاتها ، وهو خيمتها التى تؤويها وتحميها. فهو منها بمنزلة نفسها ، حتى كادت تقول قول الرافعى : صديقك مَنْ إذا غاب عنك أحسست أن جزءا منك ليس فيك ... وإذا مات لك صديق لاتقل مات لك ميت بل مات فيك ميت . ولذا تصل إلى أن تقول :

يَامَنْ ذَهَبْتَ وَمَـا ذَهَبْتَ كَـأَنَّنِى

فِى اللَّيلِ أَسْـمَعُ صَـوْتَكَ البُلُورَا

ثم تخبر بعد النداء :

أَنْتَ الرَّبِيعُ فَلَوْ ذَكَرْتُكَ مَرَّةً

صَارَ الزَّمَانُ حَدَائِقًا وَعَبِيرَا

علما بأن لفظة لو تستعمل فى غالب أمرها لتمنى الشىء غير الممكن، ولكنها هنا بمعنى (إنْ) الشرطية ، وتعاقب الحروف أمر واقع عند كثير من العلماء [٢٣] .

ثم تناديه نداء لاتسلم منه دموع العيون بل نسمع صوت انفجار الدموع، فحق لها البكاء ، فهو ريشة حنانها ، وسفينة نجاتها ، والمظلة والهوى والحنان والغطاء والدفء والفراش والضياء والحب والوفاء ، والمعلم فمعطيات حياتها تجمعت فيه :

وليس بمستبعدٍ على الواحدِ أن يجمعَ العالمَ فى واحدِ

فقد كان البيئة التى تعيش فيها والوطن والخيمة وتلك معان حسية ، ولكنها أرادت فى هذه الأبيات أن تذكر المعانى المعنوية ألتى أدمت دموعها .

---

٢٣ - قال الفراء : لو تقوم مقام (إنْ) كما قال تعالى (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ولولا أنها بمعنى (إنْ) لاقتضت جوابا ؛ لأن (لو) لابد لها من جواب ظاهر او مضمر .... انظر فقه اللغة وسر العربية صـ ٤٠٠للثعالبى ت ٤٣٠هـ تعليق / د .ياسين اتلأيوبى المكتبة العصرية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٩م .

وكل هذه الأبيات خطاب ، ثم تعود إلى النداء مرة أخرى ، فتقول :

اللـه يعلـم يـاأبى ومـــــــعـلـمـى

كم كنت إنســـانا وكنت أمـــيـــرا

فهو المعلم والإنسان والأمير ، ولكن الملحظ المهم هى أنها بدأت بما لايشترك معها فيه أحد وهى الأبوة والمعلم ، ثم ثنت بما يفيض به عليها وعلى الإنسانية ، ثم التميز بالإمارة .

بل إنها تراه منارة العلم بل ترى الكويت فيه تتراه فى الكويت ، لقد توحد هو والوطن ، ولذا نراها تخاطبه وتحادثه ، فالوطن لايموت ، وآخر السيوف لن يموت فى نفسها ، فهو البحر فى عطائه لايبخل على شطآنه فتقول :

أَأَبَا مُـــبَـــارَكَ يَامَنَارَةَ عُـــمْـــرِنَا

يَادِرْعَنَا ، وكِـــــتَـــــابَنَا المَأْثُورَا

كُنْتَ الكُوَيْتَ أَصَـــالَةً وَحَـــضَـــارَةً

وَمَنَاقِـــبًـــا عَـــرَبِيَّـــةً وَجُـــذُورَا

البَـــحْـــرُ أَنْتَ يَفِـــيضُ عَنْ شُطْآنِهِ

قَـــدَرُ الكَبِـــيـــرِ بِأَنْ يَكُونَ كَـــبِـــيـــرَا

ثم تعود فتناجيه على أنه القريب ، فقالت :

أَأَبَا مُـبَـارَكَ سَـوْفَ تَبْـقَى دَائِمًـا

فى العَـيْنِ كُـحْلًا والشَّـفَـاهِ بُحُـورَا

وعند الختام يكون النداء ، نداء فيه آهة البعد ، بامتداد الأصوات فقالت:

يَـاآخِـــذَ الكَلِمـــاَتِ تَحْتَ رِدَائِهِ

مَـا عُـدتُ بَعْدَكَ أُحْسِنُ التَّعْبِيـرَا

ثالثا :الإبداع الموسيقى :

١-بحر القصيدة :

تنتمى هذه القصيدة إلى البحر الكامل]متفاعلن - متفاعلن- متفاعلن / متفاعلن - متفاعلن - متفاعلن[، وهو من البحور التى تعطى المبدع فسحة وسعة فى التعبير عما تجيش به نفسه، لا كبحر الهزج ، ولا المتقارب والمتدارك أو الوافر فى سرعة هذه البحور وخفتها فى التعبير، وسرعة هذه البحور قد تسبق فكر الشاعر إن لم يكن محنكا ، صاحب خبرة فى أن يسبق فكره سرعة هذه البحور .

ونمثل لذلك بقول شاعرتنا :

البَـحْـرُ أَنْتَ يَفِـيضُ عَنْ شُطْآنِهِ

قَـدَرُ الكَبِـيـرِ بِأَنْ يَكُونَ كَـبِـيـرَا

فالكلمات ثلاث عشرة كلمة بحساب هاء الإضافة فى]شطآنه[

ومن بحر الهزج :

إلى هند صبا قلبى

وهند مثلها يصبى (٢٤)

وإن قيل إن لهذا البيت مفاعيلن ست مرات ، فإن العرب لم تستعمله إلا مجزوء (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)

وعدد الكلمات فى هذا البيت تسع كلمات ، فتحسس سرعته وخفته بما يتناسب وطبيعته الغنائية .

ولعل سيرهذه القصيدة على تلك الوتيرة التقليدية من هذا الشعر العمودى لأنها تتناول فى قصيدتها أصالة وطن ، وانتماء إلى بيئة عربية أصيلة ، فانظر إلى ذكرها للكلمات العربية الأصيلة عل النحو التالى :

السيف - النسر - جبلا - فارس الفرسان - خيولك وصهيلها- بحرك الأزرق - هارون الرشيد -كتب التراث - نخلة ميساء - شيخ العروبة - قبيلتى - جزيرتى - خيمتى - الرياح - السفينة - والمظلة - أنجما - نخوة فارس - درعنا - أنت الكويت أصالة وحضارة - فى العين كحلا ، والشفاه بخورا .

---

٢٤ - البيت فى العقد الفريد ٤٥٨/٥ ، وهو عن كتاب معيار النظار فى علوم الأشعار ٤٥/١، لعبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجى الزنجابى كان حيا سنة ٦٦٠هـ دار المعارف

ولاشك أن هذه الكلمات ذات بعد اجتماعى وبيئى [٢٥] لها أثر فى النشاط الإبداعى الذى وظفته الشاعرة توظيفا فنيا رائعا ، وذلك من خلال استعمالها فى تراكيب نحوية كان لها أبلغ الأثر فى نجاح التجربة الشعرية ، وبيان مدى صدقها .

٢-ايقاع البكاء فى حروف المد :

ونحن إذْ نتحدث عن ظاهرة حروف المد وكثرتها نلفت النظر إلى تقسيم علماء اللغة المحدثين المقاطع الصوتية [٢٦] إلى أقسام منها :

أ-مقطع قصير = ويتكون من صامت + حركة قصيرة ، وذلك نحو : كَتَبَ ، فكل حرف مع حركته يمثل مقطعا قصيرا ، وتقطيعها الصوتى على النحو التالى : ك + َ + ت + َ + ب + َ .

ب-مقطع طويل مفتوح = ويتكون من صامت + حركة طويلة مثل الكاف فى : كاتب . ك + َ َ

وقد تبين فى هذه القصيدة كثرة استعمال الشاعرة للمقاطع الطويلة ، إذ تشعر من خلال تلك المقاطع وأنت تقرأها ، أن الحروف لاتخرج إلا بآهة عجيبة ، فكأنك تقرأ أبياتا ؛ لتعبر عن

---

٢٥ - انظر لهذا المنهج فى تحليل النص الشعرى ليورى لوتمان صـ ٩ . ترجمة / د . محمد فتوح أحمد .

٢٦ - المقطع الصوتى هو كمية من الأصوات تحتوى على حركة واحدة ... انظر محاضرات محمد الصمارى - علم الأصوات صـ ٩٤-٩٥ ع مباحث فى علم اللغة ...د نور الهدى لوشن صـ١٣١-١٣٢ المكتبة الجامعية إسكندرية مصر .

شدة حبها وحزنها فجاءت الحروف الممدودة وبخاصة بالياء والألف (مقاطع طويلة) مناسبة لتلك الآهة ، ولكن الآهة تزدادا حدة ، وترتفع قوة حال إلقاء القصيدة ، فيزداد المقطع الطويل طولا ، وليس فى ذلك ضير فالإلقاء فن ، ينبغى مراعاته ، والقصيدة مقروءة ، قبل أن تكون مكتوبة ، فهى تعبر عن صوت داخلى يخرج من نفس الشاعرة ، فانظر للأبيات حال الإلقاء ، لتكون على النحو التالى فى بعض أبياتها :

١- ها أَنْتَ تَرْجِعُ مِثْلَ سَيْفٍ مُتْعَبِ

لِتَنامَ فى قَلْبِ الْكُوَيْتِ أَخِيرَا

الإلقاء :

-هاااأنت ترجع مثل سيف متعب

لتناام فى قلب الكويت أخيرا

وفى البيت التالى :

٢-يَاأَيُّهَا النَّسْرُ الْمُضَرَّجُ بِالأَسَى

كَمْ كُنْتَ فى الزَّمَنِ الرَّدِىءِ صَبُورَا

الإلقاء :

ياااالنسر المضرج بالأسى اا

كم كنت فى الزمن الردى ى ىء صبوورا

وفى بيت آخر :

٣-يَافَارِسَ الفُرْسَانِ ، يَاابْنَ مُبَارَكِ

يَامَنْ حَمَيْتَ مَدَاخِلا وَثُغُورَا

-الإلقاء :

ياااافاارس الفرساان ياابن مباارك

ياامن حميت مداخلا وسروورا

وفى بيتين آخرين :

٤- أَأَبَا مُبَارَكَ كُنْتَ أَنْتَ قَبِيلَتِى

وَجَزِيرَتى وَالشَّاطِىء المَسْحُورَا

٥-يَاخَيْمَتى وَسْطَ الرِّيَاحِ ، مَنِ الَّذِى

سَيَلُمُّ بَعْدَكَ دَمْعِىَ المَنْثُورَا ؟

-الإلقاء :

وحينما تلقى معبرة عن حالة الحزن والأسى

- أأباامباارك كنت أنت قبييلتى

وجزييرتيوالشااطىء المسجورا

- ياا خييمتيى وسط الرياح

سيلم بعدك دمعى المنثورا

وانظر للبيت التالى :

٦-يَامَنْ ذَهَبْتَ وَمَـــا ذَهَبْتَ كَـــأَنَّنى

فى اللـيلِ أَسْـــمَعُ صَـــوْتَكَ البُـلـورَا

-الإلقاء :

ياااامن ذهبت وماااذهبت كأننى ى ى ...

٧-والبيت الأخير

يَـاآخِـــــذَ الكَـلِمـــــاَتِ تَـحْتَ رِدَائِـهِ

الإلقاء :

ياااااآآآ خـــذ الكلمـــاااات تحت رداائه

والإلقاء الصوتى من أنجح وسائل التعبير والتوصيل عن مكنون الشـاعـر، فـلا نسـتـغـرب أن يكتب شـاعـر ، ويكلف آخـر لإلقـاء قصيدته .

وانظر كـذلـك إلى ألف الإطلاق (مـقطـع طويل) تزداد قـوته مع الإلقاء ، بما يتناسب مع آهة الرثاء ، وحدة البكاء .

فـتلك هـى بعض الجـوانب الصـوتيـة التى تبـدو شكليـة عند كثـيرين ، ولـكنها من الأهـميـة بمكان ، بحيث إنـها لو تبـدلت إلى غيرها من الأصوات الصامتة لأثَّرَتْ سلبا على تلك القصيدة .

الخاتمة

رأينا من خلال قراءتنا لهذه القصيدة أنهاتتسم برقة الشعور - ودقة التصوير، وجمال التركيب ، وحسن التوظيف للظواهر اللغوية والأسلوبية، وخصوصية المعجم اللغوى ، من خلال لوازم تتكرر عند الشاعر ، ويحمل هذا النص الشعرى _فيما أظن_ كثيرا من سجايا الشاعرة ، ففيه دلالة على صدق ظاهر،وشعورغامر ، وحب فائض ، ووفاء نادر ، وحب للوطن جامح،ورفض للظلم والظالم ، والفخر بالأرض والوطن .

ومع رقة الشاعر إلا أن صفة الإباء فيها جلية ، فلا استسلام لإرادة المعتدى، ولكن دعوة للمواجهة والمحاسبة .

وبعد فقد أردنا أن نلقى الضوء على قصيدة غريبة لأنها قصيدة تمثل ديوانا ، وعموما فنحن نرى أن كل قصيدة يكتبها الشاعر إنما تمثل حالة خاصة ، ومن ثم أسلوبا خاصا بالحالة التى يمر بها تختلف عن أى قصيدة أخرى ينظمها الشاعر فى وقت آخر ، صحيح أن لكل شاعر قاموسه اللغوية الذى يمثل ثقافته عامة ، ولكن الحالة النفسية التى يمر بها تجعل هناك خصوصية لقاموسه هذا ، بل لطرق استخدامه للتراكيب اللغوية ليصوغها صياغة إبداعية تميز هذا العمل عن غيره من أعمال نفس الشاعر ، لاتميزه بالحسن أو الرداءة بل تميز الجوانب

افبداعية فى توظيف القوالب اللغوية والأسلوبية توظيفا يمتع ويقنع .

وبعد فهذا جهد المقل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. أشرف أحمد حافظ

٢٠٠٥/٣/١٧م

١٤٢٦/٢/٧هـ

السيرة الذاتية

الدكتور
أيمن محمد زكي العشماوي

- **المؤهلات العلمية:**

١ - ماجستير في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م بتقدير ممتاز.

٢ - دكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٥م بمرتبة الشرف الأولى.

- **الكتب المنشورة:**

١ - قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني.

٢ - خمريات أبي نواس (دراسة تحليلية في المضمون والشكل)

- **كتب تحت الطبع:**

١ - دراسة في شعر صلاح عبدالصبور.

٢ - تطور الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

٣ - دراسة تحليلية في المضمون والشكل عند النابغة الذبياني.

قراءة في ديوان : امرأة بلا سواحل
للشاعرة سعاد الصباح

بقلم

د. أيمن العشماوي

إن الحياة الحقة هي حياة الفكر أولاً ، وحياة الروح إنها كتابٌ، وزهرةٌ ، لوحةٌ ، وحبٌّ خالصٌ .. هذا هو الإنسان ، وهذه هي الحياةُ التي آمَنَتْ بها الشاعرة سعاد الصباح فتجربتها الشعرية ينبوع فرح يتفجّر مع كلّ شمس ، مع كلّ قمر ، مع كلّ رفة عُصفور.. إنها تجربة طرية طراوة الصباح .. إنه حِسٌّ الشاعرة بالكلمة .. كلُّ قصيدةٍ هي محاولةٌ غيرُ منتهية .. محاولةٌ لا يحيد الشاعرة من الاستمرار بها حتى يكون الديوان كلّه قصيدةً واحدةً لا تنتهي أصواتُها .

والتجربة عندها هي مبرر الكلمة لا العكس .. التجربة هي مرجع الشاعرة . وكلما كان الخيال أرحب وأعمق ازدادت التجربة رحابةً وعُمقاً ، واشتدت جذورها تشعُّباً في تجارب الماضي والحاضر والمستقبل في تجارب البشرية كلها . فالشاعرة بروحها وتعبيرها لا تكُفُّ عن خَلْق الصورة بين التعبير وما ينطوي عليه : أيّ بين الصورة اللفظية وبين العالم أو قُلْ بين ذاتها وبين الآخر بما فيها من حرارةٍ ودفءٍ وصدق إحساس .

هذا التواصل يُذهلُنا أحياناً برقيه ، إنه يخترق أعماق النفس حتى لتبدو كلّ قصيدةٍ تكتبها كأن القارىء كان على وشْكِ أن يقولها لو كان له لِسانُ شاعر . من هنا جاء شعر سعاد الصباح طاقةً حيّةً ومحببةً معاً . كما أن شعر سعاد يكشف عن ذلك الكائن الحُلمي الذي يعيش بالعِشق ، لأن العشق والحب يعمقان الحس بالحياة نفسها ..

استمع لها تقول في قصيدة " تمنيات استثنائية لرجل استثنائي " :

قُلْ لي : أُحبُّكِ

كي تزيدَ قناعتي

أني امرأةْ ..

قُلْ لي : أُحبُّكِ

كي أصير بلحظةٍ

شفافةً كاللؤلؤة

وتقول في قصيدة " اعترافات امرأة شتائية " :

حُبي جُنونيٌّ

ولا أشعرُ أنني امرأةُ

إذا لمْ أُحطَم قشرةَ الأشياء ..

حُبي انتحاريٌّ ..

فلَوْ رَمَيْتَني في البحرِ ، ذاتَ ليلَةٍ

وجدْتني .. أسيرُ فوْقَ الماء ..

فالحب هو أهم عاطفة في حياة الإنسان ، وهو الوقود الذي يجعل الاستمرار ممكناً ، وإذا انتهى الحب انتهت حياة الإنسان الحقيقية ، لذلك كانت مشاعر الحب عند شاعرتنا بحراً بلا سواحل .

والحب هنا كما صوّرته شاعرتنا يجعل من كل رجل عاشقاً ومن كل امرأةٍ معشوقةً ، رغم ما يملأُ الحياة من كل ما يحض الرجال والنساء على إغماض العين وتبليد الحس . ولكن شعر سعاد الصباح هو شعر الإصرار ، شعر تمجيد كل ما هو حي .. فالحب في شعرها فاكهةٌ بكْر تُجْنى كل يوم من شجرةٍ بكْر ، ويبقى صوت اليوم فيه هو صوت الغدِ وبعد الغد . ويكون الشِّعْرُ والعِشْقُ صِنْوين في اتحادِ الشاعرة بالكون .

تقول شاعرتنا في قصيدة " امراة بلا سواحل " :

يا سيدي

سوفَ أظَلُّ دائماً أُقاتِلْ ..

مِنْ أجلِ أَنْ تنتصر الحياة

وتُورِق الأشجارُ في الغاباتْ

ويدْخُلَ الحبُّ إلى منازِلِ الأمواتْ

لا شيءَ غَيْرُ الحبِّ

يستطيعُ أَنْ يُحَرِّكَ الأمواتْ ..

كثيرون كتبوا شعر الحب غير أن القليل منهم من يكتب في الحب بهذا التوقد وهذه النضارة وهذا النبض الحار الذي نراه عند شاعرتنا سعاد .. شعرٌ كهذا يظلُّ رفيقاً لكلِّ من يقرأُ ما دامَ في العين نظر ، وفي النفسِ رمق ، لأن المفاجأةَ فيه متجددةٌ ، والشباب فيه ينبوعٌ لكلِّ من يشرب .

والظاهرةُ الثانيةُ اللافتةُ للأنظارِ والجديرةُ بالإعجاب في هذا الديوان حرصُ شاعرتنا على أن يكون صوتُ المرأة حراً وطليقاً وقادراً بشجاعةٍ على المجابهة والإصرار ، وربما التحدي أيضا ، في الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأةِ ، وأن يكون للمرأة حق التعبير والبوح بمشاعرها ، ومجابهة الرجل والمجتمع على السواء بصوت المرأة التي أرادت أن تُحطِّم بعض الأسوار التي كانت تفرض على المرأة قيوداً تمنعها من النفاذ إلى دواخل في علاقتها العاطفية بالرجل بحيث تنفتح تجربتها على صور تستمر باتساع وصراحة .

من هنا اتخذ شعر الحب عند شاعرتنا بُعْداً آخر هو أن في شعر الحب رسالة تُنادي بالانصاف للمرأةِ في حقها في التعبير عن مشاعرها من ناحية ، وفي حقها في إبلاغ صوتها حراً يحمل إيجابية الرفض وحرية الإفصاح . تقول :

يا سيدي

مشاعري نحوَكَ بَحرٌ ما له سواحلْ

وموقفي في الحبِّ لا تقبلهُ القبائلْ

يا سيدي

أنتَ الذي أُريدُ ..

لا ما تُريدُ تَغْلِبٌ ووائِلْ

أنت الذي أُحِبّهُ .

ولا يُهِمُّ مُطلقاً

إنْ حَلّلوا سَفْكَ دمي

وإعتبروني امرأةً

خارجةً عنْ سُنَّةِ الأوائِلْ ...

كما يظهر صوت المرأة الساخطة والثائرة على سيطرة الرجل المتعددة الأوجه ، والناقمة على خيانة الرجل أو نذالته وإهماله وسأمه وفُتورِهِ ، والرافضة أن تكون النساء مجرد دُمىً للرجال أو مجرد لُعبة أو متعةٍ عابرة ، فالرجل قد يتباهى بين الحين والحين بسأمِهِ وضجرِهِ ، وإذلاله للمرأة وهجرانه لها . تثور شاعرتنا وترفضُ هذا الموقف الشَّهرياري السلطاني الذي يجعل من النساء حريماً وسبايا . ولعلَّ القصيدة الأخيرة من ديوان : " امراة بلا سواحل " أن تكون خير مثالٍ للتفجّرِ الغاضبِ من موقفِ هذا النوع من الرجال . ففي القصيدة التي أسمتْها " ثورة الدجاج المجلّد " تُعلنُ ثورتها الغاضبة واستنكارها لهذا الصنف من الرجال فتقول:

سَأَثُارُ

للحائراتِ وللصابراتِ

وللقاصراتِ اللواتي اشْتَرَيْتَ صِباهُنَّ

مِثْلَ البِذارِ .. ومِثْلَ الحُقولْ

سَأَصْرُخَ

باسمِ العذارى اللواتي

تزوَّجْتَهُنَّ

وطلَّقْتَهُنَّ

كما تُشتَري ، وتُباعُ الخيولْ

وتقول في نفس القصيدة موجِّهةً حديثها للرجل :

أيا عاشِقاً

لا يُفرِّقُ في لُعْبةِ الحُبِّ

ما بيْنَ لحْمِ النساءِ ..

وما بيْنَ لحْمِ العجولْ ..

سَأَصْرَخُ حتى سُقوطِ السماواتِ

فوقي وفَوقَكَ يا سيدي

ولنْ أتراجَعَ عما أقولْ ..

بقيت كلمة أخيرةٌ عن لغةِ شاعرتنا وفِعْل قصيدتها في النفس أما عن اللغة فهي لغةٌ تستلين لها طواعيةً وتصدر عفويّةً في سلاسة تكادُ تجعل لكل لفظةٍ حسًّا مرئياً أو مسموعاً فكأن الألفاظ تأتيك عن طريق الحواس كُلها معاً ، ومِنْ خلال تلك الروح الدافئة المشاعر لذلك جاء شعر سعاد الصباح صافي النبعة ، صادق النبرةِ ر يتصنّعُ ولا يتحذلق ولا يُهَوّل عليك بالضجيج والصخب بلْ هو يَبُثّ شعوره بالحياة بثاً أشبه ما يكون برذاذِ المطر

يتساقط في سكينة الليل على البقاع العطشى فيُؤْنِسُها ولا يُزْعِجُها ، ويُحييها ولا يجْرِفُها .

أما فِعْلُ القصيدة في النفس فيأتي عن طُرُقٍ عدَّةٍ دفعةً واحدةً مع القدرة على المباغتة والتطويق، فتكون نتيجة قراءة ديوان من هذا النوع هزة عنيفة لذيذةً تُحقق المتعة الذهنية والحسية في آنٍ واحد .

السيرة الذاتية

الدكتور

سمير أرشدي

- مدرس اللغة الفارسية في جامعة الكويت منذ العام الجامعي ٢٠٠٠/٢٠٠١.
- له خمسة كتب مطبوعة وروايات مترجمة.
- ساهم في ترجمة سلسلة (عيون الأدب الإيراني المعاصر) من اصدارات اتحاد الكتب العرب.
- شارك في العديد من المؤتمرات الفكرية والندوات الأدبية في العالم العربي.
- له عشرات المقالات والبحوث الأدبية المطبوعة في المجلات المحكمة حول التفاعل الأدبي والثقافي العربي الإيراني.

اللجنة الثقافية الموقرة - قسم اللغة العربية

تحية طيبة وبعد

يسرني ان ارفق لكم ادناه مقالاً حول ابداع الشاعرة سعاد الصباح لطباعته في كتاب الأحتفالية المقررة لتكريمها في (يوم الاديب الكويتي) آملاً ان ينال رضاكم ..

سمير ارشدي

من شيراز الشهباء يقف سعدي بقامته الشامخة حاملاً " روضة الورد " ليُحيّي بغزل صوفي عذب الالفاظ شاعرتنا المعاصرة سعاد الصباح بلغة تجسّد الحب و الحنين ،و الخُضرة و الرياحين ،و لينثُر لها الزهور من " شِعب بُوان " إحدى جنائن الارض الاربعة التي تغنىّ بها المتنبي ، و بأيقاع مؤثر ينجذب اليه القلب ،و يطرب له السمع ،و تهش له النفس و تبتهج به الروح إذ يحلق بها في سماء الصفاء و الابداع تقديراً لقصائدها الرنانة التي أطربت أسماع العالمين ،و لسان حاله يردّد :

أبداً تحنّ أليكم الأرواحُ

وَوِصالكم ريحانها و الراحُ

وارحمتاً للعاشقين تكلّفوا

ستر المحبة و الهوى فضّاحُ

من نارنجستان شيراز و من قُبة مساجدها اللازوردية المزنّرة بآيات المحبة يزجي سعدي التحية الى سعاد و يشيد بدورها في إثراء الفكر المستنير المحفّز على الابداع الانساني و الذي يسدل الستار على الانغلاق و التكلّس و التّقوقع .

و في دار سعاد الصباح ينطلق المشروع التنويري الذي يرفد الساحة الثقافية بآخر مستجدات الأبداع الادبي حيث تصطف كتبها اليوم على رفوف المكتبات المعتبرة في أرجاء العالم من خلال سعيها لمد الجسور المعرفة مع الآخر و أحياء التمازج الثقافي و الحوار الحضاري ، بحيث اصبحت مؤسسة ثقافية فريدة في العالم الأسلامي يتجاوز دورها كدار نشر من خلال مساهمتها في تشجيع ابداعات الجيل الجديد و تكريم رواد الثقافة العربية الأحياء و كذلك تعريب عيون الأداب العالمية ومنها الفارسية وترجمتها الرائعة لشاهنامة الفردوسي الشاعر الملحمي الأيراني الكبير و لحكايات شيرين و خسرو للأمير خسرو الدهلوي والرسائل الفارسية لمونتسكيو.

وكان لترجمة أعمال وقصائد شاعرتنا المكرّمة الى اللغة الفارسية تأثير هام في الشعر الفارسي الحديث حيث تعرّف الادباء المعاصرون في ايران على اسلوب معالجة الدكتورة سعاد الصباح للكثير من القضايا و الهموم التي تعاني منها مجتمعاتنا الشرقية و الاسلامية حيث خاضت مسيرة حافلة في تنوعها و ثرائها لتبرهن إن ما قدّمته من ابداع وانجاز وعطاء لم يقتصر

على الثقافة العربية بل تعداه الى الثقافات الأخرى حيث اسهمت في مد جسور التواصل و التفاعل بين مشرق العالم ومغربه وتُرجمت اعمالها الى الفارسية بقلم الأديب فرهاد فرامرزي وكان اول عمل هو مجموعة (في البدء كانت الأنثى) وتلقف المتلقي الأيراني قصائد (قراءة في ذاكرة الأشجار) و (إزرعني بين الكلمات) و (تعريف للعالم الثالث) ثم من ديوان فتافيت امرأة تذوّق القارىء الأيراني قصائد (فيتو على نون النسوة) و (اوراق من مفكرة خليجية) و (ان جسمي نخلة تشرب من بحر العرب) فكانت هذه القصائد همزة وصل بين الثقافتين العربية ـ الأيرانية.

ولا نذيع سراً اذا قلنا بان العديد من البحوث و الدراسات الاكاديمية انجزت في الجامعات الايرانية حول شعر و أدب سعاد الصباح كما تُدرّس قصائدها في اقسام اللغة العربية بكليات الآداب و قد دققت و نقّحت بنفسي بعض القصائد المترجمة الى الفارسية من قِبل طلاب الدراسات العليا في ايران .

ولايفوتني ان اشير بان الرئيس الايراني الدكتور محمد خاتمي قد اشاد بمبادرتها لطبع ديوان الشاعرة الايرانية المعاصرة بروين اعتصامي من تعريب كاتب هذه السطور و الاستاذ حسين محفوظي موسوي و الذي صدر بحلة قشيبة لتكون هذه الدار العامرة اول ناشر في العالم يطبع ديواناً لشاعرة ايرانية .

وهكذا بادرت شاعرتنا للاسهام في حوار الحضارات و تعايش الثقافات ولاسيما التواصل الثقافي العربي - الفارسي بما يحمل من قواسم مشتركة يصعب احصاؤها فتجاوز دورها الحدود الأقليمية لتبرهن بأن المرأة هي النصف الأجمل للمجتمع وإن تكريمها اليوم يثبت بأن المرأة العربية الواعية تحمل على اكتافها نبراس العلم والأدب لتنير دروب المعرفة للأجيال وهي حبلى بالمبدعين و بانية للحضارة الإسلامية و النهضة الإنسانية ،تلف أبناء الأمة برداء المحبة و التسامح واحترام الرأي الآخر .

سعاد الصباح بذلت النفس و النفيس من أجل أن تملأ فراغ المكتبة العربية من خلال إنشاء دار للنشر تحمل اسمها فرفدت الساحة الثقافية بالإبداعات الشبابية وسط إحباط خيّم في حقبة ما على الساحة الثقافية، ولم تمض سنوات إلا والتف اهل القلم وحملة الكلمة حول هذه الدار التي إحتضنتهم برحابة صدر٠ كما اعادت الدكتورة سعاد طبع مجلة الرسالة المصرية الي ترأس تحريرها الأديب احمد حسن الزيات في اربعين مجلداً فاخراً تأصيلاً للأبداع التثقيفي و إحياءً لقيمته الخالدة لتسجّل اول إطلالةٍ لها على عالم النشر في عام ١٩٨٥ من خلال طبع الأعداد الألف لهذه المجلة٠

ان مسابقاتها للأبداع العلمي تعتبر الواجهة المضيئة للمؤسسات الثقافية غير الحكومية في العالم العربي و التي تحمل عنوان مسابقات الشيخ عبدالله المبارك للإبداع العلمي و

مسابقات سعاد الصباح للإبداع العلمي والأدبي حيث إنحصر التنافس بالشباب العربي لمن لا يتجاوز الثلاثين من العمر فكانت مضماراً رائعاً للمبدعين يتبارون فيه لإستعراض اعمالهم و الحصول على مكافآت مالية للفائزين الثلاثة الأوائل في كل فرع فضلاً عن طبع هذه الاعمال و توزيعها على اوسع شريحة لتعميم الفائدة و تحفيز جيل الشباب من الذكور والإناث على خوض التجربة الإبداعية بشجاعة و شهامة.

تحية صادقة من أهل القلم و الأدب الى الشاعرة الأم سعاد محمد الصباح و الى مزيدٍ من العطاء فالمنهل العذب كثير الزحام.

سمير الشدى

مدرس اللغة الفارسية في كلية الادب بجامعة الكويت

عضو الإتحاد العام للكتاب و الادباء العرب

مترجم معتمد لدى منظمة المؤتمر الاسلامي

السيرة الذاتية

الدكتور
عبدالمحسن الطبطبائي

- القسم العلمي: اللغة العربية وآدابها
- حقل التخصص: نحو وصرف.
- التخصص الدقيق لدكتوراه: النحو العربي.
- عنوان أطروحة الدكتوراه: أثر السجع في تركيب الجملة العربية من خلال مقامات الهمذاني والحريري.
- عنوان أطروحة الماجستير: تعدد التوجيه النحوي عند الطبري في تفسيره جامع البيان.

التأليف:

١ - طريق الحياة (ديوان شعر) ١٩٩٤م

٢ - على شاطئ بحر الذكريات (ديوان شعر) ١٩٩٨م.

٣ - على أرجوحة الأحلام (ديوان شعر) ٢٠٠٣م.

الأديب العربي

بقلم د. عبد المحسن الطبطبائي

اضحَك على قَدَرٍ يا أيها العربي
اضحك وأنتَ أميرُ الأرضِ من كَثَبِ
وأنتَ أرشدُ ما في النُّصحِ من رَشَدِ
وأنتَ أعجبُ ما في العلم من عَجَبِ
اضحَكْ لتضحَكَ دنيانا مؤلِّفةً
بين القلوب تحرَّت حُسْنَ منقَلَبِ
يا أنتَ يا أيها المصغي على خَجَلٍ
يا عينَ مرتَقِبٍ .. يا نفسَ مغتَرِبِ
يا وردةً في ربيع العمر يا أَمَلاً
في صدرِ مؤتزِرٍ بالهمِّ ، مُضطرِبِ
كم كنتَ تنظرُ في قلبٍ حوى خُلُقاً
وحَدَّ بين أصيلِ الصدقِ والكَذِبِ
وصار فيك الهوى عبداً تقلِّبُهُ
أمراً ونهياً بلا قصدٍ ولا أرَبِ
وكم ملأت أحاسيسَ الورى طرَباً
فأنتَ ترصُدُ ما في الناس من طَرَبِ

فـإن تخـفَّـيْتَ يبـحثْ عنك كلُّ فتـىً

وإن برزتَ يفـاخـرْ فـيك كلُّ صَـبـي

وفي النـوازِلِ كـان الكونُ ينظُرُ فـي

عين الصـمـود ، وتلك العينُ عينُ أبـي

تلك العـيـونُ التي رَوّتْ مـبـاسِـمنـا

كـانت لليثٍ تَوخّى سَـوْرَةَ الغَـضَـبِ

من أجل ذلك خَـضَّـبنا دفـاترنـا

ومـا بَخِلنا بَسَـوْقِ المدحِ في الكُتُـبِ

فـلـلأديب بـأوطـان الـقـلـوبِ صـدىً

يُحـيـي المغـاني ويُردي منبتَ الكُـرَبِ

لا ، لا يكرَّمُ حُـرٌّ في مـرابِضِنـا

في دارِ تصـدِيَةٍ زيفٍ مِنَ الخُطَـبِ

لا ، لا تـكـرمُ يـا هـذا لأنكَ مـن

تلك العـشـيـرةِ أو من ذلك النَّسَـبِ

لا ، لا تـكـرم يـا هـذا لأنكَ قـد

تعطي من المالِ أو تُزجي مِنَ الذهَبِ

بـل قـل لأنـكَ نجـمٌ فـي الـعـلـى بـــرقٌ

أو قل لأنك بدرٌ فـاغـرُ السُّـحُـــبِ

أو مـــثلُ بَحْـرِ التـلاقي كم يمازِحُـهُ

فـي كلِّ يومٍ مـن الأحـبـابِ والتُّـــرُبِ

أنـت الأديبُ ألـم تـعـلـمْ بـأنكَ فـــي

دُهْمِ الدجى مِشعَلٌ للمجدِ لم يَغِـبِ

السيرة الذاتية

الدكتور

جاسم سليمان الفهيد

- ولد بالكويت سنة ١٩٦٣ .
- حاصل على درج الدكتوراه في تخصص البلاغة والنقد من كلية الآداب / جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠ .
- عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية/ كلية الآداب - جامعة الكويت.

❖ **حقق ونشر العديد من المخطوطات منها:**

- كتاب التوكل على الله لابن أبي الدنيا ١٩٨٧، ط٢.
- ست رسائل للحافظ المؤرخ الذهبي ١٩٨٨.
- إعلام الأعلام لمنصور البهوتي ١٩٨٩.
- كتاب معرفة الخصال المكفرة للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٩٩٠، ط٢.
- الدر المنضد لابن حميد النجدي ١٩٩٠.
- كتاب درء اللوم والضيم لابن الجوزي ١٩٩٤.
- القواعد الكلية ليوسف بن عبدالهادي ١٩٩٤.
- الدرة اليتيمة للصرصري ٢٠٠٣.
- أربعون نصاً ساقطاً من نشرة كتاب مكارم الأخلاق للخرائطي (ضمن مجلة المشكاة) ١٩٩٨.

❖ وله أيضاً :

- (بنية الناية: دراسة في شبكة العلاقات الدلالية) بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٨٨ خريف ٢٠٠٤.
- (التوظيف الفني للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء) مقبول للنشر في حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت.

● وله ديوان شعري منشور في النت على الموقع التالي:
http://www.hdrmut.net/poetry/220691

شعر د.جاسم الفهيد

قلبي إلى مَـربَعِ الأحـبـابِ خَـفّـاقُ
كـأنّهُ الطيـرُ للأوكـارِ مُنسـاقُ
طافتْ بخـاطِرِهِ الذِّكـرى مُـبـرِّحـةً
وللتـذكُّـرِ بعـدَ اليـأسِ إقـلاقُ
ما فاضَ رَوْحَ الصَّبا مِن سَفحِ كاظمةٍ
إلاّ وأفـشى خـبـايا العِشقِ مُـشـتـاقُ
كم غَـالَبَ الشَّـوقَ يَطويهِ فـيَنْشُـرُهُ
دَمعٌ على صـفـحـةِ الخـدَّين رَقـراقُ
للهِ غَـيْـداءُ تُنسِي الفَـجـرَ طلَّتُـهـا
قـد زانهـا مَـبـسَمٌ بالنُّورِ بَرّاقُ
فَـتّـانةٌ تدَّعي بالحُبِّ مَـعـرِفـةً
وجُلُّ خِـبـرتِهـا :حِـبـرٌ وأوراقُ
قـامـتْ تلومُ ونغْمُ اللومِ يُطرِبُني :
دَعْـوكَ لـلعِـشقِ إفـلاسٌ وإمـلاقُ!

لو كنتَ صَبّـا كـمـا تحكي قـصـائدكَ

لُمتَّ وَجْـداً فـعُـقـبى الوَجـدِ إزهاقُ

فـقلتُ: رُوحي لأهلِ الصـدقِ أمنحُـهـا

إني المُجلّي إذا مـــا استنَّ عُـشّـــاقُ

أجـودُ جُـودَ (سُـعـادِ) يومَ مَـسـغـبـةٍ

كـأنهـا الغـيثُ بالخـيـراتِ مِـغـداقُ

بنتُ الصَّباحِ فـمـا تخفى فضائلُها

وللصـبـاحِ بشَـمسِ الشِّـعـرِ إشـراقُ

صَنائعٌ طَوَّقَتْ بالمجـدِ سِـيـرتَهـا

فـصَـاغَـهـا بمِدادِ النُّورِ إنفـاقُ

ومـا رأى الخَلْقُ مِنهـا غيـرَ مـا اشتَـهـرا

إذْ دُونَ أعظمِـهـا سَـتـرٌ وأطبـاقُ

تُخفي اليـمينُ عنِ اليُسرى مَنائحَـهـا

سَـتْـرُ الصنيـعـةِ للإيمانِ مِـصـداقُ

قـد أبصـرتْ روضـةَ الآدابِ ذَاويةً

في أمَّـةٍ همُّـهـا رَقصٌ وطِقْ طَاقُ

فـأرسلتْ كـفَّـهـا الغـرّاءَ مُنعِـشـةً

كي مـــا تقـــومَ لـزَهْـرِ الـرَّوضِ أعناقُ

وجَـدْتُ فـيـهـا لأهلِ المالِ قُـدوتَهم

فـالمالُ في قَنصِـهِ الأمـجـادَ سبّـاقُ

كم حـابسٍ مـالَهُ والمالُ يَحـبِـسُـهُ

فـالشُّحُّ رِقٌّ وبَسْطُ الكفِّ إعـتـاقُ

تمضي سِنون الفـتى والذِّكـرُ يُخلِدُهُ

مَنْ فـاتَهُ الصِّـيتُ لم تنفـعْـهُ أعـراقُ

مـا أصعبَ الشِّـعْـرَ حـقّـاً حين تُرسِلُهُ

إلى بصـيـرٍ له في النَّقْـدِ آفـاقُ

كـأنّني حـامِلٌ تَمْـرًا إلى هَجَـرٍ

لكـنَّ عُـذريَ أن الشِّـعـرَ أذواقُ